ناولٹ

عالمی

شمع فی المرآہ

CRACK IN THE MIRROR

يمكنكم تحميل المزيد من الكتب الحصرية والرائعة

www.jadidpdf.com

www.jadidpdf.com

روايات
عالمية

العدد رقم ٢٥١

www.jadidpdf.com

www.jadidpdf.com

يمكنكم تحميل المزيد من الكتب الحصرية والرائعة

www.jadidpdf.com

www.jadidpdf.com

القسم الأول

التحقيـــق

- ١ -

أراد السيد لامور سيير أن يحتفى بمنحه وسام جوقة الشرف من طبقة « كوماندور » فدعا نفرا قليلا من اصـــدقائه المقربين الى العشـــاء فى مطعم صغير أنيق بالشانزليزيه ، امتـــاز بموسيقـــاه الراقصة . ومع ذلك فانه الآن ، وقد أصبح فى وسعه أن يحـــلى صدره بوشاح « الكوماندور » الاحمر ، بدأ يضيق بالوسام وبجوقة الشرف كلها .. كان قد أخذ يتطلع الى مقعد الأميرال الراحـــل فى الأكاديمية الفرنسية .

والسيد لامور سيير محام بلغ قمة المجد فى مهنته بلا مراء ، غير أن نجاحه المرموق لم يفل من حدة مطامعه ، ولم تكف سنه ــ فقد بلغ الرابعة والستين ــ لأن تصيب شهيته المنهومة لالقاب الشرف والجوائز ، بالكلال ..

وكان يروقك من وجهه عيناه البراقتان المليئتان بالحماس ، فقد كان فيهما ذكاء وأصالة لاتجد بارقـــة أخـــرى منهما فى سائر ملامحه .. كذلك كان جبينه العريض وضيئا تحت قلنســـوة من الشعر الأشيب الذى كان يعمد دائما الى تقصيره حتى يبدو أصغر سنا .. وفيما عدا ذلك فأن وجهه كانت تعلوه أحيانا مســـــحة مسرحيـــة أشبه بالقناع الزائف يزيد من دمامتها بقـــع من الكلف وشبكة من الغضون والتجاعيد .. وهى آثار خلفتها النســـاء فى حياته .. وتزداد دمامته اذا رأيت شاربه المصبوغ أسود حالـــكا كريش الغراب ، أو شفتيه اللتين تنضحان بالشهوة والزهو وحب الثرثرة ، وتنفرجان دائما فى طلب نصيب الأسد من الاطعمة الدسمة المقوية ، والأنبذة المعتقة ، والاكتاف العارية ! .. كان قد عاش دائما أطيب العيش .

www.jadidpdf.com

وكان لامور سيير ـ كغالبية الرجال الذين يسرف الحظ فى بسماته اليهم ـ لا يعترف بأن له أعداء .. وكان اقتناعه بأن مدعويه تستبد بهم اللهفة الى رؤيته بين « الخالدين » فى الاكاديمية من القوة بحيث راح يعدد لهم فرص نجاحه فى الانتخابات ، ويذكر لهم أنه زار « الخالدين » جميعا حتى الذين كانوا يزدرونه ويستخفون به.. وكان يتساءل فى عبوس الطفاة أو المدللين.. ماهى الاكاديمية قبل كل شيء ؟ . أنها مجرد ناد كباقى الأندية ، أليس كذلك ؟ . وعندما تلتحق بأحد الاندية وجب عليك أن تخضع للوائحه ! ..

ويفارقه العبوس وهو يستطرد .

ـ لقد ضمنت حتى الآن اربعة عشر صوتا .. ولكنها لاتكفى .

وراح أصدقاؤه يمددون فرص نجاحه ويتكهنون بأصوات الناخبين ، أشبه بسماسرة البورصة المضاربين .. الاصوات المؤكدة والمرجحة والمحتملة ، وتلك التى لا أمل فيها ! .. ولكن لامور سيير كان قد كف عن الأصغاء الى مضاربات أصدقائه ، فقد خالجه الخوف من الفشل ، وهو لايقل ايذاء لكبريائه ، عن تحطيم لمكانته كان يعلم حق العلم ـ دون أن يعترف بذلك قط ـ أن مركزه الاجتماعى يجعل له فى دار القضاء ميزة عظيمة ترجح ذكاءه وألمعيته ! .. وان ذلاقة لسانه جوفاء يعوزها التركيز . وأن بديهته السريعة لم تصل أبدا الى حد يثير الاعجاب .. كان مجرد وجوده ، ومكانته الرفيعة ، وشهرة غذيت فى دأب وعناية ـ عن نزاهته وأمانته ، أشد تأثيرا من مرافعاته وعباراته المنمقة .. كان اسمه ضمانا حقيقيا لموكليه ، وكانت القابه وأوسمته أكثر الأدلة اقناعا ! . ولكن كفاءته فى مهنته كانت موضع لمزات ساخرة ، وكان دائما يعود كسيفا كلما جرأ على الخروج من « عالمه المحدود » الذى لا تبلغ همسات الحاسدين فيه أذنيه ..

كان حقد الآخرين وحسدهم يضاعف من اهمية انتخابه عضوا بالاكاديمية الفرنسية .. كان يعدهم على أصابعه ويستبعدهم ، ثم يأخذ فى عد أنصاره واحدا واحدا .. الابهام ، موروا .. السبابة والوسطى الاخوان بروجلى .. البنصر جاكسوت .. والخنصر كوكتو .. وهكذا ..

www.jadidpdf.com

وقبيل الانتخاب رحل كاركو بينو ـ احدى فرص النجاح المحققة ـ الى روما ، فيعلق لامور سيير قائلا :

ـ كان فى وسع الوغد أن يؤجل رحلته .. بعد كل مافعلته من أجله ! ..

ولكن ما الذى فعله من أجل كاركو بينو حقا ؟ ..

أما كلود فارير ـ وهو فرصة أخرى من فرص النجاح ـ فقد كان مريضا طريح الفراش .. فيقول لامور سيير

ـ انه سوف يحضر على اية حال .. وسوف أرسل له نقالة الاسعاف لتأتى به ! .. لامع .. متألق .. تلك هى الكلمة التى تنطبق على كلود فارير .. ومع ذلك يقول الأغبياء الآن انه طراز عتيق ! .. ياللهراء ! .. لو انك عرضت الآن بعض مؤلفات فارير على احد الناشرين ، تحت اسم مستعار ، لهلل الناشر وقال انه اكتشف عبقرية جديدة ! . ان فارير أعظم مائة مرة من ذلك المسكين لوتى الذى يقدسه ، ولكننا لا نستطيع أن نجحد فضل لوتى فى استشارة حب المغامرات فى شباب جيله ! ..

وشفع لامور سيير هذا المديح لبيير لوتى بنظرة تجمع بين السخرية والازدراء رنا بها الى بيير آنج لانكاستر ، وهو محام شاب يعمل مساعدا له .. ولم يكن قد دعاه الى الوليمة الا بعد الحاح شديد من فلورانس ..

كانت قد قالت له فى لهجة لاذعة :

ـ ينبغى أن أجد شخصا اراقصه .. شخصا يقاربنى فى العمر ! ..

وكان بيير آنج مكبا على تناول طعامه ، دون أن تفارقه يقظته وانتباهه .. فما كادت تستقر عليه نظرات لامور سيير حتى رفع عينيه ، ولوح بسكينه قائلا فى بلاهة :

ـ ان الطعام جيد

فصاح لامور سيير هادرا ..

ـ جيد .. تعنى أنه جيد « جدا » لم تذق مثله فى حياتك ! ..

www.jadidpdf.com

وكان يود لو أمعن فى تعذيب ذلك الفر الوقح ، وأن يعلمه ان من الدعوات مايجدر بالمرء أن يعرف قدر نفسه فيعتذر عنها ! ..

ولكنه عاد يتحدث عن لوتى قائلا :

ـ لقد عرف شبابنا بفضله أن يركبوا البحر الى الهند الصينية ..

ثم تنهد مستطردا .

ـ من كان يحسب اننا سوف نتخلى يوما عن هذا الكنز الثمين !

وانتقل بالحديث الى عضو من الاكاديمية لقيه فى فتور عند ما ذهب لزيارته ، فقال وهو يزفر :

ـ لقد ترفع عن مصافحتى ! .. بل لم يطلب الى الجلوس ! .. ومع ذلك فلا شك أن للوغد ذوقا رائعا ، فقد أعدت قراءة مؤلفاته قبل أن اذهب لمقابلته ..

وكان حتى عشية الانتخاب يصف كل عضو فى المجمع الجليل بالعقرية والذوق الرفيع .. كان يدرك تماما ان الكلمات ليست الا رسلا مؤمنة صغيرة تجد طريقها دائما الى الهيكل الذى تحج اليه .. الأذن التى وجهت نحوها ! ..

أما اعمال الاستاذ لامور سيير الأدبية فكانت هزيلة غير ذات شأن .. فقد نشر ـ على نفقته ـ رسالتين تاريخيتين عن قلعتى سامبور دوكومبورج ، فى طبعة فاخرة خاصة .. ثم زاد عليهما رسالة عن « الجريمة وسياسة الدولة »

ومضى بالحديث ، وسط عاصفة من التهليل والابتهاج أثارها أصدقاؤه « المقربون » عن تلك الرسالة الأخيرة التى ترجمت الى الروسية منذ قريب ، وكيف أن الروس يرغبون حقا فى أن يتخذوه مستشارا قانونيا ! ..

ثم أخذ يتحدث عن مؤلف جديد يوشك على الانتهاء منه ليضمه الى « سلسلة مؤلفاته التاريخية » وهو عن قلعة فونتنبلو ، وأضاف وهو يجرع كأسه :

www.jadidpdf.com

ـ سوف أنشر منه طبعة فاخرة مزودة بالكثير من الصور لأولئك الذين يرغبون فى اقتنائها وتصفحها فحسب ، وأخرى بثمن معقول لأولئك الذين لاتزال لديهم الرغبة فى القراءة والدرس ..

وعندئذ بدت فى عينى بيير آنج لمحة من السخرية .. لقد كان هو نفسه « طيف » لامور سيير .. كان هو الذى يكتب مؤلفات الاستاذ ، فلا يزيد المحامى عن تنميق عبارة هنا أو هناك ، أو تحوير بعض الفقرات .. ولكنه ـ والحق يقال ـ كان يزود مساعده بأكداس من المستندات من سجلات الأسرة .. فقد كانت أحدى عمات جده زوجة محام من فونتنبلو ..

ومرة أخرى أخذ لامور سيير يقص على مدعويه ـ وكانت هذه أحدى قصصه المحببة التى لايكف عن روايتها ـ كيف ان أسرته ، وهى تحمل واحدا من اعظم الاسماء فى فرنسا ، قد تخلت عن ألقابها وامتيازاتها قبل الثورة .. وكيف ساهم جده الأكبر ، وهو من أصدقاء دالامبير العظيم ، فى تحقيق دائرة المعارف الفرنسية وتحريرها ، وكان يتبادل الرسائل الناضجة مع فولتير ! ..

ـ ولكنه لم يخط حرفا لروسو .. روسو الخسيس الذى أساء لكل من أحسن اليه ! .

ان المرء ليفخر أشد الفخر اذا كانت تربطه قرابة بتلك العقول الجبارة التى عاشت فى أشد عصور فرنسا تألقا .. عصر ارستقراطية الذكاء والعبقرية .. أما الارستقراطيون الآخرون ، الامراء والدوقات والبارونات ، فكانوا يشترون ألقابهم بالمال .. والدوق الوحيد الذى كان لامور سيير معجبا به ، هو دوق وندسور .. نعم .. فانه ليحنى رأسه اكبارا لرجل رفض عرش امبراطورية من أجل المرأة التى أحبها ..

وعندئذ طبع المحامى قبلة نهمة على ذراع فلورانس .. ولكنها لم تستجب له ، بل ظلت جامدة مكانها فى برود .. لقد أصبحت تضيق بقصص عشيقها ، لا سيما تلك التى تعلم أن دورها آت لا محالة .. قصة « مأدبة العشاء عند دوقة وندسور » .. كانت وقتئذ أشد ضيقا بهذه القصة ، فهى لم تكن مدعوة الى المأدبة .. كما كان تفكيرها منصرفا بأكمله الى شىء آخر ..

www.jadidpdf.com

وبدأت القصـــة ! .. لقـــد اجلست الدوقة لامور سيير على يمينهـــا ..

ـ فكان فى وسعى ان أرقب حركاتها جميعـــا .. كانت لماحة لايفوتها شيء ، شأن أية مضيفـــة ممتازة .. لو أزاحت احـــدى السيدات قراءها قليلا الى الوراء ، فانها تشير بطرفه سريعة الى رئيس الخدم ليخفض درجة حرارة الحجرة ..

أما مخدع الدوقة فكان يوحى الى المحامى بأن يمعن الفكر فى مستقبل الامبراطوريات ! .. كان مخدع غانية « وأدركت على الفور أى دور لعبته فى حياة الدوق ! .. »

وتحول المحامى نحو فلورانس مقهقها ، ففهم ضيوفه أى دور لعبته فى حياته « .. ولكنها رفعت حاجبيها فى ازدراء ولوت شفتيها ، ومدت يدها تعترض يد عشيقها الممسكة بالكأس ، وتقول :

ـ لاتكثر من الشراب ، فقد بدأت اهدابك تتفتل ..

ـ ولكننى سعيد ..

ونهض ليلقى خطابه .. قال :

ـ أيتها السيدات والسادة ! .. آه ! . ماذا قلت ؟ . اعنى ايها الأصدقاء الأعزاء ! . اننى أريد الليلة أن أعبر لكم عن صداقتى وحبى .. نعم .. بهذه البساطة ، وهذا ...

ولكنه لم يستطع اكمال عبارته ، فقد كانت ساقاه تهتزان تحته وكانت عيناه زائغتين حتى لايكاد يبصر جيدا .. وسقط فى مقعده وهو يمسك بمؤخرة رأسه . ولكنه ما كان ليعرف قط بأنه يشعر بالمرض .. ووضع حد التساؤل ضيوفه بأن نادى رئيس الخـــدم قائلا :

ـ أين المفاجأة ؟ ..

واستطرد يقول لضيوفه موضحا :

ـ ان المفاجأة ، ايها السادة ، هى كعكة عيد الميلاد ! ..

وأحضرت الكعكة وقد زينت بعشر شـــمعات مضيئة ! .. وصدحت الموسيقى باللحن الانجليزى « عيد ميلاد سعيد لك » ، وقبل لامور سيير فلورانس فى عاطفة جياشة ، صبيانية ، وقد أحس بأنه أحسن حالا ، وهو يقول :

www.jadidpdf.com

ـ لقد مضت عشر سنوات الليلة ..

وتضرج وجهها حمرة .. عشر سنوات من الحب ! .. لقد نسيت انها ذكرى العلاقة التى تربط بينهما .. تلك الذكرى التى كانت تجلب لها دائما شيئا ترغبه وتشتهيه : عقدا أو أسورة أو فراء او رحلة بحرية .. أما الليلة فان الشيء الوحيد الذى كانت تشتهيه .. هو بيير آنج .. ان تندفع نحوه ، وتعانقه ، وتمسك بيديه فتضمهما الى صدرها ..

واندفعت الدماء الى وجنتيها ، بينما كان المحامى يردد من جديد

ـ عشر سنوات يا عزيزتى ! ..

وطبعت فلورانس قبلة على شاربه .. وعلا رنين الكئوس .. أما بيير آنج فقد انحنى الى الامام ، ولم يجرؤ على النظر نحو فلورانس ، ولكن عينيها لم تفارقاه قط وهو يهنىء لامور سيير بالعيد .. كانت تقول فى نفسها انه مفرط فى الادب مع استاذه .. وكانت تتوق الى أن تصيح بأعلى صوتها انك الوحيد الذى أحبه ..

وتحول نحوها قائلا :

ـ فى نخب سعادتك ، يا سيدتى العزيزة ! ..

يا لها من نبرة باردة رسمية ! .. لقد أعجبها منه ، بادىء ذى بدء ، ما بدا منه من ضبط النفس .. ولكن خالجها ، لحظة فزع طاغ ، فوراء هذا المسلك ارادة قوية كالفولاذ .. واهتز بدنها ، لحظة ، لنبوءة سوء هجست بنفسها .. ولكنها استعادت هدوءها سريعا وغمغمت قائلة : ان الجو حار هنا ..

وعندما أحنت رأسها ، كانت ذقنها تبدو أكثر فتنة وهى تقبل نحرها الوضاء ! ..

واحاط لامور سيير كتفيها بذراعه وهو يقول : هيا بنا نرقص يا عزيزتى ، فهذا لحننا الحبيب ! .. ان الأمر يبدو كما لو كان بالامس ، ولكنك لم تكونى قط أوفر جمالا مما أنت الليلة ! ..

وكانت فلورانس ، وتفكيرها كله مركز فى بيير آنج ، قد انتقت ثوبا هفهافا من الحرير الرقيق الأزرق ، عارى الصدر والظهر ..

www.jadidpdf.com

ولكنها اذ راحت ترقص مع لامور سيير كانت تشعر بأنها عارية ؛ متجردة من الثياب ، وهى ترتدى ذلك الثوب .. كان يضمها الى صدره فى قوة ، كأنما يفخر بامتلاكها .. وللمرة الأولى منذ بدأت علاقتهما ، أحست بالخجل من أن ترى بين ذراعيه .. كانت تصغره بثلاثين عاما .. وعندئذ ايقنت أنها تكرهه ! ..

ولم يكن فى وسعها أن تراقص بيير آنج حتى تفرغ من دوراتها مع باقى « الاصدقاء المقربين » .. فلما حان دوره أخيرا ، أمسك بها فى برود ، تكاد تبعد عنه قيد ذراع أو أكثر .. ولكن ماكاد تيار الراقصين يجرفهما بعيدا ، حتى القت بنفسها عليه ، وهى تغمغم :

ـ أخيرا ! .

فضغط على يدها قائلا : لا شىء يفرق بيننا ، فاننى أحبك ..

وهمست فى صوت مبحوح :

ـ وأنا أريدك ! .. لابد أن اراك الليلة ! ..

وراحت تمد خططا بلهاء ، لترفضها واحدة بعد الأخرى ..

فسألها بيير آنج :

ـ ما رأيك فى أن نلتقى غدا ؟ ..

كان عليها ان ترافق عشيقها الى بلوا حيث كان ذاهبا للصيد « ولكننى لن اذهب معه » .. سوف تنتحل عذرا أو تدعى المرض .. سوف تمضى اليوم فى حجرتها .. فى حجرتها مع بيير آنج ! .. واغمضت عينيها وازدادت التصاقا به .. « ولكنه لن يتركنى وحدى ! .. ولن يذهب الى بلوا اذا ظن اننى مريضة » ..

وهمست تقول : شد ما ابغضه ! ..

فسألها بيير آنج :

ـ ماذا كنت تقولين ؟

ولكنها عضت شفتها ولم تجبه كانت كراهيتها للامور سيير تزداد قوة لانها ما كانت لتستطيع أن تناقش حقوقه حيالها .. ماكانت لتفكر البتة فى أن تهجر واحدا من اشهر محامى باريس ، ومن أكثرهم ثراء ولا شك ، لتقيم فى منزل متواضع مع شاب « تحت التمرين » يعيش عيش الكفاف على ما تمنحه أمه .

www.jadidpdf.com

وكانا قد بلغا الجانب البعيد من حلبة الرقص ، غير أن لامور سيير كان يرسل لها القبلات على اطراف أصابعه فتردها له فى بسمات فاترة .. عندئذ غمغمت تقول : لقد بدأ يثور ! .

ـ وهل يرتاب فى شىء ؟ .. لقد ظننت ..

ـ وماذا يهمنى ؟ .. اننى لا ابالى به

وكانت فلورانس قد لاحظت ما أصاب لامور سيير منذ برهة . فتسارعت انفاسها وهى تلهث أملا « لو أنه .. »

وصحبها بيير آنج عائدا بها الى مقعدها حيث أخرجت علبة زينتها وراحت تصلح من شأنها ، أو تخفى وجنتيها المتوهجتين ..

وما لبثت أن قالت فيما يشبه الاعتذار :

ـ ان الزحام يشتد ايام السبت .. والمرء ينسى نفسه دائما فى الزحام ..

ولكن لامور سيير قاطعها قائلا :

ـ لقد كنت اتحدث عن كليمانصو ..

كان عادة يدعوه « مسيو كليمانصو » أو « النمر » أو « ابو النصر »

لقد سأله أحد الصحفيين يوما ـ فى حضورى ـ عما اذا كان يفضل الشهرة عن الحب فزمجر النمر وهو يجيبه « لا تكن مغفلا .. فلا شىء يضارع الشباب »

وكان لامور سيير يلهث بصوت مسموع وهو يستطرد :

ـ هل أدركتم ما يعنيه ؟ . ان مسيو كليمانصو لم يكن يفكر البتة فى التاريخ المثبت فى شهادة ميلاد الرجل .. كلا .. فليس ذلك ما يجعل الرجل شابا ! . ومهما يكن من أمر ، فاننا جميعا نعرف من هم الشباب ... فما الذى تحويه رءوسهم ؟.. أو عروقهم ؟.. اذا كان الأمر متعلقا بالنساء فان شابا فى العشرين من عمره لا يعرف كيف ينظر الى المرأة ، ودعك من حبها !..

وكان يربت على يد فلورانس . فلم تتمالك نفسها عن الارتجاف ... يالهمن غبى أبله !.. وما لبثت أن جذبت يدها بعيدا ، فلم تعد تطيق لمساته ومداعباته .. وعندئذ ذكرت جسده ، الشاحب البياض ، المليء بتجاعيد الشيخوخة !..

www.jadidpdf.com

واستطرد لاموسيير يقول:
ـ لو اننى سئلت نفس السؤال الذى سـأله « ابو النصر » لاجبت باننى افضل الشهرة .. فانك اذا غدوت رجلا مشهورا ، استطعت ان تنال اية امراة تشتهيها ... ولكنك لن تغدو مشهورا لمجرد ان امراة تحبك !..

كانت تصغى اليه دون أن تسمعه .. وحاولت أن تصطنع ابتسامة شاحبة . وكان قد نهض ليرقص معها من جديد ، ولكنه ما كاد يبلغ حلبة الرقص حتى أخذت الأرض تميد تحت قدميه وتدور به ، فأمسك بكتفى فلورانس ، بينما اندفع بيير آنج ليسنده ويعينه على العودة الى مقعده ، وقد التف حوله الضيوف فى قلق وتوجس ..

وغمغم لامورسيير فى نبرات اشبه بالانين . ماذا حدث ؟..

كان وجهه اصفر شاحبا ، يبلله عرق غزير ... فبادر أحد المدعوين ، وهو طبيب معروف اخصائى فى الهرمونات والغدد ، يفك ياقة قميصه ويمسح جبينه بمنشفة مبللة بالماء المثلج ..

وعاد لامور سيير يقول فى تذمر دعونى وشأنى ، فاننى بخير ، ثم مد يده يبحث عن كأس الشمبانيا ، ولكن الطبيب صاح به :

ـ كلا .. لن تشرب قطرة واحدة .. وسوف اعود بك الى منزلك ..

كان كل من فى المطعم يرقب ما يجرى فى فضول ، بينما توقفت الموسيقى عن العزف .. وافسح المجتمعون حول لامورسيير طريقا لمروره ، بينما ترك الطبيب وبيير آنج يجرانه نحو الباب وهما يكادان يحملانه بين أيديهما حملا .. وكان يوجه الى الخدم بعض النكات فيما يشبه الحشرجة ، حتى اذا ما بلغ الردهة القى بنفسه على مقعد أمام نافذة مفتوحة بينما كان الطبيب يحشره حشرا فى معطفه ، وقد راح ينشق الهواء البارد فى لهثات سريعة ... كان لا يريد أن يعترف بأنه يشعر بالضعف حقا .. وكان يقول :

ـ هذا مضحك !.. لست افهم تماما .. فلم اشعر قط من قبل ...

www.jadidpdf.com

وانحنت فلورانس فوقه فى حنان وقد أخذت يديه بين كفيها تدفئهما ، وهى نفسها ترتعد قائلة : انهما شديدتا البرودة ...

والقت بطرف فرائها فوق ركبتيه ، فأحست بالعيون ترقبها فى عطف وصداقة كأنما تقول : « ما أشد حبها له !.. » ولكنها تظاهرت بالضيق من نظرات الرثاء التى كان النساء يرمقونها بها ... ومع ذلك فقد وجدت فى عطفهن دليل نفى عما اعتمل فى ضميرها من سوء .. انها لا تستطيع أن تنسى انها منذ خمس دقائق فحسب كانت تتمنى موت لامورسيير ... وكأنما أعاد الندم الى ذاكرتها مخاوف الطفولة وأوهامها فغمغمت هالعة : «انها يد الله !» وأنا السبب فيما حدث .. » وفى سرعة بالغة أخفت آمالها الحديثة العهد وراء ثلة من النوايا الطيبة ... كانت على استعداد لأن تضحى بدمائها فى سبيله !.

وقال الطبيب لبيير انج :

ـ عليك أن تحضر ممرضتى ، ولسوف يأخذك سائق سيارتى اليها .. قل لها أن تأتى بحقيبتى ، وأرجو ألا تنسى شيئا ..

ـ لا تخف .. فان لى ذاكرة قوية ..

وفكرت فلورانس : « اذن فسوف اراه ثانية بعد دقائق قليلة ! . كلا !. محال !.. ينبغى ألا يعود مرة اخرى ! »

وفى هزة رقيقة من شعرها الذهبى ، كانت تسأل بصوت عال :

ـ الم تعد السيارة بعد ؟..

وتطلعت الى الطبيب ، وقد ذبل وجهها وامتلأ بالغضون ...

واخيرا وقفت السيارة الفاخرة أمام الباب ، فحمل اليها لامورسيير أشبه بدب كبير ، وأرقدته فلورانس فى المقعد الخلفى وقد أخذت راسه فوق ركبتيها .. كان ينشج كطفل رضيع وهو يرفع عينيه الى صدرها ، بينما كانت تتحسس جبينه المندى ، وقد احست بثقل راسه فى حجرها ...

***

ظل لامورسيير راقدا فى فراشه نحو ساعة كاملة قبل أن يصل بيير انج مع الممرضة . أما فلورانس فكانت قد استرخت اعصابها

www.jadidpdf.com

وهدأ روعها ، وقل شعورها بالاثم والندم بقدر ما قل قلقها وتوجسها .. فابتسمت لبيير أنج ، وأخذت تعد خطتها لقضاء الليل ..

وأبدلت الممرضة بثوبها معطفا أبيض ، وكانت قد أحضرت معها حقنة وجهاز ضغط الدم ، ثم طلبت بعضا من الماء الساخن فأسرع بيير أنج الى المطبخ لاعداده ..

واحتج لامورسيير قائلا : هذا مضحك حقا !.. اننى على ما يرام ..

ثم حاول الجلوس ، ولكن فلورانس ربتت على جبينه وهى تقول :

ـ لا تتعب نفسك ، ففى مثل حالتك هذه ...

فالآن وقد زالت مخاوفها ، كانت ترى من الضرورى أن تثير قلقه ...

ـ خذ قليلا من الحساء ، فانه يفيدك ..

فرشف لامورسيير جرعة ثم بصقها فى اشمئزاز على صدر قميصه ... واخذت الممرضة تبدل له ثيابه دون أن تصغى الى احتجاجه ، بينما قاس الطبيب ضغطه وقطب حاجبيه قائلا وفى عينيه نظرة ماكرة :

ـ لو انك كنت لويس الرابع عشر لأسرعنا بفصد جلالتكم .. أما والامر على ما هو عليه ، فأرى أن ندعك تنام الليلة ، وسوف أحضر زميلى فى الغد ليراك ...

ولم تكن المرة الأولى التى يذكر فيها طبيب لامورسيير الخاص ، الذى لم يشأ أن يوقظه من النوم ، حتى لا يزعجه .. أنه لن يفعل شيئا أكثر من أن يأمره بالراحة ، ولسوف يتسع الوقت لذلك كله فى اليوم التالى ..

ووضعت الممرضة ثلاث حبات فى ملعقة ، فابتلعها لامور سيير مستسلما وهو يقطب حاجبيه ، بينما كان الطبيب يستطرد موضحا

ـ انها لمجرد الاطمئنان الى انك سوف تنام نوما هادئا ..

وطبعت فلورانس قبلة على جبين لامورسيير ، فأمسك بيدها وغمغم فى أنين : يا حبيبتى .. يا حياتى ! ..

www.jadidpdf.com

ـ سوف أراك فى الغد ، فنم جيدا ، وطابت ليلتك .

واتت الممرضة بمقعد مريح وضعته قرب الحائط ، بينما صحبت فلورانس الطبيب الى المكتبة وهى تقول :

ـ خبرنى بالحقيقة ...

فبدا ساعداه النحيلان المعروقان من خلال اكمام سترة السهرة التى يرتديها ، عندما رفع ذراعيه الى الأعلى ، كان يمثل مأساة طبيب عظيم يعلم أنه لا يعرف شيئا .. وقال وهو يعبث بأزرار قميصه الماسية :

ـ لا تخشى شيئا يا عزيزتى ، فالأمر ليس خطيرا .. انه مجرد انذار وتحذير .. وربما كان من الخير أن تكون حالته أشد سوءا ، حتى يدرك أنه لم يعد شابا فى العشرين من عمره ... اما الآن فانه لن يلبث حتى ينسى ما حدث ...

ولكن هل كان وجود الممرضة ضرورة لابد منها ؟.. هل يجب أن تقضى الليل كله فى حجرته ؟ . لقد ترددت فلورانس فى سؤال الطبيب خشية أن يساء فهم مقصدها .. ولكنها ما لبثت أن قالت :

ـ ألا ترى أن وجود الممرضة قد يثير مخاوفه ويفزعه ؟..

ـ انها زيادة فى الحيطة يا سيدتى العزيزة ، لم يكن ثمة داع لها ، فلست أرى ما يدعو للقلق كما ذكرت لك .. ولكن متى كان الأمر متعلقا بالقلب ...

غير أن فلورانس لم تعد تصغى اليه .. كان هنا ، فى هذه الحجرة ، وعند هذه الاريكة المكسوة بالجلد ، أول « معرفتها » ببيير أنج ... ليته لا يعود من المطبخ قبل أن يرحل الطبيب »

وقال الطبيب فى رقة ، وهو يمسك بذراعها : لابد أن تكونى مرهقة تماما ...

فجذبته فلورانس حتى قمةالدرج المؤدى الىالردهة الخارجية ... وفجأة رأت أمامها بيير أنج يبتسم ابتسامة عريضة (باللأحمق!) .. وكان قد بدأ يقول :

ـ سوف تحضر مارى الماء المغلى .. فقد سمعتنى اعبث بالاوانى ، فاستيقظت من النوم ..

www.jadidpdf.com

وسار ثلاثتهم فى بطء حتى الباب الخـــارجى ، حيث قال الطبيب :

ـ أين تقطن أيها الشاب ؟.. سوف آخذك معى ..

فصاحت فلورانس : كلا .. لقد فعلت الليلة اكثر مما ينبغى يا دكتور .. سوف أعير بيير آنج سيارتى ، حتى لا تتكبد مشقة الانحراف عن طريقك ..

وقاطعها بيير أنج قائلا : اننى أسكن قريبا ، خلف البانثيون .. فلا يحتاج الأمر لأكثر من عشر دقائق سيرا على الاقدام ...

ثم غادر المنزل مع الطبيب !..

* * *

كانت فلورانس تجلس على الدرج تحيط بهـا ثنايا ثوبهـا المنفوش فلم تسمع الطاهية وهى قادمة تحمل اناء ينبعث البخار منه ، ولكن سمعتها تقول :

ـ كان ينبغى أن تأوى الى فراشك يا سيدتى ..

ـ بل انت التى يجب أن تنامى يا مارى ...

ووضعت الطاهية اناء الماء المغلى ، فأردفت فلورانس قائلة :

ـ لسنا فى حاجة اليه الآن .. فعودى الى فراشك ...

ـ لن استطيع النوم ثانية ، يا سيدتى ، بقية الليل ..

وفى صوت حزين ، رتيب ، راحت مارى تتحدث عن سيدها ، كأنما تلقى مرثية له ... كانت تتذكر الوقائع دون أن تعنى بذكر تواريخها فقد قضت مع الأسرة زهاء خمســين عاما واختلطت أحداث الحربين العالميتين فى ذاكرتها ... وأخيرا قالت فى أنين :

ـ لو حدث شىء لسيدى !..

ومرة أخرى ارتجفت فلورانس ، وقد خالجها الندم . فقالت مارى :

ـ انك ترتعدين من البرد يا سيدتى .. أتودين أن تمرضى انت الأخرى ؟..

ورضيت فلورانس أن تتبعها الى المطبــخ .. كانت لا تزال تحس بشعور « الفدائية » ، ولكنها هذه المرة كانت فدائيةباصغائها

www.jadidpdf.com

الى ثرثرة مارى ، وبمحاولتها ابتلاع شيء من الطعام الساخن الذى أعدته لها الطاهيـــة ، على حين قد جف حلقـــها وانقبض دون أن تحاول مرة واحدة ان تقاطعها أو تسكتها ..

ـ سوف يشفى السيد سريعا .. اليس كذلك يا سيدتى ؟..

فطمأنتها فلورانس

ـ سينهض على قدميه غدا يامارى...اعدك بذلك !..

كانت تريد أن تقنع نفسها بأنها مازالت تحب لامورسيير .. وتحبه وحده .. وانها لم تحطم حياتها بيدها ، كما كانت مقتنعة بأنها فعلت ذلك حقا ...

* * *

كانت تعمل ممثله عندما التقت بلامورسيير للمـــرة الأولى .. واى ممثلة ؟ لقد قامت بدورين او ثلاثة أدوار صغيرة .. وهـــذا كل شيء .. وكان أهم دور قامت به على المسرح ان دخلت متجردة الا من ورقة توت صغيرة .. أما لقاؤها بالسينما فكان قاصرا على أطياف عابرة لا تكاد تظهر فيها حتى تختفى . وقال النقاد ان لصدرها ذوقا فنيا رفيعا ..

ولقد عرفت ما ينتظرها عندما دعاها لامورسيير الى العشـــاء اثر تجربة عرض للازياء ، ولكنه لم يطل السهرة معها تلك الليلة ، اذ كان عليه أن يلحق بالقطار فى الفجر ليدافع عن عميل له فى مدينة ريفية صغيرة .. ولكن بعد أن قال :

ـ ســـوف أراك ثانيـــة عمـــا قريب .. هـــل تعـــدينني ؟.. أتقسمين ؟..

وطال تظاهر فلورانس بالتفكير فى الأمر ، ولكنها سمحت له فى النهاية أن يطارحها الهوى .. وكانت تتساءل عما اذا كانت مثـــل هذه الاساليب العتيقة يمكن أن تنجح الآن ؟.. ولـــكن ماذا لديهـــا تخشى عليه الضياع ؟..

كانت تقول له : أن الأمر جد خطير .. ولست واثقة من حقيقة مشاعرى .

ليس ذلك لأنها فتاة صغيرة بعـــد .. فقد كانت لها تجـــارب

www.jadidpdf.com

سابقة .. ولكن الأمر يبدو مختلفا معه ، فهو لا يشبه فى شىء أولئك الشبان الأغرار الذين يتسكعون حول البـاب الخلفى للمسرح .. فكانت أوداج لامورسيير تنتفخ زهوا وغرورا ، شأن أى فاسق يدب نحو الشيخوخة !..

فلما استجابت له ، أخيرا ، بعد تمنع كان كافيا لاثارة لهفـة لامورسيير وتشوقه ، كان يريد أن يعرف موضعه بين من عرفتهم قبله! . كان فى حبه شديد الحماس ، يود أن يتفوق على كل هؤلاء الصبية الذين حدثته عنهم !.

وكان يصحبها للعشاء والسهر فى الخارج كل مساء ، فما لبثت أن قالت له فى استحياء ذات ليلة :

ـ انك تروعنى بكل هذا القدر من النقـود الذى تنفقه على فى المطاعم ..

ترى هل كانت مخلصة ؟ أم أنها كانت تعلم أن خير الوسـائل لكسب الرجل الفنى أن توفر نقوده .

ودعته الى العشاء فى شقتها الصغيرة فى ضـواحى باريس .. وهناك أعدت له بعض الاطعمة البسيطة على موقد غاز صغير، فراح يتناولها فى تلذذ واعجـاب . وذات مرة أخرج حافظة نقوده وهـو يقول :

ـ اننى لن أدعك تنفقين على اطعامى يا فلو !..

وتلا ذلك مشهد مثير ، نجحت خلاله فى اعتصـار الدموع من عينيها .. فما الذى يظنه فيها ؟.. انها لتفضل الا تراه بعد ذلك أبدا ، حتى ولو كان فى ذلك شقاؤها . كانت تختبر قوتها وتأثيرها عليه ...

وذات مساء ـ أم لعل ذلك كان قبيل الفجر ـ وجد لامورسيير ايصال رهن تحت منفضة السجاير ، ولكن فلورانس صاحت تقول :

ـ أعد لى هذه الورقة ، فليس من حقك أن ...

وأكملت عبارتها بالدموع الغزيرة تسكبها بين ذراعيه ..

ـ الا تثقين بى يا صغيرتى ؟..

فاعترفت بكل شىء ، ومازالت الدموع تسيل فوق وجنتيهـا

www.jadidpdf.com

وتحرها ... كان أروع دور تمثله فى حياتها ... نعم ... لقد اضطرت الى أن ترهن خاتما الماس .. لم يكن كبيرا بطبيعة الحال ، ولكنها كانت مفرمة به كثيرا .. اذ كان لوالدتها من قبل ..

ـ ولكن لدى فيلم سينمائى سوف أشترك فى تمثيله .. فيلم عظيم !. وسأذهب لمقابلة المنتج هذه الأيام ، بل كان ينبغى أن اذهب للقائه قبل ذلك ، فهو لا يكف عن الاتصال بى تليفونيا ... ولكنه شخص فظيع ! . انهم جميعا يخيفوننى .. فتلك الطريقة التى ينظرون بها اليك ، ويلتهمونك بأعينهم !...

وفى اليوم التالى انتقلت الى قصر لامورسيير التاريخى فى شارع سان بير .... فهل تستطيع أن تنسى البتة تلك الأعوام السعيدة التى عاشتها فيه ؟.. لقد أحبت لامورسيير حقا .. أحبته دون غرض أو طمع ، أكثر مما يمكن افتراضه فى مثلها عند بداية علاقتهما .. لقد ذاقت عن طريقه حياة الترف والأمان .. وانبثقت فى نفسها رغبة ملحة فى حياة الاستقرار العائلى ، وتمنت لو انها انجبت منه أطفالا ..

وتملكها الخوف فى بداية اقامتها بالقصر، ولكنها سرعان ما اعتادت العيش فيه ... ولم تحاول قط أن تضايق عشيقها أو تجعله يبرم بها .. كانت تنصت له طويلا لا تنبس بكلمة الا بين الحين والحين .. وقرأت كثيرا ، واكثرت من زيارة المعارض الفنية ، وترددت على حفلات الموسيقى الراقية ، واحسنت أدارة شئون المنزل حتى لقد كانت تحصى الاوانى المذهبة أثر كل وليمة !.. وكانت الحفلات التى تقيمها يسودها جو من المرح والرغبة !.. كانت كل حركة تأتيها ، أو طرفة من عينها ، أو الطريقة التى تضع بها ساقا فوق الأخرى ، تبدو للحاضرين وكأنها دعوة خاصة !.. لماذا ؟.. لقد كانت أشد الناس اخلاصا لرجلها .. ولكن العشيقة تبدو دائما أسهل منالا من الزوجة فى نظر الآخرين !..

وكان لامورسيير خليقا بأن يعيش أعزب لولا أنه كان متزوجا خلال الثلاثين عاما الأخيرة من امرأة موفورة الثراء من أسرة ريفية محترمة كانت تفضل البقاء فى بلدتها الصغيرة ... ولم يعرفها أحد فى المجتمع

www.jadidpdf.com

الباريسى ، بل كان لامورسيير نفسه ، لو أنه راها مصادفة ، خليقا بألا يعرفها !.. فقد حصلت على قرار بالانفصال عنه بعد عامين فحسب من حياتهما الزوجية ..

كانت فلورانس وحدها هى التى تملأ حياة لامورسيير .. كانت زوجته الحقيقية ، أو زوجته الأخيرة ، وأصبحت بالنسبة له عادة لا يستطيع الاقلاع عنها ، والعادة هى المظهر الوحيد الذى يبقى من الحب .. كان مجرد « وجودها » معه هو الذى يحتاج اليه ، أكثر من شخصها .. ولكن وا أسفاه .. ان « الوجود » وحده لم يعد يكفى فلورانس فقد تبينت وهى بعد فى الرابعة والثلاثين ، ان لبدنها عليها حقا ...

* * *

ظلت فلورانس تسير فى حجرتها على غير هدى ، بعد أن غادرت المطبخ بوقت طويل ، وهى ترتدى غلالة رقيقة تكشف عن مفاتنها ، وقد جفا النوم جفونها ، واستبد بها الشعور بالوحدة والشقاء ..

واخيرا قالت بصوت مسموع : سوف أحضر شيئا اقرؤه ..

وفتحت باب المكتبة فى حذر وحرص ، كأنما هى ذاهبة خفية الى موعد مع بيير أنج ...

تماما كما حدث منذ اسبوع واحد .

كانت قد خرجت لتوها من الحمام ، والتفت فى ثوب منزلى خفيف ، ودفعت هذا الباب نفسه دفعة قوية ، حيث كان بيير انج يعمل فى المكتبة ، ثم وقفت مكانها وهتفت فى ارتياع :

ـ آه !. معذرة !.. لقد نسيت تماما ...

يا للكاذبة !.. لقد خرج السائق منذ برهة مع لامورسيير ، وذهبت مارى الى السوق تبتضع ، وارسلت فلورانس وصيفتها الى الحلاق لتلغى موعدها معه (وكان الاسهل ان تلغى الموعد تليفونيا ..) وهكذا كان البيت خاليا الا منها ومن بيير أنج ..

كان العطر يفوح من ثنايا ثوبها .. وهى لا تذكر الآن تفاصيل ما حدث ، فكل ما تذكره أنها كانت تهمس قائلة : ماذا فعلنا ؟.. هل أصابنا الجنون ؟..

www.jadidpdf.com

وهى اذ تستلقى الآن على الأريكة المكسوة بالجلد ، وتذكر ذلك اليوم منذ أسبوع مضى ، كانت تشعر بأنها تزداد لهفة الى الجنون ! .

- ٢ -

فى نحو التاسعة من مساء ذلك السبت نفسه العاشر من فبراير وفيما كانت فلورانس ولامور سيير يستقبلان مدعويهما فى مطعم الشانزليه ، كان روبير لارينيه ، وهو شاب فى الرابعة والعشرين ، يعمل كاتبا فى مخزن أحد المصانع ، ينتظر عشيقته فى مقهى صغير بشارع الفلاندر ..

كان روبير شابا ملىء الجسم ، متوسط الطول ، يكاد وجهه المنبسط يخلو من أى تعبير .. فلما أخذ يفك أزرار معطفه ، ويخفف من احكام الشملة (الكوفية) الملتفة حول عنقه المكتنز ، كان يبدو عليه الانشغال والتفكير منذ أن ظلت ايونين ، زميلته فى العمل ، تحوم حوله طوال فترة بعد الظهر ، وتلهب مشاعره بالحديث عما كان يمكن أن ينعما به لولا وجود هاجولان .. وما اكثر ما شبع روبير عن الحديث عن هاجولان !

وأحضر له الساقى قهوته .. خمسة وعشرين فرنكا .. وهو قد أنفق لتوه ثمانين فرنكا أخرى فى كأس من الشراب ، وبقى معه أربعمائة وعشرة ، سيدفع منها ثمن القهوة ، وستنقضى بعد ذلك بما ستوف تطلبه أبونين !. ولسوف تطلب قدحا من القهوة هى الاخرى ، اذ كان عليهما أن يقتلا الوقت حتى الساعة العاشرة ..

كانت أبونين قد قالت له : ستكون الطفلتان نائمتين فى العاشرة . وعندئذ يمكن أن يذهبا معا الى منزلها ...

وكانت عادة هاجولان أن يسهر مساء السبت حتى منتصف الليل ، قبل ان يعود الى المنزل .. وهكذا تتوفر لهما ساعتان كاملتان للقاء على انفراد .

وأتت ابونين ، لاهثة الانفاس وهى تقول :

ـ لقد ذهبت الطفلتان الى الفراش ، بعد أن جهزت لهما العشاء

www.jadidpdf.com

والقت بنفسها على المقعد مجهدة ، وهى تكاد تلتصق بالشـــاب ... وما لبثت أن قالت :

ـ لماذا لم تنزع معطفك ؟.. سوف تصاب بالبرد عندما تخرج من هنا ...

ومدت يدها تفتـــح ياقة معطفها الأســـود المصنوعة من فراء الارانب وأزاحت شعرها الطويل الحائل اللون الى الوراء فوق كتفيها

وأتى الساقى ليسأل . ماذا تطلب السيدة ؟ .

فأجاب روبير سريعا : قهوة أيضا ..

وعندئذ أراحت وجهها على كتف روبير ، قائلة :

ـ أترانا فى حاجة الى القهوة لنظل ساهرين ؟..

فلما ابتسمت ، بدت فى وجهها آثار مخالب الفقر والعاطفة معا .. ومع ذلك فلم تكن تخلو من جمال غريب ، أبرز ما فـــه عينـــاها اللامعتان اللتان تنطقان بالقوة والاستكانة فى وقت واحد ...

كانت فى بادىء الأمر لا تقدر لعلاقتها بروبير أن تطول ، فهى تكبره سنا ـ أذ هى فى الرابعة والثلاثين ـ ولا ترى ما يجذبه اليها الا ان تستجلب رضاه بما تبذله له من خدمات يسيرة .. كانت تعمل معه فى مخزن المصنع ، وعلى نفس المنصة .. فكانت تغسل ثيابه، وتصلح جواربه ، وهكذا بدأت صلتهما تزداد توثقا حتى انتهت الى ما أصبحا عليه ...

وراحت ابونين ترشف قهوتها فى صمت ووجوم فلما ســـألها عما بها ، ارتجف بدنها وهى تقول :

ـ سوف ينتهى كل شىء الليلة ... اليس كذلك ؟..

ـ ماذا تعنين ؟..

ولكنها لم تجبه ... ترى فيم كانت تفكر حقا ؟.. فى علاقتهـــا بروبير ، أم فى ذلك القضيب الحديدى الذى أخفته خلف خزانة ثياب هاجولان بينما كانت طفلتاها تتناولان العشاء فى المطبخ ؟.

القضيب الحديدى !.. لقد ظلت طوال فترة بعد الظهر ، وهى تتمشى مع روبير مستندة الى ذراعه ، تفكر وتمعن التفكير فى الخطة التى أعدتها .. لم يكن من العدل فى شىء أن تحب روبير ثم تخسره فى الوقت نفسه ..

www.jadidpdf.com

لقد اعتادا على اللقاء فى مسكنه ، حيث يقيم فى حجرة من فندق صغير يطل على ترعة سان ميشيل .. وكانت الأمور تسير على ما يهويان طالما كان يعيش بمفرده ، ولكن أخاه أتى ليعيش معه ، بعدأن قضى شهورا عدة فى المستشفى .. وكان من المستحيل أن يستأجر غرفة اخرى ، فكثيرا ما كان يقول لها : «ان النقود لا تشبه الوباء!.. فليس فى وسعك أن تعطيها للآخرين بينما تحتفظين بها لنفسك !.» كانت مدخراته هى الاله الوحيد الذى يعبده الاله الذى يبعث الطمأنينة فى نفسه ، ويظل دائما معه ! . انه يتمثل فى خمس وعشرين ورقة من فئة الألف فرنك !.. ولكنه مع ذلك اله شحيح عبوس !.. فلماذا يستأجر غرفة اخرى فى حين كانت ابونين تقطن شقة فسيحة!.

كانت العقبة الوحيدة هى عشيقها السابق ، وهو كهل يدعى فكتور هاجولان ، ظل يقيم فى مسكنها رغم أنها لم تعد لها به صلة تربطهما .. وكان روبير يقول لها :

ـ لماذا لا يجلو هاجولان العجوز عن المسكن ؟.. كل ما عليك أن تطلبى اليه الرحيل !

ـ لقد طلبت منه ذلك مئات المرات .

ـ وبماذا كان يجيبك ؟

ـ قال اننى اذا كنت لا أحب عشرته ، فما على سوى أن أرحل انا ...

ـ يا للوغد !.. ألست انت التى تدفعين الايجار ؟.. ألم تقولى له ذلك ؟..

ـ وماذا يهمه ؟.. انه لن يبرح المنزل الا محمولا على الاكتاف تسبقه قدماه !.

وهكذا بدأت « الفكرة » تمد جذورها فى رأسها .. تسبقه قدماه !.. الا ليته يموت !.. كانت لا تفتأ تقول لصديقها :

ـ قلت لك انه لن يخرج أبدا .. وليس أمامنا الا أن نقتله ...

فيحتج روبير قائلا : دعك من هذا الهراء ...

ـ وهل تحسب ما يقوله هاجولان هراء أيضا ؟

ـ ماذا قال ؟..

www.jadidpdf.com

ـ قال انه سوف يحطم كل عظمة فى جسمك اذا ضبطك معى !..

فيرفع روبير حاجبيه دهشة ، وهو يسخر منها فى أعماقه ، ولكنها تومىء برأسها وتستطرد قائلة :

ـ اما انا فيقول انه سوف يمزق وجهى !..

وظلا أياما عديدة يتحدثان على هذا النحو ، بينما كانت الفكرة تسيطر على عقل ابونين وتستبد بتفكيرها ... كان هاجولان يقف حائلا بينها وبين سعادتها ، ولم يعد امامها الا ان تتخلص منه .. ولكنها تعلم انها لا تستطيع الاعتماد على روبير ، فهو يحاول دائما أن يثنيها عن عزمها كلما أعدت خطة للوصول الى هدفها ، ويقول لها :

ـ لا تتحدثى عن ذلك قط .

او يسخر منها قائلا :

ـ انك تريدين أن تقتليه .. ولكن بأى سلاح ؟ . أحسبك قد أعددت مسدسا تحت وسادتك !.

ـ سوف اظل أضربه حتى الموت ..

ـ وكيف ؟ .. بقبضتى يديك ؟..

وكان ان ذكرت وقتئذ ذلك القضيب الحديدى الذى يضعه هاجولان مع أدواته القديمة فى صوان مهمل عند قمة الدرج خارج المسكن .. فقالت :

ـ بل بقضيب من الحديد ! ..

فقهقه روبير ساخرا ، وهو يقول :

ـ حسنا .. لقد كبرت العملية ! . ولكن حذار أن ينالك قبل أن تقضى عليه ! ..

فلما كثر حديثهما فى هذا الأمر ، أخذا يعتادان الفكرة تدريجيا .

* * *

كان مسكن ابونين مكونا من حجرات ثلاث ، ويقع فى الطابق الرابع من مبنى عتيق فى شارع سيربور .. فكانت تأوى مع طفلتيها ، كل مساء ، الى الحجرة الكبيرة الخلفية ، تاركة الحجرة الصغرى لهاجولان (الذى كان يدفع لها كل أسبوع ألفى فرنك

www.jadidpdf.com

لفراشه وطعامه ؟ .. أما المطبخ فكان بابه مؤديا الى الطرقة الخارجية ..

وهمست ابونين قائلة .

ـ اجلس هنا ريثما أذهب لأرى هل نامت البنتان ..

فجلس روبير على مقعد صغير فى المطبخ .. ولم تشعل ابونين الضوء ، غير أن بصيصا خافتا كان يتسرب من احدى النوافذ ..

كانت ريرو ، وهى فى الحادية عشرة ، ترقد فى فراش أمها ، على حين رقدت فرانسيت التى تبلغ الثالثة عشرة على اريكة فى ركن آخر من الحجرة .

واستيقظت فرانسينت فزعة وهى تقول :

ـ من هذا ؟ .

ولكن أمها قرصتها قائلة :

ـ نامى أيتها البنت الشقية ..

ثم عادت الى روبير وقبلته ، ولكن القبلة زادت من قلقه .. كان يتنفس فى صعوبة ، وكان خائفا يخشى أن يعود هاجولان فجأة وهو لم يره قط من قبل .

وغمغمت ابونين :

ـ سوف نذهب الى حجرتى بعد خمس دقائق ..

ـ وماذا يحدث لو عاد العجوز ؟ .

ـ لن يستطيع دخول الحجرة ، فسوف أحكم رتاجها ..

ـ والطفلتان ؟ .

كانت أول مرة يفكر روبير فيهما ..

ـ انهما لن تسمعا شيئا عندما تناما ! ..

فزمجر روبير قائلا :

ـ لست أحب ذلك البتة ..

ولكنه تبع ابونين الى حجرتها ، رغم ارادته ؟ وهناك همست تقول :

ـ ها أنت تراهما مستغرقتين فى النوم .. يمكنك ان تخلع معطفك ..

www.jadidpdf.com

واحكمت رتاج الباب ، واخذت المعطف منه بينما نزع روبير شملته ووضعها على ظهر أحد المقاعد .. كان لا يكاد يميز أثاث الحجرة فى الظلام ، وخيل اليه أن الطفلتين تحدجانه بأنظارهما . ورفعت فرانسيت راسها قليلا ، وهى تحاول أن تتبين ما يدور حولها ، ولكن أمها نهرتها قائلة :

ـ ألم تنامى بعد ؟ .

ففمغمت الفتاة :

ـ اننى خائفة ..

فأراد روبير أن ينصرف ولكن ابونين أجلسته بجوارها على طرف الفراش ، حيث ظلا صامتين ، والمراد ترقب مرور الدقائق على صفحة الساعة المضيئة .. ولكن روبير ظل واجما ، وهو يفكر فيما يحدث لو استيقظت الطفلتان ووجدتا رجلا غريبا فى مخدع أمهما ..

وقبلته ابونين قبلة صامتة وهى تهتف باسمه ..

وفى تلك اللحظة عاد الرجل الكهل من الخارج ..

* * *

سمعاه يغلق الباب ، وهو يصفر بشفتيه .. فأمسك العشيقان أنفاسهما ، وقد تملك قلبيهما قلق غامض .

وهمست ابونين :

ـ انه لن يلبث أن يذهب الى فراشه ..

ولكن الكهل لم يكن فى عجلة للذهاب الى الفراش .. فقد سمعاه يغسل يديه ، ويشعل الموقد ، ويفتح زجاجة بصوت مسموع ، ثم خرير النبيذ فى الكوب ..

ـ يا للوغد ! .

وتقلص وجهها بغضا وكراهية ، وانحنت الى الأمام وهى تنصت مليا ، وقد راحت اذناها الشبيهتان برادار حساس تفسران كل حركاته :

ـ انه يقطع الخبز .. ويصب لنفسه كأسا اخرى من النبيذ .

www.jadidpdf.com

ها هو ذا يبحث فى الصوان . ترى ما الذى يبحث عنه ؟ . السكر ؟ . انه فى صندوق صغير من الصفيح .. ثلاث قطع . هذه عادته دائما ، يحب ان يأخذ ثلاث قطع من السكر .. ولكن روبير يكتفى بواحدة .. ثم ان روبير لا يشرب سوى الماء القراح .. صحيح أن هاجولان يحضر ما يحتاجه من النبيذ .. ولكن هل كان ينبغى أن ازوده بالخمر وكل شىء نظير الفى فرنك ؟ .

وانحنت تقبل يد روبير وتهمس له :

ـ هل تحبنى ؟ . سوف ينتهى كل شىء حالا ..

واتى هاجولان الى الباب يهزه صائحا :

ـ أين أنت أيتها العاهرة ؟ .

فتعلقت ابونين بروبير ، وهى تقول :

ـ لا تتحرك من مكانك فانه ثمل !.

ـ الا تسمعيننى أيتها العاهرة ؟ . اسرعى ياخراج الحمار الذى معك من هنا حالا ، والا ...

وسار مبتعدا عن الباب ، فسمعا صليل السكين على الطبق ، وادركا انه ما زال يأكل ..

وغمغمت ابونين :

ـ سوف اذهب لاقتله ..

فأدار روبير ظهره حتى لا يراها ، وقال ساخرا :

ـ حسنا . ولكن حذار ان تخطئيه .

وعادت ابونين تهمس فى اذنه :

ـ هل تحبنى ؟ .

ولكنه لم يجب كانت عيناه مثقلتين بالنعاس ، وما لبث ان استغرق فى النوم . على حين راحت ابونين ترهف سمعها وتنصت لما يفعله هاجولان .. سعاله .. ثم وقع اقدامه على الارض ، وصرير الفراش تحته .. ولكنه لم يطفىء النور بعد .. لا ريب انه يقرأ كعادته ..

واخيرا اختفى شعاع الضوء المتسلل تحت الباب .. فانحنت ابونين فوق روبير .. وكان نائما .. فطبعت على وجهه قبلة

www.jadidpdf.com

رقيقة ، ولكنه زمجر وادار وجهه .. وبدأ غطيط هاجولان يطرق مسامعها .. يا للوغد ! . يا للوغد العجوز . .

ولم تتحرك ابونين من مكانها فترة طويلة .. روبير .. هاجولان .. ان الرجلين اللذين تحب أحدهما وتمقت الآخر يغطان في النوم حولها .. وهي وحدها الساهرة .

وقامت تسير نحو الباب ، وترفع الرتاج في خفة ، وقد تركز تفكيرها كله في اللحظة الخالدة التي ترتمي فيها على قدمي روبير قائلة .

ـ أخيرا يا حبيبي ! . في وسعنا أن نسعد الآن ، وأن نسعد الى الأبد ! .

وتسللت الى حجرة هاجولان ، دون أن يند عنها صوت ما .. كانت أشبه بشبح شيطاني .. ولم تكن الستائر مسدلة في احكام ، وكانت عيناها قد اعتادتا الظلمة ، واستطاعت أن تميز رأس هاجولان على الوسادة على الفور .. « سعداء .. سعداء الى الأبد » .. كانت الكلمات تدوي في أذنيها متتابعة كصوت عجلات القطار ..

واحضرت القضيب الحديدي من خلف خزانة الثياب ، ورفعته فوق رأسها في يسر .. وكان غطيط هاجولان ، الوغد ، لا يزال يصك مسامعها .. وعندئذ هوت على رأسه بكل قوتها ..

وكانت اللحظة التالية دهرا طويلا ..

وفتح هاجولان عينين زائغتين ، يتواثب الذعر منهما .. ثم قال :

ـ أهذه أنت ؟ .

وهز رأسه في بطء ، ثم رفعها وراح ينظر الى ابونين التي تملكها فزع رهيب ، وما لبث أن أزاح الأغطية وطوح بساقيه فوق حافة الفراش ..

وعاد يقول من جديد :

ـ أهذه أنت ؟ .

وعندئذ انطلقت صارخة ، شديدة الارتياع :

www.jadidpdf.com

ـ روبير ! .

واستيقظ روبير مجفلا ، وهو لا يدرى أين هو .. ورأى الضوء يشع فى الحجرة المجاورة ، حجرة هاجولان .. وعندئذ تذكر هاجولان ! .

وبدأ يفهم الموقف شيئا فشيئا ، ولكن تفكيره اتجه بادىء ذىء بدء الى الطفلتين .. فما ينبغى أن يسمعا شيئا .. واذ رآهما لا تتحركان فى مرقدهما ، اندفع فى قفزة واحدة نحو الباب المفتوح .

كانت ابونين تصارع رجلا نصف عار ، تغطى الدماء وجهه .. وكانت تتشبث بقضيب حديدى ، على حين كان الرجل يحاول أن ينتزعه منها وهو يثنى القضيب من ناحية لأخرى .. كان يهزها فى عنف ، ويدفعها يمنة ويسرة ، ولكنها تشبثت بسلاحها ، كأنما التصقت به يداها ..

وما كاد هاجولان يلمح روبير ، حتى نسى كل شىء عن ابونين ، وخطا الى الوراء ، واتخذ موقف مصارع يدافع عن نفسه وقد انفرجت ذراعاه ، وانثنت ركبتاه وامتدت راحتاه مفتوحتين الى الأمام ..

ولم يحدث شىء بينهما .. كان روبير ينظر اليه .. وكان هو ينظر الى روبير .. كانت الدماء المتدفقة من جبهته تعمى ناظريه ، فيمسحهما بظهر يده .. ونظر الى يده فرآها حمراء قانية تكاثفت عليها الدماء الساخنة اللزجة ..

وعندئذ انطلق صائحا :

ـ الى النجدة ! . الى النجدة ! .

فاندفع روبير نحوه وهو يهتف محذرا :

ـ صه ! .

كان يخشى أن يسمعه الأطفال .. والجيران .. أما وقد أصبح الآن وجها لوجه مع الرجل العجوز فانه لم يعد يخشاه ، فمد احدى يديه يطوق بها هاجولان ، بينما أطفأ النور بيده الاخرى .. وكأنما خيل اليه أن الظلمة ستخنق صيحات العجوز ..

ـ الى النجدة .. الى القاتل ! .

www.jadidpdf.com

وكافح هاجولان حتى تخلص من قبضة غريمه ، وانقض على سكين كبيرة كانت فوق المائدة ، واندفع بها على غير هدى صوب ابونين ، فأصابها بخدش فى ساعدها ، وعندئذ صرخت :

ـ لقد قتلنى ! .

فانقض روبير ثانية على هاجولان ، وامسك بذراعيه خلف ظهره ، على حين أخذ العجوز يكافح فى يأس مرير ، وهو يعوى ككلب جريح ، وأخذ الرجلان يترنحان فى الحجرة وقد التصق كل منهما بالآخر ، يقلبان المرائد والمقاعد ، ويحطمان الأطباق والأكواب .. وبدأ روبير يدفع هاجولان نحو الحجرة الخلفية ، حتى لا يصل صوته الى الأسماع .. كان يريد أن يسكته قبل كل شىء ، ومضى ينتهره قائلا :

ـ صه .. اصمت ! .

وبدأت قوى هاجولان تخور ، وراح يتنفس فى صعوبة .

واستبد الذعر بالطفلتين ، فأسرعت احداهما تشعل الضوء ، وعندئذ وضعت الكبرى يديها على عينى أختها صائحة :

ـ لا تنظرى هناك ! .

وقادتهما الأم الى حجرة هاجولان الخارجية ، فانكمشتا فى الفراش خائفتين ، بينما كانت تأمرهما بأن تخلدا للنوم ! .

وكانت تجر القضيب الحديدى فى يدها ، فقالت فرانسيت وهى تنشج باكية :

ـ يا لله .. لا تفعلى يا أماه ! .

وعادت ابونين الى الحجرة الخلفية ، حيث كان روبير يمسك الرجل أمامه وقد غرس أظافره فى ساعدى هاجولان المكتنزتين .. وعندئذ رفعت ابونين القضيب وهوت به ثانية على مؤخرة عنقه .. فصرخ من جديد :

ـ الى النجدة ! .

وأرادت أن تكتم صرخاته ، فوضعت يدها فوق فمه ، وعندئذ عضها عضة قوية .. فصرخت فى ألم ، بينما قال لها روبير :

ـ شملتى .. هات شملتى وكممى بها فاه ..

www.jadidpdf.com

كان هو الآخر يتنفس في عناء ، وقد بدأ الصراع يهد قواه .. وأحضرت ابونين الشملة من مستقرها فوق المقعد .

كان هاجولان قد صمت الى الأبد ، واستلقى على ظهره بلا حراك وقد جحظت عيناه .. وانحنى روبير فوقه ، ثم قال :

ـ لقد انتهى كل شيء ..

ولم ينبعث في أرجاء المنزل الكبير صوت أو حركة ..

* * *

جلس روبير على الفراش ، واضعا رأسه بين يديه ، مرتكزا بمرفقيه فوق ركبتيه ، وهو يمعن الفكر في عواقب مقتل هاجولان ، وهي تبدو مشوشة في ذهنه .. وصاح بالمرأة قائلا :

ـ يجب أن تغمضي عينيه ! .

ثم استلقى على الفراش وأدار وجهه نحو الحائط .. كان لا يطيق أن يرى الجثة ثانية .. أو يرى ابونين .. انها مجنونة ، لا شك في ذلك ولا ريب .. لقد كانت جادة اذن عندما كانت تتحدث عن قتل هاجولان .. كأنما قتل انسان يكفي للخلاص منه ! .

ودهشت ابونين اذ لم تستشعر الفرحة التي كانت تتوقعها من مقتل العجوز .. ولكنها تمالكت روعها ، وراحت تنظم الحجرة ، وتغسل آثار الدماء ، وتدهن الارض بالشمع وتلمعها ، في دأب كالنحلة .. كما نظفت سترة روبير التي لوثتها الدماء .. ولكنها كانت تتحرك كمن يسير أثناء نومه ، وتشيح بوجهها عن الجثة كلما مرت بها .. كانت ترفض أن تنظر اليه .. أما وقد مات هاجولان فما من سبب يدعوها لأن تراه ثانية ! . لقد ذهب وانقضى ولم يعد له من وجود ..

كانت تنحني على الطفلتين كلما مرت بهما لتقبلهما .. وجهزت كمية من القهوة ، ولكن روبير نحى قدحه جانبا ، فقد كان عاجزا عن ابتلاع قطرة واحدة ..

www.jadidpdf.com

ونصحته ابونين أن يحاول النوم قليلا ، ولكنه كان يتقلب مرة بعد اخرى ، فى حركة مفاجئة ، ليقول لنفسه : هذا محال . لقد كنت أحلم ..

ولكن الجثة كانت لا تزال فى موضعها ، بوجهها الشاحب المصفر ، وعينيها الجاحظتين وقد أحاطت بهما هالات زرقاء .. لماذا ضربته بالقضيب الحديدى ؟ . ولماذا خنقته بالشملة ؟ . لقد كان فى وسعه حتى تلك اللحظة أن يفر خارجا ، وأن يأخذ معه جثته هذه ! . هذه الجثة الضخمة البيضاء الملقاة فوق الارض .. نعم .. لماذا ؟ . لماذا ؟ .

وكان كلما اقتربت منه ابونين التصق بالحائط .. وانسحب مختفيا خلف ستار من الصمت ، لا يجيب بكلمة واحدة كلما وجهت اليه قولا ..

وعندئذ راحت تكلم نفسها ، وتحاول فى صوت مبحوح ملىء بالشكوى والتذمر أن تلتمس المعاذير والحجج .. « لقد كانت غلطته قبل كل شىء . كان على هاجولان ان يترك لنا المنزل .. وقد طلبنا اليه أن يرحل ، ولكنه كان يريد أن يقتلنا .. كان كثيرا ما يقول انه سوف يقتلنا .. كان يجب أن يقتل هو أو نقتل نحن » .

فطلب اليها روبير ، فى صوت ثائر أن تكف عن اقحامه معها بقولها :

نحن .. فلم يكن له شأن بما حدث .. بل انه لم ير هاجولان قط من قبل .. وهو لم يطلب الى ابونين أن تخنقه بالشملة ، بل طلب اليها بكل بساطة أن تكممه بها حتى لا يسمع أحد صراخه .

كان يتوقع وصول رجال الشرطة بين لحظة وأخرى .. وأدهشه أن احدا لم يطرق الباب عليهما حتى الآن .. لقد سمع الجيران صيحات العجوز واستغاثاته ، بلا ريب ، ولن يطول المدى حتى يحضر رجال الشرطة .. وسوف يأخذون ابونين معهم .. ولكن ماذا يكون من أمر البنتين ؟ .. من الذى سيعنى بهما ؟ .. وكان واثقا من أن المتاعب سوف تحيط به هو الآخر ، ولكنه كان يحس بأنه بعيد عن القتل ، برىء منه ، بحيث لايجد مايدعو للقلق من

www.jadidpdf.com

ناحيته هو .. كانت ابونين فى المقـام الأولَ ، والدور جد خطير بالنسبة لها .. وليس فى وسعه أن يتخلى عنها .. ولكن لمـاذا بحق السماء ، فعلت ذلك ؟.. لماذا ؟.. لماذا ؟.. بيـد أن هذه الاسئلة لن تجديهما الآن شيئا ، وليس هذا أوانها !..

ولاح ضوء الفجر ، يصحبه مطر منهمر يصك النوافذ صكا.. وأزاحت أبونين الستائر ، وبدأت الحياة تدب فى المبنى ، وأخذ الناس يصعدون الدرج ويهبطون .. وكان روبير يقفز مجفلا كلما انبعث وقع الاقدام فوق طرقة الطابق الرابع ..

واعدت أبونين الافطار لابنتيها ، وكانتا تحولان أنظارهما عن أمهما ، كلما تلاقت أعينهما ..

وقالت فرانسيت ان ثيابى فى حجرة النوم وكذلك ثيـاب ديرو .

وأطرقت براسها الى الارض وهى تستطرد قائلة :

ـ حجرة النوم الخلفية ! .

واحضرت ابونين الثياب ، وارسلت طفلتيها الى الكنيسة ، قائلة :

ـ حذار أن تقولا شيئا لأى شخص .

ـ كلا يا أماه !..

وكانت هذه الاشارة الوحيدة الى أحداث الليلة الماضية .

وانساها ـ انهماكهافىأعمالهاالمنزلية ـ الجريمةلحظة ، فراحت تنظم الاسرة وتكنس الابسطة .. وعندما فتحت النافذة لتنفض ممسحتها ، كانت الموسيقى الرقيقة الهادئة تنبعث من أكثر من مذياع ..

لقد حدث ما حدث وانتهى الامر .. وفضلا عن ذلك كان الامر كله بسبب غلطة هاجولان نفسه !.. أما الآن فان لديهما مشاكل أخرى أولى بالاهتمام والتفكير ، وليس فى وسعهما أن يتركا جثة هاجولان ملقاة فى مكانها على الارض ..

وطلبت ابونين الى روبير أن يساعدها فى رفع الجثة الىالاريكة ، ثم طرحت فوقها معطفا واقيا من المطر .

www.jadidpdf.com

رسألها روبير بغتة ، وقد ضاق صدره بالسؤال فلم يستطع اكتمانه :

ـ لماذا خنقته بشملتى ؟.

ولكن ابونين نظرت اليه فى دهشة ، ولم تجب .. فعاد يردد سؤاله فى الحاح :

ـ شملتى .. لماذا شددتها بعنف حول رقبته ؟..

فبدأت ترتجف ، ثم تقول :

ـ لماذا تقول ذلك ياروبير ؟.. لماذا تقول اننى أنا التى شددتها، وانت تعلم تماما انك الذى فعلت ذلك ؟..

فحملق كل منهما فى الآخر لحظة ، فى نظرات ملؤها الدهشة، والحيرة .. والعداء .. وكاد روبير أن يخرج عن طوره ، ولكن الموقف لم يكن مناسبا للشجار ، فطأطأ برأسه قائلا : انك لاتذكرين ما حدث على حقيقته !..

ثم عاد الى الفراش .. وراحت ابونين تحاول جره الى الحديث، فى حنان :

ـ ألا تشعر بالجوع ؟.. أو البرد ؟.. لقد كويت سترتك ، ووجدتها تنقص زرارا فوضعت آخر مكانه ..

ولكن أسنانه ظلت مطبقة ، فلم يجبها بشىء ..

وعادت البنتان من الكنيسة ، فأعطتهما بعض الطعام ، وأرسلتهما الى السينما ..

وبدأ الامل يراود روبير قليلا ، بعد أن اختفت الجثة التى كانت ملقاة تحت أقدامه .. ألا ليت ابونين تستطيع الخلاص من هذه المحنة !.. وراح يمعن الفكر لعله يجد لها مخرجا ..

فلما عادت اليه ثانية ، قال فى غلظة :

ـ اننا لن نستطيع تركها هكذا ..

فأجابته على الفور : سوف اعنى بالامر ..

لقد قرأت فى بعض القصص البوليسية ان الجثث يمكن أن تذاشيها الاحماض أو الجير الحى ..

ـ أحسبك قد جلبت بعض الاحماض أو الجير لهذا الغرض؟..

www.jadidpdf.com

ولكنها فيّ تلك اللحظة كان أشد ما يزعجها ويشغل تفكيرها هو أن تستعيد روبير اليها .. فلماذا انقلب ضدها ؟ ليس ذلك من العدل فيّ شيء !..

فلم تفعل ما فعلته الا من أجله هو ..

ـ لا تشغل بالك بهذا الامر ، فسوف أعنى به بنفسى ..

فقال روبير هامسا :

ـ اننا لن نستطيع اخراجه من المنزل بهذه الطريقة .. فأين يمكن أن نضعه ؟..

كان يعلم انه يزج بنفسه فى المتاعب ، وانه لو كان على قدر من الحكمة والتعقل لظل صامتا .. ولكن هل فى وسعه حقا أن يترك ابونين وشأنها ويتخلى عنها ؟.. كان يقول « نحن » و « اننا » بصيغة الجمع على سبيل المجاملة ، ولكنه كان يجد صعوبة بالغة فى النطق بها .. ثم ما الذى كانت تفكر فيه بحق السماء ؟ ألم تكن تدرك أن الرجل اذا مات خلف وراءه جثة ؟.. ولم يجد من الملائم أن يصارحها برأيه ، ولم يكن الوقت مناسبا للتأنيب والعتاب .. ومهما يكن من أمر فقد انتهى كل شيء بينهما .. ولن تقوم بينهما علاقة حب البتة .. ولكنه لايستطيع أن يقول لها ذلك الآن .. كلا .. بل ينبغى أولا أن يجدا ..

ـ أحسب اننا كى نخرجه من المنزل ، لابد من أن ..

فهتفت ابونين : ماذا ؟ ..

ولكنه ظل صامتا لا يجرؤ على النطق بما كان يدور فيّ رأسه ..

واستطردت تسأله فى خفوت : ان نقطعه ؟.. هل كنت تقصد ذلك ؟..

وأسرعت الى الصوان الموجود بالردهة الخارجية واحضرت منه منشارا ..

فقال روبير :

ـ انه لايصلح .. فأنت فى حاجة الى منشار جزار ..ويمكنك أن تشترى واحدا من المخزن الذى يقع فى نهاية شارع جان جوريس !..

ـ سوف أذهب غدا لاحضاره ..

www.jadidpdf.com

ـ لابد انه يساوى الفى فرنك .. فهل معك مايكفى من النقود؟
وكانت لديها بعض النقود لحسن الحظ .. وهكذا وجدا مخرجا من الورطة أخيرا ..
ـ سوف أرسل كلمة الى المصنع بأننى مريضة .. سوف أقول ..
وماذا يكون من أمر هاجولان ؟ . سوف ينتظرونه هو الآخر فى ورشة النجارة التى يديرها .. وسيعجب الناس من غيابه ، ويتساءلون عن مكانه .. فهو لم يمرض قط من قبل ..

وقالت ابونين لنفسها : سوف أمر على الورشة يوم الاربعاء لأسألهم عنه .. وسأقول اننى قلقة عليه ، فقد خرج غاضبا ، ولم يترك لى أية نقود ..

كانت غريزة حب البقاء تحرك خيالها وتستثيره .. وكان رد الفعل عندها أسرع من روبير كثيرا .. ومهما يكن من أمر ، فهى لاتشعر بأن الخطر يتهددها بأكثر مما يتهدده هو .. لقد ضربت هاجولان بالقضيب الحديدى من أجله ..
والشملة ؟.. انه هو المسئول عن استعمالها !..

كانت قد اقنعت نفسها بذلك .. لقد قال روبير : شملتى !.. وهى لاتزال تسمعه وهو يردد الكلمة .. لقد كان يريد اذن أن .. وذلك يعنى انه هو ..
وهكذا جذبت روبير معها الى أعماق جريمتها ، كما يفعل السباح المشرف على الغرق بمنقذه !.. ولم يعد ثمة شك فى انهما قد ارتبطا معا برباط وثيق ، فى طريقهما الى مصير واحد ..
ولكنهما فى الحقيقة كانا جد مختلفين .. كل منهما مقتنع ببراءته .. كان روبير يفكر « اننى لم افعل شيئا » ..وكانت ابونين تقول لنفسها : « اننى لم افعل الا ما طلبه منى » ..

ـ ٣ ـ

قبل أن يغلق القوميسير كاريجال باب مكتبه ، ألقى بنظرة ازدراء سريعة على الرجل والمراة الجالسين فوق مقعد خشبى بحجرة الانتظار .. ولم تره المراة ، اذ كانت منحنية الى الامام وقد

www.jadidpdf.com

وضعت راسها بين راحتيها .. اما الرجل فقد كان يتبعه بانظاره، أشبه بكلب أمين ..

وغمغم القوميسير متأنفا : تعساء ، كالعادة !..

وطوح بقفازه وصحفه فوق المكتب ، ثم قال فى قطوب :

ـ لماذا تركتهما معا ياجودان ؟..

فأجاب المفتش مسرعا :

ـ انهما لا يستطيعان الحديث معا ، فمعهما أحد الضباط ليراقبهما .. ومع ذلك فقد اعترفا بكل شىء ..

واحس القوميسير بنغمة ماكرة فى صوت المفتش ، كأنما كاد يعنى حقا أن يقول : لقد اعترفا بكل شىء لى .. أنا المفتش جودان!..

فقال المفتش ، وهو يرد اللطمة بمثلها :

ـ لقد كنت على حق اذن أيها العجوز جودان ، عندما أخذت الامر على محمل الجد .. اليس كذلك ؟.. مع انك لم تكن ترغب فى التحقق منه .. هل لقيت صعوبة فى العثور عليهما ؟..

ـ كلا البتة ياسيدى القوميسير .. لقد وجدتهما فى المصنع، فهما زميلان فى العمل ..

ولم يكن جودان ، وهو من قدماء ضباط الشرطة ، يحب القوميسير ، الذى كان شابا ارتقى سريعا ، وكان يحب المرح ويميل الى صحبة النساء ، وينفق فى بذخ .. من نقودهن ولا شك !..

وفتح شرطى الباب قليلا وهو يقول :

ـ انك مطلوب على التليفون ياسيدى القوميسير .. مكالمة شخصية من سيدة !..

وكان كل من فى المكتب يعرف تلك السيدة ، فهى عارضة ازياء تظهر صورتها فى المجلات دائما ..

وادار القوميسير ظهره للمفتش ، وهو يقول فى المسماع :

ـ نعم .. اننى مازلت هنا .. متى أخرج ؟.. لست ادرى بعد .. كلا .. كلا .. لا أحسب الامر سيطول كثيرا .. سوف أطلبك ثانية .. ماذا ؟ . أنت التى ستطلبيننى ؟ . حسنا .. الى اللقاء اذن ..

www.jadidpdf.com

ثم تحول نحو جودان وهو يقول : أولئك النساء !..
كان حريصا على أن يؤكد سمعته كمعبود للنساء !.. ومع ذلك فقد كان رجلا ضخم الجسم ، ضيق الجبهة ، معقوف الانف ، له فك أشبه بفك النمر ، حاد النظرات ، أصلع الراس !..
وقال جودان :
ـ اننا جميعا على استعداد ياسيدى القوميسير .. ولكن لا أحسبك تريد أن تستجوبهما ؟..
وكان فى صوته رنة تهكم يسير ، وهو يستطرد :
ـ هذه الليلة على الاقل ..
ومد القوميسير يده ، دون أن يجيب بكلمة ، الى الملف الاخضر الذى وضعه المفتش أمامه ، وقد كتب على غلافه

قضية ابونين مركاديه	سجن لاروكيت
روبير لارنييه	سجن لاسانتيه

التهمة القتل ..
وما كاد يفتح الملف حتى صاح فى شماتة : لا يوجد شىء هنا أيها العجوز جودان ..
فراح المفتش يبحث بين أوراقه بحثا مضنيا .. أين تراه وضع ذلك التقرير بحق الشيطان ؟.. لقد فرغ للتو من كتابته على الآلة الكاتبة .. ولم يكن الملف يحوى الا ذلك الخطاب الخلو من التوقيع، الذى أثار تحريات الشرطة ..
وتطلع المفتش الى الخطاب ، وهو يقول :
ـ من حسن الحظ أن الناس يراقب بعضهم بعضا .. فلو كانوا يعتمدون « علينا » فحسب ..
وقد نطق بالكلمة فى لهجة جعلت جودان يبادر الى القول :
ـ ولكنك أنت الذى شممت رائحة الجريمة ياسيدى القوميسير ! ..
وأعاد القوميسير تلاوة الخطاب .. « انه ليس من شأنى ان انصحكم بشىء ولكن لعلكم تعنون بالبحث فى شقة المرأة مركاديه بالطابق الرابع ، حيث كان أحد الناس يصرخ مستنجدا .. وقد اختفى عشيقها منذ ذلك اليوم عن الانظار ، ولكن لها عشيقا آخر. »

www.jadidpdf.com

لابد أن يكون احد الجيران قد دفعته الغيرة الى الانتقام ! ..
وعندئذ صاح المفتش جودان :
ـ هذه هى الأوراق ، وقد وضعت صحفك فوقها ! ..
فتناول القوميسير التقرير ، وأخذ فى تلاوته بصوت مرتفع :
« ١٦ فبراير عام ....
نحن ، جوليان كاريجال ، قوميسير الشرطة بمدينة باريس ، والملحق بادارة المباحث الجنائية ، قد أخطرنا شفويا من المفتش جودان التابع لمكتبنا بأن جريمة قد ارتكبت فى المنزل رقم ٣١ بشارع شيربور ، ليلة ١١ ـ ١٢ فبراير ، وانه قام باستجواب مرتكبة الجريمة ، المرأة ابونين مركاديه ، المقيمة بالعنوان السابق ..

كما أمكن معرفة شريكها فى الجريمة ..
وقد استدعينا المرأة مركاديه ، وشخصا آخر يدعى روبير لارنييه ، المقيم بفندق السياح عند رصيف قنال سان ميشيل .. فاعترف الاثنان بقتلهما المدعو فيكتور هاجولان الذى كان يعيش مع المرأة مركاديه ، كزوج غير شرعى !..

وقد لخص لنا المفتش جودان الحقائق التى استطاع الوصول اليها .. كانت المرأة مركاديه تعيش مع فيكتور هاجولان بالمنزل رقم ٣١ بشارع سيربور ولكنها كانت كثيرة الخلاف معه ، فصاحبت رجلا آخر هو روبير لارنييه السابق ذكره ..

وفى خلال ليلة ١١ ـ ١٢ فبراير ، سمعت صيحات الاستنجاد تنبعث من مسكن المرأة مركاديه بالطابق الرابع من المبنى ، ودلت التحريات على أن المدعو هاجولان قد اختفى عن الأنظار .. وقال القوميسير فى نفسه (لقد اقتبس جودان العجوز هذا التعبير من خطاب المبلغ !..) من ذلك التاريخ ، وانه يحتمل أن يكون قد سقط ضحية عشيقته وخليلها .. وقد أيدت اعترافات هذا الاخير ما جمع من تحريات .

وعلمنا بعد ذلك أن المرأة مركاديه قامت بتقطيع جثة الضحية ، وأن جزءا منها قد اخفى فى خزانة ثياب داخل المسكن ، كما أخفى جزء آخر فى صوان بالطابق نفسه من المبنى .

www.jadidpdf.com

وعند استجوابهما اعترف المذكوران بما يلى :
ا ـ المراة مركاديه ..

***

واعتدل القوميسير فى مقعده وقال لجودان :
ـ أحضر المراة .. فلا أحسبنى فى حاجة لقراءة اعترافها مرة ثانية ..

ودخلت ابونين ، وقد أرخت عينيها الى الارض ، وشبكت يديها فوق صدرها .. فلم ينظر القوميسير ناحيتها ، وانما ظل يخفى وجهه بين صفحات الملف ، ويضع خطوطا تحت عبارات معينة .. كان يعرف قوة الصمت فى مثل هذه الاحوال .

وطالت فترة الصمت والقلق .. وما لبث أن نهض فى بطء وسار نحو ابونين ثم وقف يتفحصها بأنظاره ، وهو يطرقع بلسانه .. وبدت ابونين بجانبه ضئيلة الجسم ، كأنما تقلص جسمها .. وعندئذ وضع قبضة يده تحت ذقنها ليرغمها على رفع رأسها ، وكانت عيناها مغمضتين ..
وغمغم القوميسير قائلا : عملية طيبة !. أليس كذلك ؟.

فقال جودان لنفسه : الطريقة نفسها دواما !.. أيظن ذلك يثبت شيئا ؟..

ومضت الثوانى متباطئة ، فلما جذب القوميسير يده ، انحنت رأس ابونين ثانية ..
ـ اصغى أيتها المراة !..

وفى صوت يتكلف الحياد ، راح يتلو الفقرة التى تلخص اقوال ابونين :
« اقر بأنى خلال الليلة ١١ ـ ١٢ من فبراير كنت فى مسكنى مع صديقى لارنييه ، وانه فى حوالى الساعة الحادية عشرة مساء حضر صديقى السابق هاجولان ، فتشاجر معى ، وأثناء شجارنا امسكت بقضيب حديدى وضربته به ، ولما ضربنى بدوره ناديت لارنييه الذى انهال ضربا على هاجولان ، وبعد أن جذبه الى حجرة

www.jadidpdf.com

النوم ، خنقه بشملته .. وقد كنت أنا التى قمت بتقطيع الجثة..
فعلت ذلك يوم الثلاثاء . واشتريت المنشار يوم الاثنين » .
وتوقف القوميسير عن القراءة وقال :
ـ يوم الثلاثاء ؟.. هل فعلت ذلك يوم الثلاثاء ؟.. ألم يكن فى وسعك أن توفرى على نفسك هذه المشقة ؟.. هل كنت تؤملين فى الافلات من قبضة العدالة ؟.. فى اى يوم نحن اليوم ؟.. الخميس .. ارأيت انك خسرت نقودك هباء ..

وبدأ يتلو أقوالها من جديد .. ولكنه تخلى عن ادعاء الحياد، وبدأ يضخم الكلمات التى تزيد ذنب ابونين عمقا .. « كنت أنا التى قمت بتقطيع الجثة .. فعلت ذلك يوم الثلاثاء ، واشتريت المنشار يوم الاثنين » .

ثم نظر الى ابونين فى ضراوة ، وهو يقول :
ـ كم كلفك شراء هذا المنشار ؟ ..
فأجابت فى همس من خلال شفتيها المطبقتين :
ـ ألفان وخمسة وثمانون فرنكا ..
ونظر القوميسير الى المفتش نظرة معناها : كان يجب أن تذكر ذلك !. فأسرع جودان يقول مدافعا عن نفسه : لقد كان تحقيقا مبدئيا ياسيدى القوميسير !.
ـ هل توافقين على كل ماقرأته ؟..
وللمرة الثالثة ، أخذ يعيد تلاوة الجملة نفسها :

« كنت أنا الذى قمت بتقطيع الجثة .. فعلت ذلك يوم الثلاثاء ، واشتريت المنشار يوم الاثنين .. وقد وضعت الاشلاء فى مخزن للمهمات القديمة فى نفس الطابق الذى أقيم فيه .. وكنت عازمة على التخلص من الجثة بالقائها فى القناة .. وقد فعلت ما فعلته لأننى كنت أريد الزواج من لارنييه ولكن هاجولان لم يشأ أن يبرح المنزل ، وكان يهددنى دواما .. »

وقال القوميسير ، هازئا : أليس الحب شيئا عظيما ؟ .
ثم تحول نحو ابونين قائلا :
ـ ألديك ماترغبين فى قوله ؟..
والتفت الى جودان يسأله : هل يمكنها الكلام ؟..

www.jadidpdf.com

وعاد يقول لابونين : اننى لا أسألك هل هذا صحيح ، فسوف نتكلم فى ذلك فيما بعد .. ولكنى اسألك هل قلت هذا الكلام للمفتش جودان ؟

واشار بأصبعه نحو المفتش مستطردا :

ـ هذا السيد ؟ .

ولكن ابونين قالت فى صوت مبحوح :

ـ ما الذى سيحدث لأطفالى ؟ .

فتحول القوميسير نحو المفتش يسأله : ما هذا الذى تتحدث عنه ؟ ..

ـ أن لها طفلتين ياسيدى القوميسير ..

ـ كان ينبغى ان تفكر فيهما قبل الآن .. واين هما ؟

ـ لقد ارسلناهما الى راهبات سان فنسان دى بول

فقال القوميسير لابونين :

ـ هل سمعت ؟ .. انهما عند الراهبات

واقترح المفتش : يجب أن نحضرهما ، فقد شهدتا حادث القتل ..

ـ ولماذا هذا العناء ؟ .. لقد أقرت المرأة بكل شىء ..

والتفت الى ابونين قائلا :

ـ ألم تقرى بكل شىء ؟ . تعالى الآن ووقعى على أقوالك .

ثم بدأ يضحك قائلا :

ـ انظر كيف ترتعد يا جودان .. وربما يظن أحد أنها خائفة منا ، فهل كنت خشينا معها ؟ . هل كان فظا معك يا مركاديه ؟ .

فهزت راسها نفيا ، ووقعت على أقوالها .. وفيما كانت تخط اسمها فى بطء ، رأى القوميسير شملة لارنييه فقال لجودان وهو يمسك بالشملة :

ـ ما هذه ؟ ..

ـ يمكنك القول انها اداة الجريمة .. فهى التى استخدمت فى خنق العجوز ، وقد وجدتها على الجثة، أعنى على جزء من الجثة فوق الجذع ..

www.jadidpdf.com

وواجه القوميسير ابونين بالشملة قائلا :
ـ هل تخصك هذه ؟ .. وهل تقرين بأنك قد تعرفت عليها؟»
فنظرت ابونين الى الارض ، ولم تحر جوابا ..
ـ هل شددتها حول عنق ضحيتك ؟ .. أجيبى..»

وغمغمت ابونين :
ـ نعم ياسيدى ..
ولكن جودان قال مصححا : قولى نعم ياسيدى القوميسير
فسأله رئيسه :
ـ ماذا كانت تفعل فوق جذع الجثة ؟ .. اتقول انك وجدتها فوق الجذع ياجودان ؟ ..
ـ تماما .. وعلى وجه الدقة ، فوق الكتفين .. وياله من منظر بشع ياسيدى القوميسير ..
ـ اكتب هذا ياجودان ..

وصمت لحظة كان خلالها يقول لنفسه : « ما أشد غفلة جودان هذا .. انه لن يتعلم أبدا .. فلماذا احضر الشملة الى هنا ؟ كان ينبغى ان يتركها فى مسرح الجريمة »
ثم بدأ الاملاء :

« ان الشملة التى أريتها لى هى التى استعملت فى خنق هاجولان حقيقة .. كانت ملتفة حول عنقه ، ولابد ان تكون قد انزلقت فوق كتفيه اثناء نقل الجثة »

وتحول نحو ابونين قائلا :
ـ اليس هذا ما قلته لى الآن ؟ . دعها توقع يا جودان ..»
واشار الى ابونين بالانصراف ، فى حركة آمرة من يده ..» ولكنها لم تفهم اشارته وظلت واقفة امام المكتب .. وعندئذ اشار المفتش نحو الباب قائلا :
ـ هذا كل شىء الآن ..
ولم تجرؤ على السؤال عما ينويان عمله بها ، على حين كان جودان يدفعها نحو المقعد الخشبى بحجرة الانتظار ..»
ونادى المفتش : لارنييه ! ..

www.jadidpdf.com

فنهض روبير على الفور ، مندفعا الى الامام وهو يطفىء سيجارة كان احد رجال الشرطة قد قدمها له ، بينما كان المفتش جودان يشير اليه قائلا فى صوت عطوف :

ـ من هنا ..

وكان القوميسير قد عاود الجلوس فى مقعده ، مستخدما مع لارنييه كذلك خطته فى الصمت المثير للاعصاب .. ولكنه لم يطل صمته ، وقال :

ـ هل انت لارنييه ؟

ـ نعم ياسيدى المفتش .. روبير لارنييه

وكان لارنييه قد واجه القوميسير بوجهه الشاحب المكتئب .

ـ انصت يالارنييه ، فسوف أتلو عليك الاقوال التى أدليت بها للمفتش جودان ..

ثم راح يقرأ فى سرعة :

« لقد عرفت السيدة مركاديه » وهنا هز القوميسير كتفيه مزدريا وهو يتمتم : السيدة ! .. يا عينى ! .. » لقد عرفت السيدة مركاديه منذ عام ، واصبحت عشيقتى خلال الشهور السبعة الماضية .. وقد ظلت بعض الوقت تردد على مسامعى اننا يجب أن نتخلص من هاجولان ، ودعتنى يوم الجمعة العاشر من فبراير للذهاب اليها فى مسكنها فذهبت اليها فى مساء السبت الحادى عشر . وحوالى الساعة الحادية عشرة حضر هاجولان فلحقت به السيدة مركاديه فى حجرة الجلوس ، وكانت هى التى ضربته بالقضيب الحديدى .. وعندما اشتد الصراع بينهما ؛ صاحت تنادينى ، فجذبت هاجولان الى حجرة النوم ، وما لبثت أن ربطت الشملة حول عنق هاجولان حتى سقط على الارض .. ومكثت مع صديقتى فى المسكن طوال يوم الاحد .. وقد قامت صديقتى بتقطيع الجثة وكانت تزمع القاءها فى القناة . . واحسب ان صديقتى افعلت مافعلته لان هاجولان رفض ان يغادر المسكن ، ولانها كانت لخائفة منه بعد أن هددها بالقتل عدة مرات »

وفتح الباب فجأة ، ودخل شرطى .. فصاح القوميسير :

ـ ماذا حدث ؟ .

www.jadidpdf.com

ـ التليفون يا سيدى القوميسير .. وأحسبها السيدة نفسها التى ..

فحدجه القوميسير بنظرة صاعقة أخرسته ، ثم قال :

ـ سلها ان تنتظر لحظة ..

وسار القوميسير نحو لارنييه ، فأحس المفتش جودان من لهجته انه يريد أن ينهى الامر سريعا ..

هل تقر بأنك ادليت بهذه الاقوال الى المفتش جودان ؟ ... وقع الآن ..

وامسك بالشملة قائلا .. :

ـ هذه شملتك ، أليس كذلك ؟ ..

ـ نعم ياسيدى القوميسير ، ولكن ..

ـ ولكن ماذا ؟ .

ـ أننى لم أشد الرباط حول عنقه ..

فصاح جودان فى دهشة ماهذا الذى تقوله الآن ؟ .. لقد اخبرتنى بنفسك ، وجعلتك تعيد القول مرة ثانية .

فاحمر وجه لارنييه .. نعم ، لقد قال ذلك حقا .. ولكن من أجل ابونين فقط ..

لم يكن يريد أن يناقض أقوالها ، ويسىء اليها .. كان من العسير أن يفسر مسلكه ..

واستحثه القوميسير قائلا :

ـ هل أدليت بهذه الاقوال ، أم لم تدل بها ؟.

فأحنى لارنييه رأسه ونظر الى الارض .

ـ هيا الآن .. لقد كنت أنت الذى خنق الرجل . أليس كذلك صحيحا ؟ ..

أجاب لارنييه ، متلعثما : اننى .. لست أظن ذلك ..

فزمجر القوميسير وقال :

ـ ماشاء الله ! .. ولكن احسبنى مضطرا لمعرفة الحقيقة .. حسنا اذن .. هل هى التى خنقته ؟ . صديقتك « السيدة » مركاديه ؟ .

ولكن لارنييه ظل صامتا لاينبس بكلمة .. فلوح القوميسير بالشملة ، وقال :

www.jadidpdf.com

ـ مهلا .. سوف نمشي خطوة فخطوة .. من الذى وضع هذه حول عنق هاجولان .. انت ام هى ؟ ..

ـ السيدة مركاديه

ـ السيدة ماذا ؟ ..

ـ أعنى صديقتى ..

ـ أتقول اذن انها هى التى خنقته ؟ ..

فقال لارنييه والدموع تكاد تخنق صوته :

ـ لست ادرى ياسيدى القوميسير ..

ـ هل هى التى شدت الشملة ؟ ..

ـ لا أدرى يا سيدى القوميسير ، فانى لم أرها تشدها ..

ـ وانت ؟ ..

ـ اننى لم أشدها الا بعد أن وقع هاجولان على الأرض

ـ هل كان قد مات

ـ لا أدرى ياسيدى القوميسير .. ولكنى أظن ذلك ..

فالتفت القوميسير الى جودان قائلا :

ـ اننا لن نخرج من هنا الليلة قط .. اكتب هذا .

« سألنا المدعو لارنييه ، الذى أجاب بما يلى : ان الشملة التى عرضتها على هى شملتى حقا .. كنت اتشح بها مساء السبت الحادى عشر من فبراير .. وهى نفسها التى وضعتها صديقتى حول عنق هاجولان ، وهى نفسها التى شددتهاعندما كان هاجولان ملقى على الأرض »

ـ هل هذا هو ما قلته تماما ؟ .. حسنا .. وقع عليه اذن .. وها انت ترى اننى لا احاول الضغط عليك ، فقل الصدق دائما .

والتفت الى جودان قائلا :

ـ « خذه الى الخارج » .. ثم أردف يقول لروبير :

ـ سوف أراك فيما بعد ، فلا تبتئس ! .

فلما لم يتحرك لارنييه من مكانه ، كأنما كان ينتظر شيئا ، استطرد يقول :

ـ ألم يسبق لك قضاء الليل فى السجن ؟ .. انه ليس كريها الى هذا الحد .. وسوف تعتاد الأمر بعد قليل ! ..

www.jadidpdf.com

فقال روبير متلعثما : سيدى القوميسير !..

ـ ماذا تريد الآن ؟ ..

ـ المظروف ..

وكانت عيناه مليئتين بالدموع ، فسأل القوميسير مساعده :

ـ ما الذى يريده تماما ؟

ولكن لارنييه مضى يقول :

ـ المظروف .. المظروف الذى يحوى نقودى ..

فتدخل المفتش جودان ، ليقول فى دهشة :

ـ لقد فتشناه كالمعتاد ، فلم نجد معه ما يريب .. ولكن وجدنا فى حافظة أوراقه مظروفا بداخله خمسة وعشرون الف فرنك ، يقول انها مدخراته .. وهو يطالب بها ..

فقال القوميسير متسائلا : وهل تراك فى حاجة اليها الآن ؟

وزمجر المفتش :

ـ انه لايفكر الا فى نقوده .. حسنا .. سوف نعيدها اليك ، فلا تخش شيئا ..

فشكره لارنييه ، ومضى معه الى خارج المكتب مستسلما ..

وعندئذ أمسك القوميسير بمسماع التليفون ، وراح يقول :

ـ اعطنى تلك المكالمة ..

ثم انقلب صوته رقيقا معسولا وهو يمضى قائلا هالو .. ميلين ؟ .

ولكنه لم يتلق جوابا .. ففمغم يقول : تلك الكلبة ! ..

فهل كان يعنى ميلين التى لم تنتظر حتى يرد عليها ، أم كان يعنى ابونين التى جعلته يتأخر فى مكتبه الى هذا الوقت ؟ ..

ونظر الى ساعته ، فوجد أن السهرة التى كان يمنى نفسه بها قد ضاعت منه ، وأسرع الى الباب ينادى جودان ، قائلا :

ـ مهلا .. لاتدعهما ينصرفان الآن ؟

ـ هل تريد أن تستجوبهما الليلة ؟ ..

ـ لماذا ؟ .. أتريد أن تنصرف الآن ؟ ..

ـ لابأس من البقاء قليلا ياسيدى القوميسير ، ولكن

www.jadidpdf.com

وأراد القوميسير ان يفيظ جودان فقال:

ـ لماذا لانفرغ من هذه المهمة الليلة ؟ .. ان تقـريرك واف ، ولكنه كتب فى عجلة ! . ولا ينبغى أن نترك لمثل هذين الطائرتين أية فرصة لاعادة التفكير ..

ـ ولكنهما لم يأكلا شيئا للآن ..

ـ يمكنك ان تبعث فى طلب بعض الشطائر للجميع ..وسوف لا نتأخر كثيرا يا جودان فانك قد أنرت لنا الطريق ..

ولم يكن جودان فى الواقع يكره البقاء فى المكتب بعد الميعـاد، لما يحصل عليه من أجر اضافى . ولكنه أراد تغطية موقفه ، فقال :

ـ يجب أن أتصل بزوجتى ، حتى لا تنبح فى وجهى ..

ـ انه عمل يوم واحد ياجودان .. هل نبدأ بالمرأة ..

وعند منتصف الليل ، كانا قد فرغا من استجـواب ابونين ، وذهب جودان ليوقظ لارنييه الذى كان مستغرقا فى النوم فـوق المقعد ، وما لبثا أن فرغا منه بعد ساعة واحدة ..

وكان جودان سريعا فى الكتابة على الآلة الكاتبة ، رغـم انه لا يستخدم الا أصبعين فحسب .. فلم يمض الا القليل حتى كان قد أكمل مهمته ..

وجاء التقريران اللذان أملاهما القوميسير كاريجال على المفتش جودان فى ليلتى ١٦ و ١٧ فبراير ، وهما اللذان سيرفعان الى قاضى التحقيق على النحو الآتى ..

التقرير الأول :

فى الساعة التاسعة والنصف من مساء السـادس عشر من فبراير استدعينا المرأة ابونين مركاديه ، فقـررت انها تعمل فى مصنع ..... وشركاه ، وتتقـاضى أجرا قـدره ثلاثة آلاف وخمسمائة فرنك فى الاسبوع .. لم تتجـاوز مرحلة التعليـم الابتدائى وليست لها سوابق قبل ذلك ..

وعندما سئلت عن الوقائع ، قالت :

« اصبح مسيو هاجولان عشيقى منذ ستة أعوام مضت ، وكنا نعيش معا فى مسكنى بالطابق الرابع من المبنى رقم ٣١ بشـارع

www.jadidpdf.com

شيربور .. وقد قطعت كل علاقة به منذ العام الماضى ، فكان ينام فى حجرة الطعام ، وكنت أنام مع أولادى فى حجرة النوم الخلفية ، ومع ذلك فقد كنا نتناول الغداء معا بين وقت وآخر ، أما فى المساء فكنت أضع له الطعام على المائدة لانه كان يرجع الى البيت فى وقت متأخر ، ولم أكن انتظر عودته .. وكان ينقدنى الفى فرنك كل أسبوع ..

وكان الشجار ينشب بيننا كثيرا ، بعد ان علم أننى اتخذت لنفسى صديقا آخر ، هو مسيو لارنييه ، الذى كنت أذهب للقائه فى فندقه .. بل لقد هددنى بالقضاء علينا معا اذا التقى بنا فى الطريق .

وفى يوم السبت ١١ من فبراير عدت الى المنزل مع صديقى روبير لارنييه ، وكانت الطفلتان قد أوتا الى فراشيهما بعد ان تناولتا الطعام وحدهما .. وكنت قد غادرت المنزل مبكرة بعد الظهر ، وقابلت روبير ، وتمشينا قليلا ثم ذهبنا الى مقهى فى شارع الفلاندر حيث تناولنا بعض الشراب .. ورجعت الى المنزل وحدى ، فأعددت طعام العشاء للبنتين ، وتناولت لقمة خفيفة ، ثم خرجت بعد ذلك حيث لحقت بروبير فى المقهى .. وسرنا قليلا فى شارع الفلاندر ، حتى اذا ما بلغت الساعة العاشرة ، مضينا معا الى مسكنى .. وكانت الطفلتان نائمتين ، أما مسيو هاجولان فلم يكن قد عاد الى المنزل بعد ، اذ كانت عادته أن يتأخر فى العودة مساء يوم السبت ..

وذهبت الى حجرتى ، فلحق بى روبير اليها ..

وعاد هاجولان فى حوالى الحادية عشرة والنصف ، أو منتصف الليل .. كان يحمل مفتاحا خاصا به ، حتى يمكنه الخروج والعودة حسبما يشاء .. وقد ذهب الى فراشه ، فوق الاريكة بحجرة الطعام ، ولكنه بعد خمس واربعين دقيقة ، سمعنا نتكلم فى حجرتنا ، فاندفع يفتح الباب ، ويضىء الأنوار ..

كلا .. اننى لم أذكر الحقيقة .. الحقيقة كلها .. ولكنى قررت الآن أن اذكرها لكم بحذافيرها ..

www.jadidpdf.com

فقد رجعت مع روبير فى نحو الساعة العاشرة ، وكانت ابنتى الكبرى تنام على احدى الارائك فى حجرة النوم ، على حين نامت الصغرى فى فراشى .. أما هاجولان فلم يكن قد رجع بعد .

وجلس روبير على الفراش بجانبى .. وعاد هاجولان كما قلت .. وسمعناه يعبث بالآنية فى المطبخ ، فأدركنا أنه يعد شيئا لعشائه ،وما لبث ان ذهب الى فراشه .. وكانت الساعة قدبلغت الحادية عشرة والنصف عند عودته ..

وبعد أن مر اكثر من ثلاثين دقيقة ، نهضت وفتحت الباب المؤدى الى حجرة الجلوس حيث كان هاجولان نائما .. وتقدمت نحو فراشه ، وقد أمسكت بقضيب من الحديد ، فتحرك هاجولان عندما فتحت الباب ، ولم اشعر بما كنت افعله .. فضربته على رأسه ، وعندئذ هب من مرقده ، وقد بدأت الدماء تغطى وجهه وكانت الحجرة يكتنفها الظلام ..

ولكنه عرفنى وقال :أهذه أنت ؟ ..

ثم انقض على ، فصحت أنادى روبير ، وامسك كل منهما بالآخر فى صراع مرير .. وكان هاجـــولان قد انتزع القضيب الحديدى من يدى ، وحاول ان يضربنى به .. ولكنى استعدتهثانية بعد أن أمسك به روبير وشل حراكه ، ثم هويت به فوق رأســه مرة أخرى .. لم أضربه سوى مرتين فحسب .. أولا وأخيرا .

وكان لايزال يقاوم فى ضراوة ، وهو لايكف عن الصـــياح والاستغاثة ، فأثارت صيحاته جنون روبير ، وأراد أن يكتم هـذا الصراخ بتكميم فمه ، غير ان الشملة انزلقت الى عنقه ، فأخذ روبير يشدها فى قوة .. وعندئذ انتهى كل شىء .. وكان هاجـــولان منحنيا فوق الفراش ، عندما كان روبير يشد الشملة حول عنقه.

وسقط القضيب الحديدى على الفراش ..
وانزلق هاجولان الى الأرض بلا حراك ..

وتركت الجثة حيث كانت ، الليل كله ..
ونقلنا الطفلتين الى حيث كان ينام هاجولان ، وبقيت وروبير

www.jadidpdf.com

هناك .. ولكننا لم نذهب الى الفراش .. كان الخوف يستبد بنا ، وكنا لا نعرف ماذا نحن فاعلون بجثة هاجولان .

وذهبت البنتان الى الكنيسة صباح الأحد ، ومكثت وروبير فى المنزل ..

كنا فى حيرة من أمرنا ، نفكر فى طريقة الخلاص من الجثة .. وأخيرا قال روبير :

ان خير وسيلة لذلك هى أن نتخلص منها شيئا فشيئا حتى لايراها الجيران ..

وتركنى روبير مساء الأحد .. وفى صباح الاثنين ذهبت الى عملى كالمعتاد حتى لاأثير التساؤل فى المصنع عن سبب غيبتى . . ثم عدت الى المنزل ظهرا فى موعد الغداء ، ورجعت الى المصنع ثانية ..

فلما التقيت بروبير يوم الاثنين بالمصنع ، حيث نعمل معا ، قال كل منا للآخر : يجب أن نتخلص من الجثة ، فليس فى وسعنا أن نتركها فى مكانها طويلا ..

وفى الساعة السادسة من مساء الاثنين قابلت روبير بعد انتهاء عملنا ، واتفقنا على أن ننقل الجثة الى صوان المهملات الموجود فى نهاية الردهة الخارجية عند قمة الدرج ..

وفى المساء ، حوالى الساعة العاشرة أو الحادية عشرة ، حضر روبير الى مسكنى لنقوم بنقل الجثة الى صوان الردهة .. وأردنا أن ننتظر حتى تهدأ الحركة فى الدار ، غير أن الجيران لم يطرق النوم عيونهم فى تلك الليلة بسبب العاصفة العاتية التى طردت النوم عن اجفانهم .. وعندئذ قال لى روبير : اننا لن نستطيع اخراجها من المنزل بهذه الوسيلة أبدا .. يجب أن نقطعها اشلاء صغيرة ! .. ثم اردف بعد برهة : لاتذهبى الى المصنع صباح الغد .. اذهبى واشترى منشارا ..

وغادرت المنزل فى منتصف الساعة التاسعة من صباح الثلاثاء ، فاشتريت المنشار من حانوت يبيع أدوات الجزارة ، ودفعت فيه الفين وخمسة وثمانين فرنكا ، ثم عدت الى المنزل ..

www.jadidpdf.com

وكانت البنتان قد ذهبتا الى المدرسة .. وحاولت أن افعل شيئا فلم أستطع ، وحرت فيما عسانى أصنعه ، ولكنى شـــددت من عزيمتى وقررت أن أقوم بمهمتى مهما كلفني ذلك من عناء ،وأخذت أحاول من جديد ..

بدأت بقطع الساقين ، عند الركبتين .. ثم قطعت اليدين ، وأحد الذراعين ، وأخيرا قطعت الرأس .. وكنت كلما قطعت جزءا حملته الى صوان الردهة ..

وكان روبير قد طلب الى أن اذهب لأخبره عندما ينتهى كل شيء ، فمضيت وأبلغته أن الجذع مازال فى الحجرة فقال اننـــا لانستطيع أن نتركه حيث هـــو ، واننا يجب أن نتخلص منه ، ووعدنى بالحضور فى مساء السبت ليحمله الى خارج المنزل .. ولكنى رأيت أن أخفيه عن الانظار حتى يحين ذلك الموعد ، وحملت الجذع وحدى فأخفيته فى خزانة الثيـاب بحجرة النوم وغطيته بمعطف واق من المطر ..

س ـ لماذا حضر روبير لارنييه الى منزلك مساء السبت على حين أنك كنت تقابلينه عادة فى فندقه ؟

ج ـ كان روبير ، فى الآونة الاخيرة ، راغبا فى الاقامة معى ، وكان يتحدث الى فى ذلك كل يوم .. قال انه لم يكن سعيدا فى الفندق ، وانه لايستطيع ان يعد لنفسه الطعام هناك .. ورحنـا نمعن الفكر فى الوصول الى طريقة للخلاص من هاجولان ، ولكننـا لم نهتد الى حل .. وعندئذ خطرت لنا هذه الفكرة ، وطلب منى روبير أن أنفذها ، فقلت له : اننى لن أجد الشجاعة الا فى وجودك!.

وتحدثنا فى الأمر مساء الجمعة ، وكنا نريد أن ننفذ عزمنـا فى الليلة نفسها ، ولكنى فضلت أن نرجىء الأمر حتى أطلب الى هاجولان مرة أخرى أن يجلو عن المنزل ، فلما صاح فى وجهى : «بل أنت التى يجب أن تذهبى الى الجحيم ! .. » قررت أن الوسيلة الوحيدة للخلاص منه هى قتله !.

وأخبرت روبير مساء السبت ، وعولنا على الفراغ من هذه

www.jadidpdf.com

المهمة فى الليلة نفسها .. ثم عدت الى المنزل بمفردى لأعد العشاء للبنتين ..

س ـ من أين أتيت بالقضيب الحديدى الذى استخدمته فى القضاء على هاجولان ؟ .

ج ـ لقد كان ملكا لهاجولان نفسه ، وكان يضعه مع مهماته القديمة فى صوان الردهة .. وقد احضرته ، وأخفيته خلف خزانة الثياب فى حجرته .. لم نكن نملك مسدسا ، وقررت أنا وروبير بعد الظهر أن نستخدم القضيب الحديدى .. وسألنى روبير عن طوله وحجمه ، ثم سألنى ، فى أى موضع ستضربينه .. فلما أجبته بأننى سأضربه فوق رأسه ، قال : اضربيه هنا أو هنا « وعندئذ أشارت المرأة مركادييه الى صدغيها ، وجبهتها ، ومؤخرة رأسها ! .. » ولكنى لم أنظر أين تقع يدى عندما ضربته .. كل ما أعرفه هو أننى هويت بالقضيب فوق رأسه ..

وكنت عندما نام هاجولان ، قد احضرت القضيب الحديدى من مخبئه ، وسألت روبير : ماذا تراني فاعلة ؟ .. فأجابنى : حسنا .. ولكن حذار أن تخطئيه ! ..

س ـ وأين كان الاطفال أثناء النضال الذى نشب فى المسكن ؟ .

ج ـ كانت البنتان نائمتين فى حجرة النوم فى بداية الامر ،ولكن الضجة أيقظتهما ، فطلبت اليهما أن تذهبا الى الحجرة الاخرى .. وقد شهدتا الصراع ، ورأتا هاجولان ملقى على الارض ، ولكنى حذرتها من التحدث عن ذلك الى أى شخص .. وكانتا فى المدرسة عندما استخدمت المنشار فى تقطيع الجثة ..

س : كيف أصبت بهذه الجروح على ساعدك الأيسر ؟ .
ج : لقد طعننى هاجولان بالسكين التى التقطها من فوق المائدة
س : ما الذى دفعك الى قتل هاجولان ؟ ..

ج : خوفى منه ، أولا .. فقد كان يهددنى بالقتل أذا ما رآنى مع روبير .. ومن جهة أخرى كان روبير يرغب فى الاقامة معى ،ولكن ذلك كان متعذرا مع وجود هاجولان فى المنزل دائما .. وكنت فى

www.jadidpdf.com

الوقت نفسه أتوق الى أن يعيش روبير معى فىّ مسكنى ، وقد رتبنا أمرنا على الزواج ..

وذات يوم قال هاجولان لابنتى الكبرى : « اذا لم تكفى عن الثرثرة ، فسوف أضربك حتى ولو حاولت أمك أن تدافع عنك » .. ومنذ تلك اللحظة ، لم أستطع الاحتمال ، ورحت أقول لنفسى انه سوف يضرب أطفالى أثناء غيبتى .. كان يعود الى المنزل مخمورا ، وعندئذ يثور لأتفه الاسباب ، واضطر لارسال الطفلتين الى فراشهما فى الحجرة الاخرى .

وانتهى الأمر بأن اصبحت أمقته أشد المقت ، ولم أعد أستطيع احتماله على اية صورة . . »

تمت أقوالها وأقرت بصحتها ووقعت عليها
قوميسير الشرطة
امضاء

* * *

التقرير الثانى :

فى الساعة الثانية عشرة والنصف من صباح اليوم السابع عشر من فبراير ، استدعينا روبير لارنييه ، الذى يقرر انه يعمل كاتبا بمخزن مصانع ..... وشركاه ، وانه يتقاضى ستة آلاف ومائتى فرنك كل أسبوع ، ولم يتعد المرحلة الابتدائية من التعليم ، ويقرر أنه لم يسبق اتهامه بشىء ..

وبسؤاله عن الوقائع ، قرر الآتى .

طلبت الى صديقتى أن أرافقها الى مسكنها ، ولم أكن قد ذهبت اليه قط من قبل .. وبلغنا المنزل فى نحو الحادية عشرة ، وذهبنا الى حجرة النوم الخلفية مباشرة ، حيث كانت البنتان نائمتين ، احداهما على الأريكة ، والاخرى على الفراش ، ولكن أمها حملتها لتضعها بجوار أختها ! .

وعاد مسيو هاجولان بعد برهة قصيرة ، بينما انكمشت فىّ مجلسى على الفراش ، بلا حراك ، حتى أثقل النعاس جفونى واستغرقت فى النوم بجانب صديقتى التى كانت تجلس بجوارى .

www.jadidpdf.com

ولكنها ما لبثت أن نهضت من مكانها ، ومضت الى الحجرة المجاورة ..

وسمعت صرخة ، ولكن باب الحجرة كان مغلقا ، بحيث لم أتبين الصوت جيدا .. وخيل الى اننى سمعت من يصيح باسمى (روبير ! .) فأسرعت بالنهوض ومضيت الى الحجرة المجاورة .. كنت قد خلعت معطفى ، ولكنى لم ازل مرتديا سترتى ..

وفى الحجرة المجاورة رأيت رجلا يستند الى الباب المؤدى الى المطبخ ، وهو يمسك بيده اليمنى سكينا ، على حين يضع الاخرى على رأسه التى كانت تنزف دما .. وكانت صديقتى تقف بالقرب منه ، وتحمل قضيبا ثقيلا من الحديد ..

وأدركت أنها فعلت ما كانت تتحدث عن فعله منذ زمن طويل .. فقد ظلت تصارحنى بعزمها على الخلاص من عشيقها ، وتطلب الى فى الحاح أن أحضر للاقامة معها ..

كانت عندما التقيت بها للمرة الأولى ، قد أخبرتنى بأنها تعيش مع صديق لها اعتاد أن يرجع الى المنزل مخمورا ، وانها قد ضاقت به ذرعا .. وأكثرت من الحديث عن اعتزامها قتله بقضيب من الحديد ، ثم التخلص من جثته ، ثم أبدت رغبتها فى أن أكون معها ، حتى أساعدها اذا لم تستطع اتمام هذه المهمة وحدها .. وقد أخبرتنى فى مساء السبت انها أعدت القضيب الحديدى ، وأن على أن أبقى فى الحجرة حتى تدعونى ..

وكانت هذه هى ظروف ذهابى الى مسكنها تلك الليلة ..

وفى اللحظة التى دخلت فيها الى حجرة الطعام ، طلبت منى صديقتى ان أجره الى حجرة النوم ، فأمسكت به من تحت ابطه ، وسحبته الى الحجرة الاخرى بمساعدة صديقتى ..

وكان الرجل لا يزال ممعنا فى المقاومة عندما نقلناه الى حجرة النوم ، كما ظل متشبثا بالسكين فى يده ..

وبينما كنت ممسكا به ، تناولت صديقتى الشملة من فوق الفراش ، وربطتها حول عنقه ، ثم طلبت الى أن اشدها بقوة ..

www.jadidpdf.com

وكان الرجلَ قد سقط الى الأمام ، فقلت لها قد انتهى كل شيء ..

ومضت صديقتى تنظف الارض من الدماء ، على حين جلست ساكنا فوق الفراش .. وفى تلك الليلة لم نلمس الجثة ثانية ..

وكانت الطفلتان قد ذهبتا الى النوم فى حجرة الطعام ، ولكنهما شهدتا ما فعلناه ..

وفى صباح الأحد نقلنا الجثة الى الأريكة فى حجرة النوم ، وغطتها صديقتى بغطاء من الصوف ! .

ومكثت هناك طوال يوم الأحد ، مضطجعا على الفراش ، دون أن أتناول طعاما .. كما بقيت تلك الليلة حتى الساعة الخامسة من صباح الاثنين ..

وكانت صديقتى قد سألتنى خلال النهار أن نضع الجثة فى صوان بالردهة الخارجية ، عند حلول الظلام ، قائلة انها سوف تتصرف فى أمرها فيما بعد .. وظللنا نناقش معا وسائل الخلاص من الجثة ، فاقترحت أن تستعمل الجير أو الاحماض فى اذابتها ، وطلبت الى أن أحضر لها بعضا منها ، ولكنى رفضت ، وعندئذ قالت أنها ستقطع الجثة اشلاء ، وتلقى بها فى القنال .

وفى صباح الاثنين ذهبت الى منزلى ، وكانت صديقتى قد نظفت سترتى من بقع الدماء التى علقت بها .. وعدت الى مسكنها فى الساعة الحادية عشرة من المساء لأحمل معها الجثة الى الصوان .. ولكننا لم نتمكن من ذلك ، اذ هبت عاصفة قوية كانت تهز أبواب المنزل كله فيخيل الينا أن الناس يملأون الدرج صعودا وهبوطا ..

وغادرت المكان فى الخامسة من صباح الثلاثاء .. ولم تحضر صديقتى الى العمل ، ولكنها اتت فى المساء لتقول أنها قطعت الجثة أوصالا ، واخبرتنى بالمكان الذى اخفت الاشلاء فيه .. ثم سألتنى أن احضر اليها يوم السبت لأعاونها فى الخلاص منها ، وكنا قد قررنا القاء الأطراف فى القناة ، واذابة الجزع فى الجير

www.jadidpdf.com

الحى ! . وكان على أن أحضر لها الجير معى .. وهذا كل ما أعرفه .

غير أنى أود أن أضيف بأننى لم أكن أعرف صديق السيدة مركاديه .. وقد حاولت أن أثنيها عن عزمها منذ اللحظة الأولى التى حدثتنى فيها عن خطتها ، ولكن الفكرة كانت قد تأصلت جذورها فى رأسها ، وقالت ان علينا أن نقدم على هذا العمل اذا كنا نرغب فى السعادة ! . قالت انه لا يريد الرحيل عن المسكن ، وانه هدد بقتلها اذا رآها معى .. وتملكت الفكرة مشاعرى رويدا رويدا ، ولم أجد وسيلة أخرى لانقاذ الموقف ، فقد تعذر على أن أجد مسكنا لشخصين ..

وفى اليوم التالى ، أخبرتنى انها أقدمت على ما اقترفته ، من فرط حبها لى ! . »

تمت أقواله وأقر بصحتها ووقع عليها
قوميسير الشرطة
(امضاء)

- ٤ -

بينما كانت فلورانس تهم بدخول المصعد القديم الذى يزلزل المبنى من اساسه كلما تحرك صعودا او هبوطا ، تقدم اليها مدير فندق لوريه ، وناولها خطابا ، وهو يقول :

ـ لقد تأخرت اليوم يا سيدتى ، ولا ريب انه يقاسى الوحدة فى انتظارك .. لقد كنت فى طريقى اليه لأحمل له بريده ..

فتناولت الخطاب وهى تتحاشى النظر الى عينيه اللتين تألقتا فهما وخضوعا .. ولم يكن من العسير أن تدرك ما يظنه الرجل فى هذه الزيارات الصباحية ! . فنى خلال الاسبوعين اللذين قضاهما مسيو لامور سيير مريضا ، بدأت تقضى الصباح فى حجرة بيير آنج .. كانت تصل الى الفندق فى التاسعة ، بعد أن تترك سيارتها فى ميدان البانثيون ، وتبقى فيه حتى العاشرة ..

وكانت تزعم للامور سيير انها خرجت للنزهة فى غابة بولونيا ، وتقول :

www.jadidpdf.com

ـ اننى فى حاجة الى بعض الهواء النقى ..

وكانت نبرات صوتها تحمل معنى الاعتذار والتحدى معا .. فمـا دام يصر على أن تقضى النهار كله بجانب فراشه ، فان من حقها أن تخرج بين الحين والحين لاستنشاق الهواء ! .

ولم يكن لامور سيير يشعر بأنه مريض حقا .. ولكنه منذ الازمة القلبية التى ألمت به ، بدأ يحس بأنه قد أخذ يفقد (رونقه) .. وكانت حالته النفسية مضمحلة ، اذ لم ينل غير ستة أصوات فى انتخابات الاكاديمية الفرنسية ! . ويعـزى نفسـه فى فلسفة حزينة فيقول : ما أقل الذين يحفظون العهد ويوفون بالوعد ! . وما أندر الأصدقاء الأوفياء حقا ! .

وكان ينتهـر طبيبـه فى رفق ، ويلقبه « بالدجال الأعظم » ، ويصيح قائلا :

ـ ان هذا « الدجال الأعظم » أشد غباء وغرورا من « الشيطان الأعظم » نفسه ..

وقال له ذات مرة صائحا :

ـ أريدك أن تعلم أيها « الدجال الأعظم » اننى سوف اتنـاول العشاء الليلة فى مطعم مكسيم .. واننى لأدعوك معى لو وعدتنى بألا تبدو كما لو كنت ذاهبا الى جنازة ! .

فتجهم الطبيب ، وأجابه فى هدوء :

ـ أن صياحك هذا يسبب لقلبك جهدا لا داعى له ..

ـ بل ان قلبى سليم يقول لك أن تذهب الى الجحيم ! .

ومع ذلك فان نوبات غضبه وثورته كانت قليلـة يشـوبها الضعف ، وكان استسلامه ، وان بدا راجعا الى ظروف عارضة . يقلق الطبيب الذى اشار على فلورانس أن تذهب بالمريض الى الريفييرا ..

وفى تردد وتخاذل ، حجزت فلورانس اماكنهما فى مونت كارلو .. فقد كان معنى ذلك أن تقضى أسابيع عدة ، بعيدة عن بيير آنج . كانت تفكر ، والمصعد المشلول لا يكف عن الارتعـاش وهو

www.jadidpdf.com

يشق طريقه نحو الطابق الرابع ـ فى المكانة العظيمة ، التى احتلها بيير آنج فى قلبها ..

ولم تره عندما تسللت الى حجرته المظلمة ، فقد كان فى ركن الحجرة البعيد .. ولكنها تلمست طريقها اليه ، وأخذت وجهه بين راحتيها ، تتحسس ذقنه الحليقة الناعمة ، وتستنشق العطر الذى يفوح منه ، ثم ألقت بنفسها بين ذراعيه فى عناق طويل .

وكانت تجلس مستغرقة فى أحلامها ، بينما كان يرتدى ثياب الخروج ، عندما تذكرت الخطاب فجأة ، فهتفت تناديه وتقول له :

ـ هناك خطاب لك فى حقيبتى ، فهاته وتعال لتقراه بجانبى .

ـ خطاب لى ؟ .

ولكنها لم تجبه ، بل تعلقت بيده قائله :

ـ هلا قبلتنى ؟ .

كانت منهومة لا تشبع .. غير أن الشاب مضى يقول :

ـ فى حقيبتك ؟ .

وأسرع الى الحقيبة التى كانت قد سقطت منها على الارض عند قدومها ، فأخرج الخطاب ليجد عليه خاتم « قاضى التحقيق بالمنطقة التاسعة عشرة » .

وأسرع يفض الخطاب ، واذا بداخله تصريح بمقابلة من تدعى ابونين مركاديه ، المتهمة بالقتل ، ونزيلة سجن النساء المعروف باسم لاروكيت ..

وسألته فلورانس :

ـ ماذا هنالك ؟ . أتجده شيئا هاما ؟ .

فاشعل بيير آنج سيجارته ، قبل أن يجيب :

ـ بل على جانب عظيم من الاهمية .. فسوف اشتغل بقضية جنائية .. لقد عينتنى المحكمة للدفاع عن قاتل ..

وفوجئت فلورانس بالتبدل العجيب الذى انتاب نبرات صوته ، وهدتها غريزتها الى أن تخفف من لهجة التعالى ، التى اعتادت أن تخاطبه بها ، ثم هتفت فى اعجاب :

www.jadidpdf.com

ـ حقا ؟ . أهو رجل أم امرأة ؟ .
ـ امرأة ..
ـ ومن الذى قتلته ؟ .

فضحك بيرآنج ، وقال :
ـ ربما كان زوجها ! .

وكان يفكر فى لامور سيير .. وكذلك كانت فلورانس ! . عندما اضاف وهو ممعن فى الضحك :
ـ أو عشيقها . .. فسوف أعرف كل شىء عندما اطلع على ملف قاضى التحقيق ..

وردتها طريقه فى تفخيم كلمات « ملف قاضى التحقيق » .. وكانت فلورانس قد وجدت فيه حذلقة وتكلفا عندما اقترب لامور سيير اليها أول مرة . . كان يتحرى الفاظه فى عناية ، وينطق بها فى دقة وتؤدة ، كأنه يحاول أن يكسر ثمرة من البندق دون أن يصيب الثمرة بخدش واحد ! . ولكن فلورانس ما لبثت أن تبينت انه انما يفعل ذلك حتى يستطيع التغلب على حيائه .. فقد كان ، وهو الوضيع أصلا ومنشأ ، يستشعر القلق والرهبة فى قصر لامور سيير الفاخر ..

وسألته فلورانس :
ـ هل سررت لذلك ؟ .
فجلس بجوارها قائلا :
ـ كل السرور .. لقد ابتسم لى الحظ ..
وقبلته فى ولع ، ثم قالت :
ـ ومن الذى انتدبك لهذه المهمة ؟ . القاضى نفسه ؟ .

ـ نعم .. القاضى نفسه من الناحية الشكلية .. ولكن نقيب المحامين هو الذى اقترح اسمى فعلا ..
ـ وهل تعرف النقيب ؟ .
فهز رأسه فى بطء ، وقال :
ـ كلا ..

www.jadidpdf.com

ـ هكذا ؟ . لابد أن يكون عظيم التقدير لك .. ولا ريب انك اثرت اعجابه .. ألست سعيدا بذلك ؟ .

ـ وانت يا حبيبتى .. اليس هذا شعورك ؟ .

كانت اول مرة يخاطبها فيها بمثل هـذه الرقة .. بل لقد ضايقته رقته هذه ، لا لشيء الا لانها تقبلتها كأمر عادى .. فأسرع يقول :

ـ ان المـرأة تدعى ابونين .. ولعلك تذكرين دور ابونين فى قصة البؤساء .. فهى كبرى بنات تيناردييه ..

فأغمضت فلورانس عينيها .. لعنة الله على فيكتور هوجو ! .

بينما مضى فى حديثه قائلا :

ـ انها هى التى قتلت نفسها عند المتاريس ، فى سبيل حبها لماريوس ..

وكا يطوق خصرها بذراعيه ، ويدنى فمه من شفتيها ، وهـو يغمغم :

ـ وانت يا حبيبتى ؟ . هل تفعلين شيئا من أجلى فى سبيل الحب ؟ .

ـ نعم .. نعم .. أى شيء .. أى شيء ..

غمغمت بذلك لاهثة ، قبل أن يتلاشى صوتها فى قبلاته ! .

* * *

وعندما أتت فلورانس الى الفندق فى اليوم التالى ، كان بيرآنج جالسا بجوار النافذة ، وقد نبت شعر ذقنه ، وامتلأت الحجرة برائحة الطباق .. وما لبث أن نهض فى تثاقل ، وطبع على وجنتها قبلة خائرة ..

ورات الفراش منظما لم يمس ، والمنشفة معلقة على حاجز الحمام جافة لم تستعمل .. وراعتها بشاعة المكان . وساءها ما بدا من بيرآنج من فتور ، فلم يبق الا يومان قبل أن تستقل القطار الى مونت كارلو ..

وقال بيرآنج معتذرا :

www.jadidpdf.com

ـ كنت أعمل الليل كله ، ولم أنم الا لحظة خاطفة ..

وأشار بيده الى المكتب وقد اكتظ سطحه بالمستندات والمذكرات وكتب القانون .. كانت الفقرات الأولى من ملف القضية مليئة بالتعليقات التى كتبها بيده ، بعد أن حصل على الملف من كاتب المحكمة الذى أثرت فيه اللهفة البادية فى وجهه الصبوح ، وكان قد حفظ عن ظهر قلب جميع الأقوال التى اثبتها القوميسير كاريجال ، ورسم بيده رسما لمسكن ابونين ..

فلما عرض ثمرة جهوده هذه على فلورانس ، كان اشبه بتلميذ صغير يقدم لأمه جائزة نالها من مدرسته ! .

وتنهد بييرآنج قائلا

ـ يا لها من مهنة مضنية ! .

كان وهو ينسخ مثل هذه المستندات للاموريسير ، قلما أمعن الفكر فى كل كلمة منها بمثل هذه اللهفة والعناية . ولم يعد يسخر من الفاظ رجال الشرطة ولغتهم العجيبة ، والايجاز الممل فى محاضرهم ، رغم انه كان يستطيع أن يلتقط الكثير من الفكاهة بين سطور الاعترافات التى قرأها أخيرا ..

وأحس بييرآنج بوجوم فلورانس وكآبتها .. فقال :

ـ ألا تخلعين معطفك ؟ .

ولكنها تمنعت قائلة فى عبوس :

ـ كلا .. فلست أريد أن أعوقك عن عملك ! .

واسكتها بقبلة مليئة بالحرارة ، بينما غاص قلبها وهى تفكر فى الأسابيع الثلاثة التى ستقضيها بعيدة عنه ، لا تستطيع أن تتحسس يديه ، أو تتلمس شفتيه ! . كانت تزداد حبا له يوما بعد يوم ، وتتمنى أن تقيم معه دواما ..

وسألته فلورانس أخيرا :

ـ كيف وجدتها ؟. كيف وجدت تلك القاتلة ؟.

وكان فى الواقع يذوب لهفة على الحديث عن ابونين ، فأسرع يقول :

www.jadidpdf.com

ـ فظيعة ! . فهى عجوز ، بدينة أشبه « بالزكيبة » ولكن ذلك لم يمنعها من ممارسة الحب يا فلورانس . فقد كان لها عشيقان ! .

كان وهو يسرع الى سجن لاروكيت ليبرز تصريح الدخول أمام حراس السجن ، أشبه بضابط حديث التخرج يعبر الطريق بخصيصا ليتلقى التحية العسكرية من أحد الجنود .. ولكن شد ما كانت خيبة أمل بييرآنج عندما لقيه حراس السجن الأوغاد فى غير اكتراث ، واكتفوا بأن يأخذوا اسمه ، دون أن يعنوا بالقاء نظرة واحدة على أوراقه ..

فقالت فلورانس فى صوت ملىء بالرقة ، والسخرية :

ـ انهم لا ينظرون الى عملهم نظرة جدية ! . .

كانت ترى أمامها بييرآنج آخر ، جديدا ، أشبه بصبى واع طموح يعمل فى جد ويتألق فى الامتحان ..

وقص عليها بييرآنج حديثه مع احدى الراهبات اللاتى يعملن حارسات للسجن :

ـ السيدة مركاديه ؟ . هل هذا اسمها ؟ . نعم .. انه يبدو مألوفا لى .. دعنى أر السجل .. آه ! . طبعا .. انها حديثة العهد هنا ، وهى امرأة محترمة جدا لا تقول الا : نعم أيتها الأخت ! . فالكياسة هنا أمر مستغرب ، تلحظه سريعا .. آه لو كنت تعلم ! .

ثم حدثها عن راهبة أخرى أصغر سنا ، تبدو بشرتها الوردية تحت غطاء رأسها الفاحم السـواد ، كانت هى التى قادته الى مربع صغير تحيط به جدران زجاجية ، حيث لحقت به ابونين بعد قليل ..

ابونين ! . يا له من اسم .. كان بييرآنج وهو ينتظر مقدمها ، يتخيل قصة حب عنيفة تحيط به ! . لابد أن تكون احدى حفيدات ابونين العظيمة ، رفيقة فيكتور هوجو فى المنفى ! . ولكن شد ما كانت خيبة أمله ـ مرة أخرى ـ عندما أتوا بها ، فوجدها من الدمامة بحيث لا تصلح أبدا لأن تكون بطلة قصة غرام !.

ووصفها لفلورانس ، قائلا :

www.jadidpdf.com

ـ كان وجهها رماديا ، ووجنتاها غائرتين ، تحيط بعينيها هالات اختلط فيها السواد بالزرقة ! . ومع ذلك فان لها عينين غريبتين ، لا تخلوان من جمال ..

فسألته فلورانس :

ـ ما لونهما ؟ . سوداوان أم ملونتان ؟ .

ـ لست أذكر تماما .. ولكنى كنت أتساءل .. هل تفهم ما أقوله لها .. فلم ترفع رأسها قط ، ولا تجيب الا بعبارات « نعم » أو « لا » أو « كما تشاء » .. لم أخرج من مقابلتها بأية نتيجة ، ولم تقل شيئا يفيدنى أو يفيدها .. والشيء الواضح الصريح الذى نطقت به كان قولها : أنت تعرف اننى لا أملك نقودا ! .

فقالت فلورانس :

ـ اننى أرى ذلك أمانة منها واخلاصا ! . ولكن هل يعنى ذلك أنك لن تكسب شيئا من وراء دفاعك عنها ؟ .

فقهقه بيرآنج ساخرا ، وقال :

ـ المجد .. والشهرة ! .

فكم من مرة وقف أمام المرآة ، وراح يترافع عن أول عميل له .. سوف يجد له مكانا بين رجال القانون العظام .. وسوف يصبح ـ عن يقين ـ جديرا بأن يخلف رجالا مثل لامورسيير وجابرسون وفلوريو .. وكانت نشأته فى الفقر والعوز تضطره الى اخفاء طموحه خشية أن يقابل بالهزء والسخرية .. ولكنه كان بالغ السعادة مع فلورانس ، بحيث أوشك أن يتخلى عن حذره .

وما لبث أن تنهد قائلا :

ـ سوف تكون مهمة شاقة ! .

فسألته فلورانس :

ـ ما الذى فعلته تماما ؟ .

ـ آه !.. انه غاية فى البساطة .. لقد أرادت أن تستبدل عشيقا شابا بعشيقها الكهل ، فأقدمت على قتل الكهل بمعونة الشاب ! .

www.jadidpdf.com

وكاد أن يضيف : أن ذلك يحدث كل يوم ..
ولكن العبارة بدت له سخيفة تافهة ، فأمسك عن النطق بها .. ولم يكن فيما ذكره لفلورانس من ملخص للجريمة ما يقلقه اذ لم يخطر بباله أى وجه للشبه بين فلورانس وابونين ، بعد أن رأى أبونين ..

ولكن كلماته كانت تدوى فى مسامع فلورانس ، أكثر عمقا وأشد أثرا .. « لقد أرادت أن تستبدل عشيقا شابا بعشيقها الكهل .. ! »
واستطرد بييرآنج قائلا :

ـ وتم لهما قتل الرجل المسكين كما أرادا ، ولكنهما لم يستطيعا « قتل » جثته .. أعنى الخلاص منها بدورها .. فلم تفكر عميلتى الحمقاء فى هذا الأمر . وهكذا روعت عندما اكتشفت أن الكهل لا يزال عبئا ثقيلا عليها حتى بعد أن لقى حتفه ، فقطعته أشلاء ..

فصاحت فلورانس : يا للفظاعة ! .
وسألته أن يشعل لها سيجارة ، فمضى ليحضر علبة سجائره . ولكنه أحضر لها أوراق القضية التى تحوى اعترافات المتهمين .. وقال :
ـ انصتى اليها يا فلورانس ، فسوف تثير ضحكك ..
فلما فرغ من تلاوته سألته فلورانس :
ـ أتراهم يحكمون عليها بالموت ..؟.
فهتف بييرآنج فى انزعاج :
ـ يا لها من فكرة ! اننى حقا أرجو غير ذلك ، فسوف تكون بداية سيئة لمستقبلى ..
ومضى يردد على مسامعها ، كأنما هو من انشائه ، وصفا للعدالة سمعه من محام ممتاز تمكن من انقاذ حياة أحد القتلة :
ـ ان من واجبك أن تعاقب الاشرار ، فليس فى ذلك من شك .. ولكن من واجبك كذلك أن تكافىء الأخيار .. والمجرمون هم الاشرار .. أما محاموهم فهم الأخيار ..

www.jadidpdf.com

ثم استطرد قائلا :

ـ أرأيت الآن تشابك الامور وتعقدها ؟.. ان ابونين الشريرة يجب أن تعاقب ، ولكن بيـير آنج الطيب يجب أن يكافأ فى الوقت نفسـه ! ..

وشعر بما فى « مزحته » من سخف وثقـل !.. ولـكنه كان شديد الانقباض ، اذ تبين من جديد ـ بعد أن قرأ اعتراف ابونين بصوت عال ـ مبلغ صعوبة مهمته ، فتنهد قائلا :

ـ يا لها من مهمة قذرة ، لن أجد لى فيها فرصة للـ ..

وتردد لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ للتألق .. للظهور فى دائرة الضوء .. للشهرة والمجد !.. هل يضايقك ذلك يا فلورانس ؟ . ان ترى مستقبلى فى خطر ؟ .

كان يقول ذلك فى اشمئزاز ظاهرى ليستجلب شفقتها.. أما الحقيقة فانه كان شديد الثقة فى نفسه ..

فغمغمت فلورانس وهى تجذبه الى صدرها :

ـ يا صغيرى العزيز .. ان الفشل فى بعض الاحوال ..

فنضا عنه ثوب النفاق وقال فى حدة :

ـ ولكننى من الفقر بحيث لا أسمح لنفسى برفاهية الفشل .

فأسكتته فلورانس بشفتيها ..

وتنهد بييرآنج من جديد ، بعد أن تحرر فمه ، وقال :

ـ لو انهم أعطونى الآخر .. ذلك الأبله .. شريك الجريمة .

ولم يكن يعرف اسم المحامى الناشىء الذى انتدب للدفاع عن لارنييه .. المحامى المحظوظ ! فان بييرآنج كان قد فكر فى عشرين دليلا ـ على الأقل ـ تكفى لتبرئة لارنييه ..

واستطرد يقول :

ـ لو كان الزميل على جانب من الذكاء ، فاننى سوف اقترح عليه أن نوحد جهودنا ، ونجمع قوانا .. وبدلا من أن يحارب كل منا الآخر ، فاننا نركز جهودنا للهجوم على خطـايا المجتمـع .. الجهل ، والاهمال ، والفقر !.. فهذه الجريمة ليست الا جريمة

www.jadidpdf.com

الحرمان .. جريمة الطبقة الكادحة الفارقة فى الأوحال .. أما المجرمون الحقيقيون ..

وكف بييرآنج عن الاستطراد ، وبدأ يضحك عاليا .. كانت لهجته الدرامية قد بدت له مضحكة تافهة .. وكان يعلم حق العلم كيف يكون تصرفه لو أنه كلف بالدفاع عن لارنييه وجاءه محام آخر يعرض عليه هذا الاقتراح .. وفضلا عن ذلك فان خطوط الجريمة كانت واضحة المعالم ، ومنذ اللحظة الاولى التى قبض فيها عليها ، وفى أول استجواب لها ، اتهمت ابونين صديقها لارنييه ..

وقال بييرآنج متعجبا :

ـ لست أدرى لماذا تصر على تدميره ؟.. ولكن النساء فاقدات الشعور بالانصاف !.. والرجل اذا أخطأ فانه يدفع الثمن ، أما المرأة ..

فاندفعت فلورانس تقاطعه فى حرارة وحدة :

ـ ان الدنيا بأسرها تقف ضدها ! فالمرأة اذا اتخذت لنفسها عشيقا ، امتدت أصابع الناس جميعا تشير اليها .. ولكن الرجل يستطيع أن يفعل ما يشاء .. فهل تتوقع بعد ذلك أن تجد فى النساء شعورا بالانصاف ؟..

ـ ما الذى تقصدينه يا فلورانس ؟ .

ـ ان صاحبك لارنييه هذا ليس الا وغدا زنيما !..

ـ بل هو نموذج بشرى يثير الحزن والأسى وليس وغدا زنيما ! .

ـ كلا .. انه وغد قذر .. لقد دفع المرأة الى ..

ـ الأمر على العكس يا فلورانس ، فهى التى دفعته الى الهاوية وساقته الى الجريمة ، انه خائر ضعيف ، مجرد كتلة كبيرة من الشحم خالية من قوة الارادة ..

ولكنها وجدت دليلا يثبت كلامها ، فقالت :

ـ لقد وجد من قوة الارادة مايكفيه للشح بنقوده . فما الذى كانت تكلفه حجرة واحدة فى فندق صغير ؟ . ثلاثمائة فرنك ؟ .

www.jadidpdf.com

أو اربعمائة ؟ . لقد وجدوا فى جيبه عشرين الف فرنك ، ولكنه بشحه وتقتيره ، وأعراضه عن انفاق ثلاثمائة فرنك ، دفع المراة المسكينة الى القتل .. وما زلت اقول انه شيطان رجيم ! . لقد أحبته هى ، أما الشىء الوحيد الذى أحبه فلم يكن سوى نقوده ! »

فاندفع بيرآنج الى مكتبه ، ليخط سريعا هذه العبارة : «لقد أحبته هى ، أما الشىء الوحيد الذى أحبه فلم يكن سوى نقوده » وهو يغمغم :

ـ بديع .. رائع ..

وأحست فلورانس بالزهو ، وقالت :

ـ لماذا تكتب ما أقوله ؟ . ربما كنت أهذى .

ومن سوء الحظ أن زهوها لم يطل أمره ، فقد قال بيرآنج :

ـ ليكن يا فلورانس .. ولكن لا تنسى أن لها بنتين تبلغان العاشرة أو الثانية عشرة من العمر ، وقد شهدتا الحادث بكل تفاصيله ، فهلا تظنين أن أما مثلها ..

فألقت فلورانس بسلاحها مستسلمة .. انها لم تكن اما .. ولكنها كانت تؤمن بشىء واحد ، هو أن المراة والعشيقة يجب أن تفسح المكان للأم ..

وتملكها القلق عن مصير الطفلتين ، فسألته :

ـ ما الذى تم فى أمرهما ؟ ..

ولكن بيرآنج لم يكن يعرف عن ذلك شيئا ، وعندئذ أشارت عليه أن يذهب لرؤيتهما ، وقالت :

ـ بذلك يمكنك أن تطمئن أمهما . وانى واثقة من أنها ستحمد لك هذا الصنيع ..

فبادر يقبلها فى عرفان وهو يقول :

ـ أيها الزميل العزيز .. شكرا لك ..

فأجابته حالمة :

ـ أرأيت ؟ .. لو استطعنا أن نعمل معا ..

ولكن ضحكته بددت حلمها ، كان وهو يكتب فى مذكرته :

www.jadidpdf.com

« طفلتا ابوتين » قد أطلقها جافة ، ساخرة ، كان يتمنى لو أسرعت فلورانس بالانصراف ، فقد كان يريد العـــودة الى عمله ، وتلاوة الاعترافات من جديد ..

— ٥ —

عندما بدأ بيرآنج رسالته بعبارة «أمى العزيزة» ، كان يشعر بالحرج والارتباك ، شأنه كلما كتب رسالة الى أمه .. كان كلما كتب اليها ، يروى لها قصصا غريبـــة كقصص الأطفـــال ، تنتهى كلها بطلب النقود ! كان رحيل لامور سيير قد أثر على ميزانيته ، فلم يكن يجد رزقه الا فى تلخيص المطالبات لبعض مكاتب التأمين ، او فى الزهيد من الهدايا « النقدية » التى يحصل عليها بين الحين والحين من بعض أصدقائه الصحفيين ، كلما زودهم بخفايا احدى القضايا ..

وكانت أمه تحثه على العودة الى فاليز .. كانت تقول دائما « ان رجال القانون يصلون الى كل شىء » ولكنها كانت تتمنى ان ترى ابنها قاضيا فى الريف ، أو موثق عقود ، أو عمدة لبلدته .. ولا بأس من منصب نائب العمدة .. انه المنصب الذى تحلم بأن ترى بيرآنج يشـــغله .. منزل جميل .. مؤثث على حســـاب الدولة ، مع النور والمياه والغاز وغـــيرها من المـــزايا .. مجانا ! ولا ريب انها كانت ترسم فى ذهنها أيضا صورة فتاة جميلة ذات ثراء ! فان التضحيات التى بذلتها فى سبيل تعليم بيرآنج ، كانت تدفع آمالها دفعا الى آفاق بعيدة .. لقد ترملت فى الخامسة والعشرين ، فكرست حياتها لتغدق على ابنها فيضا من الحب ، والحنان ، والرعاية ، ومن حقهـــا الآن أن ترى ابنهـــا يستجيب لرغباتهـــا ..

ولـــكن بيرآنج كان فى باريس بعيدا عن رقابتها !

« أمى العزيزة ..

هانذا احمل اليك ـ اخيرا ـ بعض الانباء الطيبة .. فسوف أترافع فى قضية جنائية هامة أمام محكمة الجنايات .. وربما كنت

www.jadidpdf.com

مفاليا بعض الشيء .. فالحقيقة اننى انتدبت من المحكمة للدفاع عن امرأة مسكينة لا تملك من المال ما تدفعه لمحام توكله عنها .. ولكنى أخشى ألا تجد أول « عميلة » لى ، شيئا من العطف فى نفسك .. لقد كانت تعيش مع عجوز سكير ، حتى تبينت ذات يوم ، انها لم تعد تطيق عشرته .. وفى وسعك أن تعرفى السبب ، فقد وجدت عشيقا شابا !.. شاب ميزته انه لا يقرب الخمر !.. وأرادت أن تستبدل عشيقها بالآخر ، ولكن العجوز أبى واستكبر ورفض أن يترك المكان .. وعندئذ هوت على رأسه بقضيب من الحديد .. ثم قامت بعد ذلك ـ مع صديقها الشاب أو بدونه ، فما زالت هذه النقطة موضع جدال ـ بالقضاء عليه خنقا .. واننى لأتخيلك ترفعين يديك الى السماء ، ولكن مهلا ، فلم تنته القصة بعد .. وأكاد لا أجرؤ على اخبارك بما فعلته بعد ذلك ، فقد أرادت التخلص من الجثة ولم تجد الا أن تقطعها أشلاء !..

وأعرف تماما انك ستقولين : « مثل هذه الاشياء لا يمكن ان تحدث فى هذا المكان الذى نشغله من العالم » .. ولكن دعينى أكمل الحديث .. ان هذه المخلوقة الرقيقة التى كلفت بالدفاع عنها ، تدعى ابونين .. تماما مثل احدى بطلات قصة البؤساء .. ولولا خشيتى من أن أخدش مشاعرك .. يا أماه العزيزة ، لاعترفت لك بأننى أشفق عليها .. »

كانت أجهزة التدفئة باردة اذ أنها تتوقف عن العمل عند منتصف الليل فى فندق لورييه .. وأحس بيير آنج بيديه ينتابهما الخدر من البرد .. كان قد تناول عشاءه فى حجرته ، بيضا مسلوقا وخبزا جافا .. وهو الطبق الوحيد الذى يستطيع صنعه بنفسه ..

وكان قبل أن يذهب الى سجن لاروكيت ، قد عرج على ملجأ الايتام الذى تديره راهبات سان فنسان دى بول حيث أودع رجال الشرطة طفلتى ابونين .. وأحضرت له البنتان فى حجرة ذات جدران بيضاء ، تستخدم لاستقبال الغرباء ولحفظ البياضات فى وقت واحد .. ولكنهما لم تقولا الا القليل ، فما كادت الصغرى

www.jadidpdf.com

تفتح فمها حتى رمتها أختها الكبرى بنظرة صاعقة ألجمت لسانها .. انها امرأة صغيرة حقا ، تلك الأخت الكبرى ، وقد بدا صدرها النابت تحت مئزرها

وقد قال بيرآنج لأبونين : انها رائعة الجمال ، شديدة الشبه بك !..

ولم يكن قوله مجرد مجاملة لارضائها .. فقد اكتشف لتوه ابونين أخرى ، ما كاد يذكر البنتين أمامها حتى أشرق وجهها بالابتسام وسألته :

ـ ماذا كانتا تلبسان ؟.. هل أخذتا معطفيهما ؟..

ـ لا تراعى .. فانهما يلقيان كل رعاية . وسوف أرى مايمكن عمله لهما ! ..

ومنذ تلك اللحظة ، بدأت أسارير ابونين تنبسط بأسرع مما توقع بيرآنج . وسألها عن والد البنتين ، فقالت انها تزوجت قبيل الحرب ، من خباز متجول ، ما لبث أن وقع أسيرا فى عام ١٩٤٠ ولم يعد قط من ألمانيا .. كلا .. انه لم يقتل .. ولكنه كان يعيش بالقرب من بادن مع أرملة مزارع قتل فى الجبهة الروسية

غير أن ابونين لم تكن تحمل هما ، فما كاد الخباز يلتحق بالجيش ، حتى كانت تأوى دائما فى مسكنها رجلا آخر !..

وازداد بيير آنج فهما لذلك الحقد الذى أثاره هاجولان فى نفس ابونين بتشبثه بمسكنها ، كما تتشبث القوقعة بالصخر .. ولكن لماذا لم تشكه للسلطات ؟.. لماذا لم تلجأ الى رجال الشرطة لارغامه على الجلاء ؟ ومنذ راحت تقص عليه ما لقيته من الصعاب فى الحصول على الطلاق من الخباز ، والسنين الطوال التى استغرقتها الاجراءات القضائية ، والنفقات الهائلة التى تكبدتها ، وبرود الموظفين وقلة اكتراثهم ..

وعجز عن اقناعها بأن هناك مشكلتين مختلفتين ، فقد أجابته :

ـ بل هى عشرات من المشاكل ، أيا كانت الرواية التى تنظر الى الأمر منها .. هناك من ناحية ، مشكلتها هى نفسها ، ثم

www.jadidpdf.com

اطفالها ، والمسكن ، والسعادة بالعيش فيه مع الاطفال وروبير (أوهاجولان أو أى رجل آخر) .. وهناك من الناحية الاخرى ، العالم الذى يناصبها العداء ، والبقال الذى يبيع الزبد بثمن فاحش ، وصاحب البيت الذى يرفع الايجار دون أن يجدد طلاءه ، والحكومة التى تسحق صغار الناس دائما ، ورجال الشرطة ، والمدرسون ، وسائقو الاوتوبيس الذين يمرقون كالسهم أمام المحطات ، والصيدلى الذى يغش لك الدواء ، والفلاحون الذين يريقون البانهم طعاما للخنازير ، والحانات الرخيصة القاتلة ، والقساوسة ..

وعندئذ قاطعها بيرآنج فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ولكنك اعتدت أن ترسلى ابنتيك الى الكنيسة ..

ـ كنت أريد أن تلقيا ما لقيته !..

ولكنها مع ذلك كانت سعيدة لوجودهما مع الراهبات ، فذلك أفضل من أى ملجأ حكومى ..

وسألها بيرآنج عن راهبات السجن ، فلم تحر جوابا . فقال :

ـ ما قولك لو حضرت قداس الأحد فى السجن ؟ إنه سوف يصرف تفكيرك الى اشياء أخرى ..

فنظرت اليه ابونين ، وقالت فى لهفة :

ـ أتظنه يفيدنى فى شىء ..

وفوجىء بيرآنج بلهجة الندم التى تبدت فى كلماتها ، ولكنه ذكر عبارة وردت على لسانها أمام القوميسير كاريجال ، وأثبتها جودان فى تقريره ، عندما قالت انها سوف تلزم الصدق ، كل الصدق ، فيما تقوله ..

ولم يكن أمام بيرآنج الا القليل من الايام كى يعمل على تبرئتها عند ظهورها أمام قاضى التحقيق ، فسألها :

ـ أى نوع من الرجال كان هاجولان هذا ؟.

ولكن السؤال كان من التعميم بحيث لم تستطع الاجابة عليه.

وعاد يسألها :

www.jadidpdf.com

ـ عند ما كان ملقى على الارض فى مسكنك ، فى حجرة النوم الخلفية ، الم تأخذى الفى فرنك من جيبه ..؟

كان سؤالا صريحا محددا ، اقلق ابونين ، ولكنها اجابت على الفور :

ـ لقد كان مدينا لى بها ، نظير اقامته وطعامه خلال الاسبوع اننى لم آخذ اكثر من حقى ..

ـ وهل كان يتأخر فى السداد ؟..

ـ أحيـــانا ..

ـ احسبه كان يماطلك كثيرا ! الم يكن سكيرا مدمنا للخمر ؟

ـ كان يحب كأسه اكثر من أى شىء آخر ..

ـ وذلك ما جعـــله قبيح الصورة دميما .. كل المدمنـين يصبحون كذلك ، وهذا ما يعـرفه القضاة جيدا .. لقد ذكرت لرجال الشرطة أنه توعد ابنتك الكبرى ذات يوم ، وهم بضربها .

ـ نعم .. كان يريد ارغامها على الصمت ، وتوعدها بالضرب

ـ هل انت واثقة من أن شيئا آخر لم يطف برأسه ؟ ما اسم ابنتك هذه ؟.. فرانسيت ، أليس كذلك ؟ لقد كبرت وغدت فتاة مكتملة الانوثة ، فهلا تظنين ان هاجولان ...

ومرة اخرى التقت عينـا ابونين ، اشبه بعينى حيوان حذر يطارده الصيادون ، بعينى المحامى الشاب ، ولكن ذلك لم يدم غير لحظة خاطفة ، ثم أشاحت بوجهها ، وهى تغمغم :

ـ نعم .. لقد رأيته ذات مرة ، وكانت فرانسيت منحنية على النافذة تطل على الطريق ، وكان يربت على ظهرها بطريقة مخجلة ويحاول أن يدس يده تحت ثوبها ..

فنهض بيرآنج قائلا :

ـ اصغى الى جيدا يا ابونين .. ينبغى لك ان تثقى بى ، وأن تخبرينى بكل شىء ، يجب ان تفكرى مليا ، وأن تذكرى كل صغيرة أو كبيرة مما حدث ، اذا كنت تريدين العودة الى أطفالك ثانية .

www.jadidpdf.com

« نعم أيتها الأم العزيزة ، فاننى أشفق على هذه المرأة ، فأنت ترين أن عجلة العدالة ساحقة رهيبة ، ومن الصعب ايقافها . واذا أردت أن تحكمى على شخص ما ، فعليك أن تضعى فى الميزان حياته بأكملها .. فبأية مقاييس ، والى اية درجة ، تعد امرأة مثل ابونين هذه مسئولة عن أفعالها ؟ لقد زرتها فى السجن مرتين ، فلم تخبرنى أول مرة بأى شيء .. كنت أرى أمامى مخلوقة بلهاء متخلفة دميمة ، تغمغم بألفاظ محدودة غير مسموعة ولا مفهومة ، وعجبت كيف تكون مثل هذه المخلوقة بطلة جريمة عاطفية ، فلما رأيتها للمرة الثانية أيقنت انها كانت ـ ولا شك ـ على جانب كبير من الجمال ، وانها ليست بلهاء على الاطلاق .

أترينني فى صفها لأنى ندبت للدفاع عنها ؟ .. أو لأننى أريد أن أتخذ منها وسيلة لاظهار ذكائى ومقدرتى ؟. ربما ظننت ذلك .. بل لعلنى أنا نفسى قد هجس فى خاطرى هذا الظن ، اذا أردت الصراحة .. ولكنى لست واثقا من ذلك بعد .. وقد أردتنى على أن أتخذ لنفسى طريقا آخر فى الحياة ، وأنت على حق فى ذلك بلا ريب .. ولكنى أريد أن أقدم على هذه المخاطرة ، ولا تحسبيها سهلة ميسورة ، فكلما ازددت تعمقا فى القضية ، ازداد خوفى من الفشل .. لقد اعترفت المسكينة لرجال الشرطة بكل شيء ، وقاموا بتدوين أقوالها ، ووقعت عليها .. ولو كانت العدالة سهلة بسيطة ، لكانت القضية قد انتهت الآن .. ولكن العدالة تحلم بأن تكون عادلة ، وأن تحكم فى تؤدة ورصانة ، وأن تحلل البواعث وتتفهمها حق الفهم ..

واذا كنت قد اكثرت من الثرثرة والهزيان ـ أيتها الام العزيزة ـ فذلك لأننى لا اكاد أتبين طريقى جيدا .. ولست أدرى ما انا فاعل .. فلم تبق الا اربعة أيام من الآن حتى أقف مع عميلتى امام قاضى التحقيق ، وهى أولى مراحل محاكمتها .. انها ـ كما قلت لك ـ قد اعترفت بكل شيء .. بكراهيتها للقتيل ، وبالجريمة نفسها ، وبسبق الاصرار .. ولكن ما الذى تعنيه تلك الكلمات التى استخدمتها حقا ..

www.jadidpdf.com

اننى لا أحاول أن أرسم لك صورتها كضحية للمجتمع ، فأن هذه العبارة ليست بذات معنى ، حتى بالنسبة لها نفسها .. ولكن الذى أعرفه تماما ، مع ذلك ، انها عندما اعتادت أن تقول : « سوف أقتل هاجولان » لم تكن تقصد انها تريد حقا أن تقتله ، وانما تعنى أنه كان يحرمها من حق العيش والحياة ..

وانى لأدرك ــ يا أماه ــ أن ذلك كله يعود مشوشا مختلطا .. ولكنى عند ما أصحب ابونين ، بعد اربعة ايام فحسب ، الى قاضى التحقيق للمرة الأولى ، فسوف أكون « مترجما » لها ، أكثر من ان اكون محاميها !. ستكون مهمتى أن أترجم لغتها الى لغة القاضى .. فانه وان كان كلاهما يتكلم الفرنسية ، الا ان احداً منهما لايفهم كلمة واحدة مما يقوله الآخر ! ..

ولو اننى كنت أدافع عن افريقى ، أو صينى ، أو هندى ، لقمت بترجمة أقواله ، دون أن يدهش أحد لذلك .. اما مع ابونين ، فاننى كى « أفسرها » سوف أبيح لنفسى أن أتصرف فى اعترافاتها كما لو كنت أترجمها !.. سوف أمحو ــ كالحواة ــ كلمات قالتها فعلا ، واخترع مكانها كلمات أخرى ربما انكرتها هى نفسها ، ولكنها ، رغم أنفها ، سوف تعطى القاضى فكرة صحيحة عن قضيتها .. وسوف ينبغى لها أن تحفظ هذه الكلمات التى سأخترعها عن ظهر قلب ، حتى ترددها كالببغاء أمام القاضى .. اكاذيب ؟ .. كلا يا أماه ، وأقسم لك .. بل هى ترجمة ، مجرد ترجمة ! . فالعدالة فى الحقيقة آلة رهيبة مروعة »

* * *

تنهد بييرآنج ، وألقى بالقلم من يده ، ثم نهض يفرك يديه ليبعث الدفء فيهما ، ووقف أمام المرآة قائلا : «أيها السادة المحلفون..»

وكان المصباح الخافت الضوء ، الموضوع على منضدته ، يعكس على المرآة خيالا لبييرانج يصوره عظيما مرتفع الصدر كأبطال الأساطير ، فاختال عجبا ، وغمغم يحدث نفسه « سوف أضعهم جميعا فى راحة يدى ، ثم أطبق عليهم أصابعى !.. » ...

www.jadidpdf.com

كان كأنه يخرج من شرنقته ، وتتحول الى فراشه تطير هنا وهناك بل لقد كان بوسعه ان يرى اجنحته وهى ترفرف فعلا ! ..

وكان قد تناول طعام الغداء فى شارع سان بيير ، هو والاستاذ لامور سيير وحدهما ، لأن فلورانس لا تأكل شيئا عند الظهر .. وسأله لامورسيير عن القضية ، وأمطره بوابل من النصائح ...

ولم يكن بييرآنج ينطوى على اى تقدير للمحامى العجوز .. ومنذ أن وقع فى حب فلورانس ، ازداد قسوة وحنقا فى الحكم عليه وكان يصفه بأنه « ماكر ، شطارته أوفر من ذكائه ، مشعوذ يحمل حقيبة ملأى بالحيل والألاعيب !.. »

وكانت الصحف قد أغضت عن ذكر جريمة شارع سيربور ، بعد أن شغل الموقف السياسى كل أعمدتها .. وحمد لها بييرآنج ذلك فى نفسه ، لعلمه بحب لامورسيير للشهرة وولعه بذكر اسمه فى الصحف ..

كان قد قال فى ذلة ، حتى لا يثير استاذه : انها جريمة صغيرة قليلة الاهميـــة .

ولكن لامورسيير صاح فى صوت مدو : ليس ثمة جرائم صغرى قليلة الاهمية ، انما هناك فقط محامون صغار قليلو الذكاء ..

وراح بييرآنج يقلد لامورسيير أمام المرآة ، قائلا «هناك فقط محامون صغار قليلو الذكاء !.. » تعال الآن وانظر ! ..

فلما فرغا من الطعام ، قـدم له المحامى مظروفا يحوى بقية أجره عن عمله فى «تاريخ فونتنبلو» .. أما نشر الكتاب ـ بطبعتيه الفاخرة والشعبية ـ فقد أرجىء الى اجل غـير مسمى ، وقال لامورسيير « سوف أنظر فى الأمر عند عودتى » .. وكان المحامى العجوز قد تخلى عن كل امل فى عضوية الاكاديمية الفرنسية ! ..

« ولكن لماذا ينبغى على المرء ـ يا اماه ـ ان يضيع وقته فى كسب رضاء اناس لايكن لهم ذرة من الاحترام ؟ .. أن باريس ، بالنسبة لشخص مثلى قادم من الريف ـ مدينة تقتل الحرية وتحطم الآمال .. وعندما التحقت بمدرسة الحقوق ، كنت شديد القلق والرهبة ، بل أشد مما تتصورين .. وخيل الى أن كل اقرانى سوف يتفوقون

www.jadidpdf.com

على ويسبقوننى .. وشد ما كانت دهشتى عندما تبينت أن الفتيان الذين كنت أرهبهم ، والذين كانت ثقتهم بأنفسهم تذهلنى ، لايثيرون أمامى ذرة من القلق .. كانوا يقضون وقتهم فى التسكع واللهو ، وتظهر أسماؤهم فى مؤخرة قائمة الناجحين ! فلم تكن أمامهم ذكرى تضحياتك العظيمة لتحفزهم وتدفعهم ،الى الأمام كما فعلت بى .. ولكنى الآن أدرك السبب الحقيقى فى تراخيهم وقلة اهتمامهم .. كانوا اعضاء فى ناد كبير ..نادى الناجحين !.. كانت تفتح امامهم جميع الابواب ، دون أن يضطروا لاثبات كفاءتهم ومقدرتهم .. وكل ماكان عليهم أن يفعلوه ، هو أن يهمسوا باسم معين ! ..

وعشيق موكلتى الشاب ، هو شريكها فى الجريمة ، ولكن الدفاع عن قضيته أيسر وأهون شأنا ، وقد عهد بأمر الدفاع عنه الى زميل لى طالما حدثتك عنه ، هو جوليان كرستنر .. وهو من أعضاء « النادى » .. فأبوه رجل عظيم يملك مصرفا لاستثمار الأموال .. أما أمه ، وهى ممثلة سابقة فى الكوميدى فرانسيز ، فانها تدير الآن فرقة مسرحية كبيرة ! انه سوف يأكل الكعك والحلوى .. واكتفى أنا بالخبز الأسمر .. ولكنى لا أشكو ولا أتذمر .. ومجرد ذكر نقيب المحامين لاسمى ــ وهو اسم خامل لريفى صغير ــ خير من لاشىء ... فهناك الآن عشرات من الفتيان المنعمين لا يترددون عن دفعى الى أعماق السين ليأخذوا مكانى ، غيرة وحسدا ...

وقد خشيت اليوم ، بينما كنت اتناول الغداء مع الاستاذ لامورسيير ــ أن يخطر بباله أن يذهب معى الى المحكمة ، وتخيلته وهو يقول لى : « اننى احبك أيها الشاب ، وأود أن أفعل شيئا من اجلك ! . » فأنت تعلمين اننى أعتمد عليه من الناحية المالية أو بالأحرى كنت اعتمد عليه .. لانه منذ أن أصيب بالنوبة القلبية أشار عليه الطبيب براحة طويلة الأمد ، وسوف يرحل الى الريفييرا .. وماذا يكون من أمرى انا ؟ .. ولكن لماذا يهتم بأمرى ؟ .. لقد نقدنى أجرى عن عملى معه حتى الآن ، واصبحنا « خالصين » ..

www.jadidpdf.com

وهكذا ترين ــ ايتها الام العزيزة المسكينة ــ لماذا أجد نفسى مضطرا مرة أخرى لأن أطلب اليك ..

ــ ٦ ــ

جلس لامورسيير فى مقصورته الفاخرة بالقطار الازرق ، وهو يمثل صورة صادقة للملك المخلوع عن عرشه ، فى طريقه الى المنفى.

وكانت فلورانس قد تركته ، بعد أن لفت ساقيه فى غطاء كبير من الصوف ، ذى نقوش زاهية ، لتعود الى رصيف المحطة بحثا عن الصحف (كأنما لم يكن هناك من يأتى بها غيرها ..) بينما كان لامورسيير ينصت شارد الذهن الى تمنيات الوداع من «الاصدقاء المقربين » الذين كانوا جميعا قد تبينوا انه شاخ كثيرا منذ أن كف عن صباغة شاربه ..

كان يتساءل « ماذا تفعل فلورانس ؟ . » وهو يبحث عنها من خلال النافذة المكسورة بغلاية من البخار .. فمنذ أن أصابه المرض انتابه ذعر قاتل من أن يفقدها .. ولكن لماذا ؟ أنها لم تأت شيئا يثير قلقه البتة .. نعم .. الا شيئا يسيرا فى طباعها .. نوعا من حدة المزاج والتوتر العصبى ، وهى التى كانت عادة هادئة ثابتة !..

لقد قال لها ذات يوم وهما يقضيان عطلة نهاية الاسبوع فى « شانتسو » :

ــ انك هادئة وديعة كأرض « تورين » ..

نعم .. تورين .. بلده .. بكل مافيها من سلام ، ودعة ، وأرض منبسطة ، وظلال وارفة .. وحفيف أوراق الكروم فى ريح رقراقة .. ونهر اللوار الذى تسطع فوقه الشمس .. نعم .. كانت تمثل ذلك كله بالنسبة له .. وتمثل الاستقرار الرصين لسعادته ...

اما الآن ، فقد اخذت تلوح أمام هذا الستار المشرق الوضاء ، يوما بعد يوم ، بوادر من العواصف المفاجئة ، وهزيم الرعد أتراها تحبنى ؟ وهل أحبتنى قط ؟ ولم يخطر بباله البتة ان

www.jadidpdf.com

فلورانس قد تحب شخصا غيره .. كلا .. فذلك ، فيما يخيل له ، خارج عن الموضوع .. لم يكن يفكر فى المفاضلة بينه وبين شخص آخر .. وانما كان تساؤله « هل فلورانس ذات قلب ؟ .. وهل هى خليقة بأن تعرف الحب ؟ .

كان الكهل فى حاجة للشعور بمن يحبه .. فقد كانت خشية الموت تجرى فى دمه وعظامه ..

وغمغم يقول : سوف يفوتها القطار .. ترى أين ذهبت ؟

واذا كانت عادته ألا يهتم بأحد الا بنفسه فحسب ، فانه لم يلحظ فى اصدقائه شيئا غير انعكاس صفاته وأفعاله هو نفسه .. فقد بدأ يحس بأن « المقربين لم يعودوا يمتدحونه صادقين » .. ولكنه لم يفطن لشىء غير ذلك ..

فقد بدأ بعضهم يتساءلون فى همس ، تدفعهم الى ذلك قلة من السيدات البعيدات النظر ، عن بييرآنج . « هل يمكن ان يكون ذلك الغلام ؟ . » ولم يكن يهمهم أن يروا لامور سيير طائرا عجوزا مطرودا من عشه ، بل ... بل ماذا ؟ . لقد ذكرتهم النساء البعيدات النظر بالحقائق .. « انه غلام فائق الجمال » نعم .. ولكن ؟.. انه لم يكن شيئا مذكورا !.. انه لايعرف كيف يغسل أذنيه بعد ! . فهل بدأت فلورانس تحن الى الأطفال ؟ .. لو صح ذلك ، فلا بد أن تكون شديدة الحرص على كتمان أمرها ..

حسنا .. انها لم تكن شديدة الحرص الى هذا الحد .. فقد وقفت عند نهاية الرصيف تنتظر بييرآنج ، وما كادت تراه حتى قالت :

ـ حسبتك لن تأتى الى هنا قط ..

ـ لقد أتيت للتو من عند القاضى ..

ولكنه كان كاذبا .. فقد قضى نصف الساعة الاخير منتظرا فى مقهى امام محطة ليون حتى يحين موعد قيام القطار الازرق ،

www.jadidpdf.com

ويوشك على الرحيل .. كان في فزع من لحظة الوداع ! .. ففي صباح ذلك اليوم نفسه كانت فلورانس ، عند زيارتها له في الفندق فريسة نوبة شديدة من اليأس ، ـ او من الهستريا كما قال بييرآنج لنفسه ـ امتلأت بالدموع ، والصرخات ، والوعود .. واللعنات .. كانت تهتف به :

ـ لن أذهب الى مونت كارلو .. فلم اعد اطيق رؤيته . ابقني معك يا بييرآنج .. لا ترغمني على الرحيل ، فانني احبك .. انك لا تحبني اذن ! .

عندئذ ذكر ابونين ... كيف يمكن لامرأة أن تترك لنفسها العنان الى هذا الحد ؟ ..

وحتى يتحاشى انفجارا جديدا ، فقد تظاهر بالجفاء عند لقائه بفلورانس ، وقال لها « لقد أتيت للتو من عند القاضي » بلهجة من يقول « لماذا ينبغي أن أخبرك بكل ما أفعله »

ولكنها كانت تبدو هادئة ، رصينة .. وقالت :

ـ اغفر لي ماحدث هذا الصباح ...

ـ لا تكوني مضحكة يا فلورانس ، فانك عندما تركتني .. حسبت انني ...

ولكنها قاطعته قائلة :

ـ قل لي انك تحبني .. فهذا افضل .. حاول أن تقول لي ذلك .. ولو اضطررت الى الكذب !..

كانت شفتاها تنتظران قبلة ، وعيناها مغرورقتين بالدموع ، وهي تهمس له :

ـ انني اوشك على الجنون .. !

فأمسك بمرفقها ، ليقودها وسط الزحام على رصيف المحطة وهو يحدث نفسه قائلا : لو أن احدا رآها في هذه الحالة ! ..

وقال لها :

ـ امسحي وجهك يا فلورانس .. انت تعلمين انني احبك .

ـ ولكنك تحب المجد والنجاح اكثر مني .

www.jadidpdf.com

وتوقفت فجأة ، وهى تضيف :

ـ اتحب أن أبقى معك هنا ... الى الأبد ؟ ..

ولكنها رأت وجهه يمتقـــع ، فلم تترك له فرصـــة للاجابة ، وأسرعت تقول :

ـ دعنا نسرع المسير .. خذ الصحف معك ..

وعلى سلم القطار ، كانت تميل نحوه قائلة :

ـ سوف تكتب لى كل يوم .. لقد وعدتنى ...

وتبادلت القبلات مع الاصدقاء الذين كانوا يزدحمون فى ممر العربة ، بينما قدم بيرآنج الصحف الى لامور سيير قائلا :

ـ معذرة ، فقد تأخرت قليلا .. ولكن القاضى ..

ـ أى قاض ؟.. هيرتلو ؟..

ولم يكن لامورسيير على معرفة به ، ولكن فى وسعه أن يرسل له كلمة ...

ـ بالله لاتشغل بالك بهذا الأمر يا سيدى المستشار .. فهذه القضية التعسة الصغيرة لاتستحق منك هذا العناء ، وكل شىء فيها يسير على ما يرام ، لقد سمعت أن الطقس بديع فى الريفييرا وسوف تستيقظ فى الصباح على شمس ساطعة ..اننى أغبطك !..

ثم قبل يد فلورانس وهو يقول :

ـ ارجو أن تستمتعى بالشمس كثيرا يا سيدتى ! ..

وعندئذ صاح لامورسيير : أن القطار يوشك على المسير ..

وظل بيرآنج ثلاث دقائق طوال جامدا فى مكانه على الرصيف وقـــد خشى أن تصيب فلورانس نوبة أخرى من الهستريا .. ولكنه ، فى الوقت نفسه كان يحس بقلبه يوشك على الانفجار .. « اننى لن أراها ثانية أبدا » .. ولم يكن يتوقع تلك اللحظـــة مطلقا .. وأحس بفراغ فى صدره ، وألم فى احشائه .. كان يشعر كأنه مريض فعلا .. يا ألهى ! .. اننى احبها ! .. اننى احبهـــا حقـــا ...

* * *

www.jadidpdf.com

وكان أصدقاء لامور سيير يلوحون بأيديهم مودعين والقطار يتهادى فى سيره .. وود بييرآنج لو يهتف مناديا فلورانس .. ولكنه كان يقول مرددا : اننى مريض .. اننى مريض .. وقد أحس بالسعادة فيما يلقاه من ألم بسببها ..

ولبثت فلورانس طويلا ، وهى تسند جبينها الى زجاج النافذة وظهرها ناحية لامورسيير ، وتحاول السيطرة على أعصابها .. كانت تنظر ـ دون أن ترى ـ الى شوارع الضاحية ، والمطر ينهمر فوقها ، فلا يبين منها سوى اضواء المصابيح الخافتة .. حتى قال لامورسيير :

ـ تعالى واجلسى هنا ..

وراحت تتبادل الحديث مع عشيقها ، وهو يلقى النكتة بعد الاخرى عن الاصدقاء الذين خلفوهما وراءهما .

ولكنه سألها بغتة :

ـ ألا ترين بييرآنج ظريفا ؟ .

ـ ياله من سؤال مضحك ! .. ماذا تتوقع منى أن أقول ؟.. انه ظريف حقا .. ولكنى أراه ... ماذا يمكن أن أقول ؟ .. أراه أشبه بالفتيات منه بالرجال .. ألا ترى ذلك ؟ .

وراحت تفرك عينيها ، وهى تشكو من لذعات الدخان

ـ ٧ ـ

كان القاضى هيرتلو يقارب بييرآنج فى العمر ، ولكنه ـ وهو فى السابعة والعشرين أو الثامنة والعشرين ، كان تكوين جسمه يجعله يبدو أكبر منه سنا بكثير .. كان ضخم الجسم ، مكتنز اللحم ، ناحل الشعر ، مزدوج الذقن ، يبدو وجهه الأسمر كأنما يعلوه التراب ، وكان بين الحين والحين يمسح يديه من العرق فى منديل لا يلبث أن يجفف به جبينه المندى ..

ومضى بييرآنج يبرثر مع كاتب المحكمة الكهل ، قبل أن يدخل الى قاعة الجلسة ، فقال له الكاتب فيما قال :

www.jadidpdf.com

ـ اليك هذه النصيحة الصغيرة .. دعه يتولى الكلام كله بنفسه ولا تقاطعه الا قليلا ..

ولم يكن قاضى التحقيق يعلق أهمية تذكر على قضية شارع سيربور .. فالقاتلان معترفان ، وكان المحاميان الناشئان اللذان انتدبتهما المحكمة للدفاع يتوليان أول قضية لهما ، كما اغفلت الصحافة ذكر اى شيء عن القضية ، على نحو غريب .. فلم يكن على القاضى الا أن يقرر نصيب كل من شريكى الجريمة من المسئولية .. وحتى فى ذلك فانهما كانا يشربان من اناء واحد .. وكان من المحقق عمليا ، أنه سوف يحيل الاثنين الى محكمة الجنايات ..

كانت جلسة التحقيق قد أجلت حتى بداية شهر مارس ، فاستغل بيرآنج فرصة التأجيل ليزداد غوصا فى ذاكرة ابونين ، وتعمقا فى دراسة التفاصيل .. كان يذهب يوما بعد يوم الى سجن لاروكيت ، وعرفته الراهبات وكن يلقينه بالابتسام ويدعونه .. « الاستاذ » بيرآنج ..

وكان ـ يوما بعد يوم ـ يزداد تعمقا فى حفظ الخطوط الثلاثة التى رسمها للدفاع : أن يشوه سمعة المجنى عليه ويسود صفحته ، ويغرق الشريك فى التهمة الى أذنيه ، ثم يحيط ابونين بهالة من الاشراق والبريق .. كانت أما .. وأما طيبة .. وذلك من حسن حظه هو !.. ولكن هل تستطيع ـ من جانبها ـ أن تتابع هجومه ، وتساعده عليه ؟ .

وكانت وهى جالسة فى مذلة على طرف مقعدها ، وقد دفنت رأسها بين كتفيها ، تبدو أمام القاضى فى ذلك الاستسلام والخضوع الذى لاحت به أمام بيرآنج عند زيارته للسجن أول مرة ..

وبدأ القاضى يملى تقرير القوميسير كاريجال ، فى لغة مهذبة وكلمات أفضل وقعا ، وأقل سوقية ، وهو يشير الى نفس الوقائع .. ولكن ابونين لم تفهم الكثير منها .. وأخيرا سألها :

ـ هل كان هاجولان مدمنا ؟ .. وهل كان يفرط فى الاساءة اليك ؟ ..

فهزت رأسها ، ولكن بيرآنج ركز انظاره عليها ، واتى بحركة

www.jadidpdf.com

كشخص يثنى ذراعه عند المرفق ، كأنما يقول لها : لا تكونى حمقاء ! . اضربى هاجولان فى قوة .. وعندئذ تيقظت حواسها ، وأدركت ما يعنيه المحامى ، فقالت ..

ـ لقد سرق مدخراتى .. سرق النقود التى كنت أدخـــرها للبنتين ..

فسألها القاضى : كم تبلغ هذه النقود ؟ ..

ـ كنت أريد أن أشترى لهما معطفين تخرجان بهما أيام الآحـاد وقد رأيت بعض المعاطف فى محلات « السعر الموحد » .. واعتـدت أن أضع النقود فى علبة الدقيق ، ولابد أن يكون قد رآنى ذات يـوم أفتحها ، فقلب البيت راسا على عقب للبحث عنها .. وما كان ليفعل شيئا كهذا فى مستهل علاقتنا .. كان وقتئذ كالملاك الـ ..

ولكن القاضى قاطعها قائلا :

ـ كم كان مقدار هذه النقود ؟ .

ـ أربعة آلاف فرنك ، ياصاحب السعادة .. وهو مبلغ كبـير ... ولكن ما الذى يعنيه لو أصيبت البنتان بالبرد ؟ .. وقد طلبت اليه أن يغادر المنزل ، بعد أن ضقت به ذراعا ..

ثم استطردت فى صوت خفيض :

ـ لم يكن بيننا شىء منذ مدة طويلة .. منذ اكتوبر .. وعلم أننى كنت أقابل لارنييه ..

وعندئذ قال أنه سوف يمزق وجهى الى شرائح ! ..

فقال القاضى وهو يجفف جبينه : مهلا لحظة ..

وأشار الى الكاتب ، وأملى عليه :

« لم تمض مدة طويلة حتى تبينت أن هاجولان لم يكن على شىء من الخلق الذى ظننته عليـه .. فقـد غـدا فظا لايطـاق ، ومدمنا للخمـــر » ..

ـ متى أخذ الاربعة آلاف فرنك ؟.

فأجابت ابونين وهى تستجمع ذكرياتها :

ـ كنت أدخرها لمعاطف الشتاء ، ومازلت فى حاجة الى الـف وثمانمائة فرنك ، فكنت أضع ثلاثمائة فى العلبة كل أسبوعين ، واذا

www.jadidpdf.com

استطعت فأربعمائة .. فلابد أن يكون ذلك قد حدث فى الخريف .
ـ فى سبتمبر الماضى ؟ ..
وتحول نحو الكاتب

« وفى شهر سبتمبر انتهز فرصة سنحت له عند خروجى ذات يوم ، وسحب أربعة آلاف فرنك من المدخرات التى كنت قد خصصتها لأطفالى .. وعندئذ طلبت اليه أن يغادر مسكنى » ..
فقاطعته ابونين قائلة :
ـ ولكنه اعتاد أن يقول لى : بل أنت التى ستذهبين الى الجحيم
فهمس بيرآنج : صه ! ..

على حين كان القاضى يتأمل سقف الحجرة ، وقد رفع حاجبيه الى أعلى ، مستمرا فى املائه :
«طلبت اليه أن يغادر مسكنى فرفض فى عناد .. وكنا فى ذلك الوقت ننام فى حجرتين منفصلتين ، ورغم ذلك فقد مضيت على عهدى فى اعداد الطعام له .. وفى أكتوبر ، ذكرت له أننى أحب شخصا آخر ، يدعى روبير لارنييه ، وأننى كنت القاه فى الفندق الذى يقيم به .. ولم يكن فى حسابى أن هاجولان سوف يعترض على ذلك ، ولكنى كنت مخطئة تماما » .

وتنهد القاضى ، وغمغم : واحسرتاه ! ..
ولكن الكاتب نسب التنهد الى ابونين فكتب فى محضره : «ولكنى كنت مخطئة تماما ، واحسرتاه ! .. »
وقال القاضى يسأل ابونين .
ـ عندما كان هاجولان يهددك ، ماهى الصورة التى كانت تتخذها تهديداته ؟ ..

فنظرت الى بيرآنج الذى ضم أصابعه وشدد قبضته ..
ـ كان يتوعدنى بالضرب ، وتشويه وجهى ! ..
وكان القاضى هو الذى بدت عليه الحيرة هذه المرة ، فبادر بيرآنج الى القول مفسرا :
ـ انها تعنى أن هاجولان كان يريد أن يمزق وجهها الى شرائح
فأجابه القاضى فى خشونة : لقد قالت لنا ذلك من قبل ! ..

www.jadidpdf.com

ثم التفت الى ابونين ، قائلا

ـ هل كان يهددك بسكين ؟ ..

ـ نعم ياصاحب السعادة !.. لقد تناول سكينا ، ذات يوم ، وراح يفعل بها هكذا واشارت بيدها كأنها تشحذ سكينا على يدها اليسرى ..

ـ وهل كان يبدو عليه أنه يريد أن يحول كلماته الى أفعال أم كان مجرد مشهد يريد به أن يؤكد تهديداته ؟..

فتململ بيرآنج فى مقعده ، وهو يقول فى نفسه : كيف تتوقع أن تفهم ما تقوله أيها الحمار الثقيل ؟!.. بينما كانت ابونين تهز رأسها ، وقد خشيت أن تضل طريقها ، وما لبثت أن غيرت الموضوع وقالت :

ـ ورأيته ذات يوم يحاول أن يدس يده تحت ثوب فرانسيت ، وهى بعد طفلة فى الثالثة عشرة ..

وراحت تعصر الدموع من عينيها ، بينما كان بيرآنج يقول لنفسه : عظيم ! .. عظيم ! ..

وغمغم القاضى قائلا :

ـ مهلا حتى نرتب ماتقولينه ..

وانحنى فوق المنصة يقرأ ما اثبته الكاتب من أقوال ابونين حتى الآن ، قبل ان يضيف :

« وفاجأته ذات يوم ، وهو يدس كلتا يديه تحت ثياب ابنتى الكبرى التى كانت فى ذلك الوقت فى الثالثة عشرة .. وازدادت مشاجراتنا وتعددت ، وأخذ يحذرنى وصديقى من انه لايريد أن يرانا فى تلك الانحاء قط ، وكان يتلهى بأن يشحذ السكين فى حضورى ، ثم يلوح بها فى وجهى مهددا .

وعلى الرغم من توسلاتى ، فقد رفض أن يبارح مسكنى .. »

وعاد يخاطب المتهمة ، ويقول :

ـ فلنر الآن .. لقد كان يعيش فى مسكنك ، وكنت تعدين له الطعام .. هل كان يدفع لك شيئا ؟ ..

ـ كان ينقدنى ألفى فرنك كل أسبوع ، ولكنه كثيرا ما كان

www.jadidpdf.com

يتغافل عن الدفع .. كان ينفق النقود على الخمر ، ولكنى رغم ذلك، كنت مضطرة الى اطعامه عند عودته الى المنـــزل ليلا ، والا انقلب المنزل الى ..

فرفع القاضى يده ليضع حدا لهذا الفيضان من الكلمات ، ثم أكمل العبارة التى بدأ املاءها :

« وعلى الرغم من توسلاتى فقد رفض ان يبارح مســـكنى .. وكنت اطعمه وأزوده بكل ما يحتاج اليه » ..

ثم أومأ برأسه الى بييرآنج ، كأنه يقول له : هل يرضيك هذا ؟.

وكان بييرآنج راضيا .. فلم يقلب القاضى خططه ، وفوق ذلك كله لم يكن يضايق ابونين أو يحـــرجها .. لقد نجحت أولى خطط الهجوم نجاحا باهرا .. يالهاجولان من مسكين .. سكير .. وحش .. لص ! . من ذا الذى يرضى بأن يحمى ذكرى رجل كهذا ؟ .

ومع ذلك فان القاضى لم يذكره بكلمة سوء ، ولم يصب اللعنات عليه .. وانما كان يثبت الوقائع التى يسمعها .. كان خليقا بـــأن يثبت أيضا ان هاجولان قطع شرائح من أفخاذ البنتين ليأكلها فى نفس هذا الهدوء وعدم الاكتراث ..

كانت نصيحة طيبة ، تلك التى تلقاها من كاتب المحكمة .. أن يدعه يتولى الكلام كله .. فقد كان القاضى من ذلك النـــوع الذى يحب أن يسمع صوته وحده .. وكان بييرآنج يتتبع أقواله فى تأمل الحصيف العالم ببواطن الأمور .. أتراه احترف القضاء عن رغبة فى القضاء أم طلبا للعيش ؟.. وانتهى بييرآنج الى أنه احترفه طلبا للعيش ، « فهى خير مهنة يصلح لها ! .. » كان يشفق عليه، ويقول لنفسه فى سخرية « أقسم أنه يحســـدنى ، وســـوف أدعوه يوما ليقاسمنى الخبز الجاف والبيض المسلوق » .. كان يعلـم أنه اذا اشتهى أن يتعشى عند مكسيم مثل لامورسيير ، فان قضاء ســـهرة فى المدينة ، بالنسبة للقاضى ، لاتعنى أكثر من طبق من الســـجق وأوراق الكرنب المسلوق فى مطعم صغير على الضفة اليسرى للنهر !

ثم ما الذى تعنيه أبونين بالنسبة للقاضى ؟ .. انها لاتعنى شيئا يذكر ..مجرد قضية تافهة ..ولن يعنى أحد بفحص الملف وتحليله

www.jadidpdf.com

ليتبين ان كان التحقيق قد ادير بمهارة أم لا .. وسواء حكم عليها أم برئت ، فكل ما يعنيه هو ألا ينفق وقتا طويلا فى نظر القضية..

« ماذا كان رأى روبير لارنييه فى تهديدات هاجولان ؟ .. »

نعم .. فهذا هو الخط الثانى من خطوط الدفاع ، أو الهجوم .. روبير لارنييه ! كان عليهما .. أولا .. أن يثبتا اشتراكه فى المؤامرة مع ابونين ، ومساعدته لها على تدبير الجريمة واعداد خطتها ؛ ومشاطرتها سبق الاصرار على ارتكابها .. وأنه هو الذى استحث ابونين على استخدام القضيب الحديدى والاقدام على أول لطمة وكان عليهما ثانيا .. أن يثبتا أنه هو الذى جذب الشملة حول عنق القتيل حتى مات خنقا .. وثالثا .. انه هو الذى خامرته فكرة تقطيع الجثة وعهد الى ابونيين بتنفيذها ..

وكان بييرآنج خلال زياراته لابونين فى السجن ، قد راح ينفث ذلك كله فى ذهن ابونين ، قطرة بعد قطرة ... كان يتحدث الى ابونين على هذا النحو :

ـ اسمعى يا ابونين ، لقد قلت للقوميسير أن لارنييه قال لك « تأكدى أولا ان هذا القضيب الحديدى ثقيل بما فيه الكفاية » فما الذى كان يعنيه ؟.. ألم يكن يعنى « كونى ثابتة ، واقتليه من أول لطمة !.. » الواقع انه كان يقصد ذلك حقا ، عندما قال لك « حذار أن ينالك قبل أن تقضى عليه »

والحق أن ابونين لم تكن فى حاجة لأن تشحذ ذاكرتها بهذه الطريقة .. ولكن كلماته حلت محل ذكرياتها ، وكان بييرانج وهو يصغى الى اجاباتها عن اسئلة القاضى يعجب فى نفسه قائلا :

ـ ترى هل تدرك انها كاذبة ؟..

* * *

اندفع بييرآنج ، بعد أن انتهت شهادة ابونين ، يهبط الدرج الى أقرب مشرب من دار العدالة ، وقد جف حلقه ولسانه ، وكاد يهلك من الظمأ !.. وأسرع يطلب قدحا من الجعة ..

كان المشرب مقفرا من الرواد .. وكان كثيرا ما ذهب اليه ليرقب ملوك قاعة الجلسة وهم يغدقون على ندمائهم الظامئين كئوس

www.jadidpdf.com

الشراب ، أثر انتصار عظيم حققوه فى المحكمة .. أتراه يفعل ذلك يوما ؟.. محال أن يتحقق له هذا الحلم .. فلم يكن أكثر قنوطا مما هو عليه الآن ..

ومع ذلك فقد مضى كل شىء على أفضل وجه .. فيما عدا النهاية !.. نهاية شهادتها ..

وجرع بييرآنج قدحه دفعة واحدة ، ثم طلب كأسا من الكونياك وهو يقول للساقى :

ـ هات كأسى الاخيرة عند أعتاب المقصلة !..

كان الكاتب قد أعطاه نسخة من محضر الجلسة ، ففضها أمامه ومضى يقرأها وهو يضع خطوطا تحت العبارات الهامة فيها :

« كان ذلك فى اليوم العاشر من فبراير ، عندما بدأت تراودنا ، لارنييه وأنا ، فكرة التخلص من هاجولان ـ كان لارنييه ، منذ أن سمع تهديد هاجولان ، خائفا من أن يقدم على تنفيذ وعيده .. وحاولت أن أكسب بعض الوقت ، فبذلت جهدا أخيرا مع هاجولان ، ولكنه عاملنى فى وحشية ، ولوى ذراعى ، وعاود تهديده لى بالقتل .

وفى الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالى التقيت بلارنييه فى أحد المقاهى .. وكنا مقتنعين بضرورة القضاء على هاجولان اذا أردنا الا نقتل نحن .. وأخبرت لارنييه بأننى لا أملك مسدسا ، وكنا فى الوقت نفسه لا نميل الى استخدام سلاح يجذب انتباه الجيران .

وكان لارنييه هو الذى اقترح أن نقتل هاجولان بهراوة .. فأخبرته بأن هناك قضيبا من الحديد فى المنزل . فسألنى لارنييه ان كان من الثقل بحيث يفى بالغرض ، ونصحنى بأن أضربه على مؤخر رأسه أو فوق الصدغين .. وعندئذ صممنا على تنفيذ مشروعنا فى الحال .

وعاد هاجولان حوالى الساعة الحادية عشرة ، ثم ذهب الى فراشه بعد أن أنفق بعض الوقت فى اعداد طعامه وشرابه .. وعندئذ قال لى لارنييه :

«اذهبى الآن قدما ، وحذار أن تخطئيه. »ولكن صرير الباب أيقظ هاجولان ، فأضأت النور فى المطبخ وضربت هاجولان على رأسه

www.jadidpdf.com

بالقضيب الحديدى ، ولكنه قفز من الفراش ، واندفع نحـوى ..
وعندئذ صحت أنادى لارنييه فخف الى نجدتى ..
وجذب لارنييه الشملة الملقاة على الفراش ، ثم لفها حول عنق هاجولان وخنقه ...

وفى اليوم التالى قال لى لارنييه ان الأسهل أن نتخلص من الجثة قطعة فقطعة .. وهكذا انتهينا الى فكرة تمزيقها ..
وقال لى لارنييه ان مهمتى تنفيذ هـذه العملية .. ونبعت نصيحته فاشتريت منشارا فى صباح الثلاثاء »

* * *

ـ هات كأسا أخرى من الكونياك ...
ان القصة كلها ، الى هذا الحد من أقوال أبونين ، كانت متماسكة محكمة الأطراف .. وقال بيير آنج لنفسه : «ولكن ، يا لها من مهنة!» ان اعترافات أبونين ، بعد أن أملاها القاضى ، ودونها كاتب المحكمة ، أصبحت تناقض أقوالهـا لرجال الشرطة ، أو تزيدها غموضـا على الاقل ..
ترى هل قام كرستنر بمناورة بارعة كما فعل هو ؟.. لقد فكر فى ذلك عنـدما مر بزميله وهو يصحب لارنييـه الى مكتب قاضى التحقيق ، وعند ما قال له كرستنر باسما :
ـ دعنا نتناول معا كأسا من الشراب ، فيما بعد

وبأى شىء يخاطر كرستنر ؟.. ان الدفاع عن لارنييه سـهل ميسور .. ثم أن كرستنر ، خلافا لبييرآنج ، ليس فى حاجة الى أن يبدأ مستقبله بفوز يدوى ذكره فى الاسماع .. فان له مكتبا خاصا ، وسكرتيرة ، وخادما يفتح الباب للطارقين .. وهو فوق ذلك لا يخشى القاضى ولا يخافه ، شأن بيير آنج ...

ـ سوف يضحك منى عندما يقرأ شهادة أبونين ...
وعندئذ طلب كأسا ثالثة ، رشفها فى بطء بينما كان يتم تلاوة المحضر
« ما كادت الطفلتان تذهبان الى المدرسة ، حتى بدأت العمل .. وكنت قد شربت نصف لتر من النبيذ الاحمر ، كما نصحنى لارنييه

www.jadidpdf.com

ليهبنى القوة والعزم .. وانتهيت من مهمتى فى الوقت الذى عادت فيه البنتان من المدرسة »

« حتى بدأت العمل » « وانتهيت من مهمتى فى الوقت ... »

ثار بيير آنج وهو يقرأ هذه العبارات ، ويفرغ كأسه الثالثة الى آخرها ... « حتى بدأت العمل » ... آه !.. كان عمله هو يوشك أن يتحطم ويتناثر .. كان يضيع وقته سدى ... يالك من مسكينة يا أبونين !.. ومع ذلك فقد قالت كل شىء ، دون أن تغفل صغيرة ولا كبيرة .. تذكرت من التفاصيل ما كان بيير آنج يجهله .. انها تثير اشمئزازه .. وفى وسعه أن يتخيلها واقفة هناك ، والمنشار فى يدها .. ياله من منظر مروع !.. انه هو نفسه لم يكن مرتاعا .. ولكن ماذا يكون من أمر المحلفين ؟..

وأثارته الخمر ، وأثرت فيه ، فلم يكن يشربها الا نادرا وقليلا .. ووجد نفسه يبغض قاضى التحقيق .. انه أحمق جاهل .. ليس الا جهاز تسجيل !.. فلم يحاول أن يفهم المأساة ، أو يستخلص الحقيقة التعسة فيها .. كان يركز جهوده فى اعادة كتابة تقرير القوميسير كاريجال بأسلوب أكثر صحة وأبلغ عبارة .. وكان بالغ الغبطة والسعادة عند ما يستطيع أن يضيف اليه وقائع جديدة ــ النقود المسروقة ، والسكين المشحذة ــ وهى وقائع يعرف بيير آنج حق المعرفة مصدرها !..

لماذا عهدوا اليه بالدفاع عن ابونين ؟.. ليتهم اعطوه لارنييه !.. انه ليتخيل الآن جميع الادلة البسيطة الواضحة التى يمكن للارنييه أن يقنع بها القاضى ، بمعونة كرستنر :

ــ ولكنى كنت نائما ــ يا صاحب السعادة ــ عندما نادتنى .. كانت قد ضربت العجوز .. انها هى التى ضربته ، ولست أنا ... تقولون اننى اعترفت للشرطة بأننى أرسلتها الى حجرة هاجولان وحذرتها من التراخى فى أداء المهمة ؟.. حسنا ، لقد قلت ذلك حتى لا أناقض أبونين !.. وكيف كان بوسعى أن أشد الشملة بقوة حول عنق هاجولان ، فى حين أننى كنت أمسك بذراعيه لأشل حراكه ؟ .. هل ذكرت العكس لرجال الشرطة ؟.. كنت خائفا منهم ، وخشيت أن يضربونى ... لماذا ذهبت الى مسكن ابونين فى تلك الليلة ، بينما

www.jadidpdf.com

اعتدنا على اللقاء فى ... ؟ لأن اخى جاء يقيم معى فى حجرتى ، ولم أشأ أن استأجر حجرة أخرى ... ربما كنت شحيحا ، ولكنى لست قاتلا ...

ثم يتطرق بعد ذلك الى الدليل القوى الحاسم الذى ينبىء عن صدق طوية ذلك الابله :

ـ وهل تظن يا صاحب السعادة اننى لو كنت مسئولا عن موت هاجولان،أن تبلغ بى الضعة الى حد أن أترك أبونين تتصرف فى الجثة بمفردها ؟.. يمكنك أن تحكم بنفسك يا صاحب السعادة !.. اذا كانت ابونين قد قطعت الجثة بنفسها ، وبمفردها ، فذلك لأنها ـ ولا شك ـ كانت تشعر بمسئوليتها عنها .. ولم يكن الوقت قد اتسع لها لاختلاق هذه الاكاذيب ...

* * *

ودعا بيير آنج الساقى ، وطلب منه كأسا أخرى!..

كانت رأسه كالأتون المتقد .. ترى ماذا تفعل فلورانس الآن ؟ لقد اشتاق اليها وأحس بالفراغ الذى خلفته وراءها ... كان كثيرا ما يتطلع الى صورتها ، ويتمنى أن يريها للناس قائلا : هذه هى المرأة التى تحبنى !..

وفى تلك اللحظة كان اليكس ماجر ، وهو مخبر صحيفة بارىء ماتان لدى المحاكم ، يضع يدا على كتف بيير آنج،ويشير بالاخرى الى كأس الكونياك وكومة الأطباق المتخلفة من الكئوس السابقة ، وهو يقول :

ـ ما الذى تحاول أن تعالجه ؟.. هل أصبت ببرد ؟..

فتنهد بيير آنج ، وقال :

ـ خذ كأسا معى ، فانى أحس بكآبة شديدة ! ..

فقال اليكس ، وهو يجلس بجانبه ..

ـ على شرط أن نسرع به ... فما زال امامى عمل اليوم كله ويجب أن أفرغ منه

فقال بيير آنج لنفسه .. « لقد وجد هؤلاء الحمقى جميعا

www.jadidpdf.com

محرابهم الذى يحجون اليه ، وجحورهم التى تأويهم ، والعمل الذى يؤدونه وينقدون أجره » ..

ثم قال لاليكس ماجر :

ـ هل سمعت بأننى سأشترك فى قضية الموسم ؟..

وانطلق يضحك .. ولكن ضحكاته كانت زائفة مصطنعة .. ثم أردف :

ـ لا .. انك لم تسمع بهذا .. ولم يسمع به أحد ...

ـ خبرنى ماذا دهاك ؟..

ـ انى أشعر بالكآبة والاسى .. وهذا كل شىء ..

ـ امرأة ؟..

ـ بل اثنتان ... ولكن احداهما فى اجازة ، والاخرى فى السجن !..

وراح بيير آنج يقص على الصحفى قصة ابونين .. فعلق عليها اليكس ماجر قائلا :

ـ انها قصة ممتعة .. ألم تلتقطها الصحف بعد ؟..

ـ بعض سطور قليلة هنا وهناك .. بل ان صحيفتك ذكرت اسمى محرفا .. دعتنى لامباستر .. والعجيب أن أحدا لم يخطىء فى اسم كرستنر ! .

ـ لقد تأخر الوقت الآن ، ولكنى سوف أعرض هذه القضية فى الاجتماع التالى للمحررين ، فربما استطعنا أن نفعل منها شيئا .. حسنا .. الى اللقاء أيها الصديق ، فينبغى أن اذهب الآن ...

فلوح بيير آنج بيده خلفه وهو يتمتم :

ـ أسرع .. أسرع أيها الصديق ، ما دمت تعرف لك هدفا تسعى اليه ...

* * *

وظهر المقال بعد عشرة ايام فى الصفحة الاولى من صحيفة باريس ماتان ، بعنوان كبير على ثلاثة أعمدة ... وما لبثت «جريمة القتل فى شارع سيربور » ان أصبحت أولى حلقات حملة شديدة شنها الكاتب الكبير جول ميرزو عن النتائج الاجتماعية لأزمة المساكن ! ..

www.jadidpdf.com

واحضر صاحب فندق لوريه نسخة من الصحيفة الى بيير آنج الذى قال له فى فتور :

ـ نعم .. لقد علمت به

ـ وهل رأيت صورتك يا مسيو بيير آنج ؟..

كانت الصورة فى مساحة طابع البريد ، وقد نشرت بجوار صورة ابو نين وتحتهما عبارة « القاتلة ومحاميها .. »

فقطب بيير آنج حاجبيه ، وقال متعجبا :

ـ ولكن كيف حصلوا عليها ؟..

كان هو الذى أعطاها لاليكس ماجر ... واليكس رجل عظيم « لن أنسى له هذا الصنيع ما حييت » ... وكان اليكس قد دعاه الى الغذاء مع جول ميرزو ، ولم يكن بيير آنج يحلم بأن هذا الغذاء ستكون له مثل هذه النتائج الباهرة ... فان ثلاثة أعمدة على الصفحةالاولى لم تكن شيئا بسيطا ...

وراح يقرأ المقال ويعيد قراءته المرة بعد الاخرى .. كان جول ميرزو قد أعاد تنسيق القضية بحيث تلائم نظريته فأبرز ابونين كضحية تستحق الرثاء والشفقة من ضحايا الاحياء الفقيرة المهملة .. وهاجولان ولارنييه يستحقان الرثاء والشفقة أيضا ، ولكن بنسبة أقل !.. كانت ابونين هى النجمة اللامعة .. وعندئذ قال بيير آنج لنفسه فى عزم .. « سوف أخرجها من هذه الورطة !.. »

بل لقد سار كل شىء وفق هواه .. فقد تأثرت أمه من خطابه المسهب وأرسلت له نقودا .. بل لقد تأثرت مما نشرته الصحف من شذرات قليلة ، حرفت فيها اسمه .. فالنـاس فى الريف يتلقفون الصحف ..

وقال بيير آنج لنفسه : « سوف يقيمون لى تمثالا عندما يقرءون مقال « بارى ماتان » ...

كان يبتسم فى سعادة .. وذكر فلورانس ، فلا شك انها ستقرأ صحف باريس وهو فى مونت كارلو ، اذ كان لامور سيـير لا يطيق الحرمان من أنباء العاصمة .. وعندئذ هجس فى نفسه شبح سوء ، ألقى على سعادته ظلا قاتما ... ولم يدم ذلك الا قليلا ، فقد قضى

www.jadidpdf.com

يوما بهيجا ... كان الناس يذكرون مقال ميرزو مئات المرات ... وكان يرشف الكأس الاولى من الشهرة والمجد ، فى تواضع ورصانة .

وفى اليوم التالى ، تلقى مكالمة تليفونية من لامور سيير ! .

— ٨ —

لم يجد الاستاذ لامورسيير الحياة فى مونت كارلو مملة بالقدر الذى كان يخشاه .. وكان يقضى يومه وعلى رأسه قبعة بحرية بيضاء .

أما فلورانس فكانت دائمة العبوس والتجهم تكثر من التذمر اذا سطعت الشمس ، وتزداد تذمرا اذا اختفت خلف السحب ! . وكانت تبدى ضيقها بكل شىء هناك ، الفنادق الباذخة ، واشجار النخيل ، وسيارات الرولزرويس وقاعات المقامرة .. وتقول :

— انها جميعا مظاهر زائفة مصطنعة ، أشبه بالصور الملونة ! ..

وكان لامورسيير — منذ مرضه — لا يطارح فلورانس الغرام ، فكان ينسب ضيقها وتبرمها الى تغاضيه عنها ، وينتظر فى لهفة ذلك اليوم الذى يعود فيه الى صحته الكاملة ..

وقال لها مرة وهى تسير الى جواره تحت أشعة الشمس :

— اذكرى ياعزيزتى انك لست ممرضة حتى تضطرين الى ملازمتى .. وأرجو فى الحاح ، أن تذهبى الى نزهة حقيقية بمفردك ..

ولكنها كانت أشد ضيقا وملالا حتى وهى منفردة بنفسها ، فلم يكن هناك من تعذبه ، أو تتعذب من أجله ! .. أخذت دروسا فى التنس ، ولكنها كانت محنة ! .. فالمدرب كان ميالا الى المغازلة ، والمدلك الذى كانت تترك له نفسها بعد درس التنس ، وهو ملاح سابق ، كانت يداه تذكرانها بيدى بيير آنج ..

واشار عليها لامورسيير ان تتسلى بالمقامرة ، فكانت تقامر بمبالغ طفيفة ، اذ كانت تكره أن تخسر شيئا ، ولكنها كانت تقامر فى ضراوة اية عجوز انجليزية شحيحة ! . كانت ترجو أن تصادفها فلتة من فلتات الحظ تجعل منها امرأة واسعة الثراء ، ومن ثمة حرة مستقلة ! .. نعم .. الحرية ! .. والاستقلال ! .. والاستغناء

www.jadidpdf.com

عن لامورسيير ! .. وكانت اذا ركزت عينيها على الكرة وهى تدور سريعا ، نسيت بيرآنج ، وبذلك كان خيالها المضطرب يجد فترات يهجع فيها ..»

ووجدت فى المقامرة ميزة أخرى .. فهى تجد لامورسيير نائما عندما تعود من الكازينو . وفضلا عن ذلك فانها تتركه وهو مازال نائماعندما تخرج مبكرة فى الصباح لتذهب لاحضار البريد ..وكانت فى بعض الأيام تجد فى انتظارها ثلاث خطابات مرة واحدة .. فقد كان من عادة بيرآنج أن يكتب لها فى الصباح ليقول « لقداستيقظت للتو من نومى لأجد حجرتى مقفرة منك بعد أن انقطعت عن زيارتى» ثم يكتب لها فى المساء ليقول « اننى أفكر فيك دواما ، واكاد أراك تتناولين العشاء مع يونانى ثرى من أصحاب السفن ، مرتدية ذلك الثوب الأبيض الذى يكشف عن كتفيك العاريتين .. واكاد أرى اليونانى الوغد وهو يتمنى أن يغطيهما بالماس واللآلىء .. أو بالقبلات » . أما اذا كتب اليها خطابا ثالثا فانه يكرسه كله للحديث عن ابونين ويقول :

« لا أستطيع أن أصف لك يا فلورانس مبلغ أهمية هذه القضية بالنسبة لى ، وأعتقد عن يقين أن مستقبلى كله يتوقف عليها » .

وكانت عندما تكتب له ، تتوخى الايجاز والحرص ، خشية أن تتورط فى اعترافات غرامية بخط يدها ، ولأنها كلما أرادت أن تصف أحاسيسها وجدت نفسها فى دوامة من المشاعر المتباينة المعقدة .. كان لامور سيير يزعجها ويثير أعصابها بما غدا يبديه نحوها فى الآونة الاخيرة من حنان وتقدير .. ! ..

ولكنها كانت تراجع نفسها وتقول « ما الذى آخذه عليه ؟ ..» وكان السؤال بغير شك ، يخفى وراءه سؤالا آخر « ما الذى أنتظره من بيير آنج ؟ » ولم تكن فلورانس تستطيع أن تسبر مشاعرها بهذه الدقة والعمق ، ولكنها كانت من قوة البصيرة بحيث تستطيع أن تميز ، فى عاطفتها نحو بيرآنج ، بين دور الحواس ودور القلب .. لذلك كانت ترى فى أحدهما كل شىء ، ولا تكاد ترى لدى الآخر شيئا .. « فهى أصغر مما ينبغى بالنسبة لاحدهما ، وأكبر مما ينبغى بالنسبة للآخر » ولكنها لم تكن تقول ذلك لنفسها صراحة ، بل كانت تحسه بالهامها وبصيرتها .. كانت توازن بين رجليها ، وكلاهما

www.jadidpdf.com

ضرورة ملحة بالنسبة لها ! .. ولكنها الآن تفتقد الشاب وتضيق ذرعا بالكهل ! . كانت قلقة حيرى ، تسائل نفسها كل ليلة وهى تهم بابتلاع حبوبها المنومة : « ترى ما الذى سينتهى اليه أمرى ؟ . لن يتبقى منى شىء بعد ذلك كله ! .. »

وكانت كلما قدمها أحد الى احدى كواكب السينما ، تجدها أقل جمالا وفتنة مما تبدو على الشاشة ، فتسائل نفسها فى أسف عما جعلها لا تستمر فى المتمثيل ؟ . لقد حطم لامور سيير بأنانيته واحتكاره ، مستقبلها ! . هكذا ..

« اننى لست مدينة له بشىء ، ولكنه مدين لى بكل شىء ! . . ان عليه أن يوفر لى كل وسائل الراحة والرفاهية ! .. انه لايستطيع ان يلومنى اذا اتخذت لنفسى عشيقا ! .. » وكانت تود لواستطاعت أن تتحقق من وفاء الرجلين لها واخلاصهما ! .. وكان هذا الحلم يزداد حدة كلما أسرفت فى تناول الشمبانيا ، وهو ما كان يحدث كثيرا .. كانت تشعل سيجارة بعد الأخرى ، وترقص بلا انقطاع .. فالموسم حافل بالرواد ، والمعجبون يحيطون بها من كل جانب !.

ورغم أنها لم تفكر البتة فى استبدال بيرآنج ــ فهو وحده الذى يستطيع أن يسعدها ــ فأنها لم تتمنع عن بعض الغزوات اليسيرة القليلة ، لا لشىء الا لكى تبرر لنفسها سطوتها على لامورسيير ، وضعفها أمام بيرآنج !..

* * *

وصلت صحف باريس قبيل الظهر ..

وكانت فلورانس تجلس تحت مظلتها على الشاطىء ، عندما لحق بها لامورسيير .. فأحست كأن شيئا قد تغير فيه ، لم تدرك كنهه فى بادىء الأمر .. آه ! .. لقد صبغ شاربه من جديد ! ... ولكن ذلك لم يجعله يبدو أكثر شبابا مما كان .. الا أنه رغم كل شىء ، كان يشعر بأنه أحسن حالا ، بعد أن استخدم هذا العلاج الرمزى لاعادة الشباب ! .. وان صفحة مرضه وضعفه قد طويت ! ..

وسألته فلورانس ، وهى تطلعه على صحيفة بارى ماتان :

ــ هل رأيت هذا ؟ .. صغيرنا بيرآنج ..؟

www.jadidpdf.com

ولم تكن فلورانس تذكر بيير آنج على لسانها قط ، بأكثر مما كانت تذكر لامورسيير فى خطاباتها .. واستطردت قائلة :

ـ انظر الى صورته بجانب صورة القاتلة ، ويالها من امـــرأة فظيعة ! .. لاشك أن ذلك لا يعد مفخرة لبيير آنج !..

وقرأ لامورسيير مقال جول ميرزو كلمة كلمة ، ولكنه لم يعلق بشيء .. وظل كذلك الى أن حل المساء ، وعندئذ سأل فلورانس أن كانت تعرف رقم تليفون بيير آنج ..

ـ هل تريد أن تتصل به ؟.. اننى لا أعرف ان كان لديه تليفون .. ولكن يبدو لى ـ فيما أذكر انه يقيم فى مكان ما خلف البانثيون .. فى فندق صغير يدعى .. دعنى أفكر قليلا .. فندق دى موريه .. لا .. ليس ذلك اسمه .. آه !.. لوريه .. فندق لوريه !..

فغمغم لامورسيير قائلا :

ـ انها قضية ممتعة ، قضية القتل فى شارع سيربور هـــذه!.. لقد أصبحت مأساة اجتماعية ! .. هل قرأت مقال بارى ماتان ؟

ـ وهل ينبغى أن أقراه ؟ انه يبدو طويلاً ..

وكان لامورسيير يتلقى مكالمات عديدة من مكتبه بباريس كـــل يوم ، ليظل على صلة بعمل موظفيه ، وليلقى اليهم بتعليماته .. فكان يصغى الى مساعديه فى غير انتباه ولا يبالى بمصير القضايا المعلقة .. ولكن جريمة شارع سيربور هذه ؟.. لقد اثار مقال جـــول ميرزو مشاعره وحواسه .. وهو لم يعالج قط من قبل أية قضية من قضايا الطبقة الكادحة .. ثم أن بعض اشارات فلورانس الى أصحاب الملايين فى مونت كارلو كانت تزعجه .. وكأنما أيقظت حالتـــه من المرض والضعف ميلا فى نفسه الى اختبار ضميره ! ..

« ما الذى فعلته فى حياتى لخير المجتمع ؟ .. »

وقال لفلورانس :

ـ يالها من فرصة عظيمة لاظهار مساوىء الفقر واتهامه فى هذه القضية !..

نعم .. انها فرصة عظيمة لكى يجدد نفسه ، وليحدث تغيـــيرا مدويا فى النظريات القديمة .. وذكر خيبته فى انتخاب الاكاديميـــة فتبين كم يكون انتقامه لو استطاع أن يصبح موضع حـــديث رجل الشـــارع ! ..

www.jadidpdf.com

لقد كان بيرآنج أصغر سنا ، وأقل خبرة من أن يفهم عناصر العظمة ، والمأساة ، بل عناصر المأساة العظيمة ، فى هذه القضية !..

ـ هل يضايقك أن نعود الى باريس يا فلورانس ؟ .

فعبست مستنكرة .. ينبغى أن يتعقل الأمور ، وأن يكون حكيما .. هل استشار طبيبه ؟ ..

ولكنها ـ فى قرارة قلبها ـ كانت قد فرغت من اعداد الحقائب ! ..

وأردف لامورسيير قائلا :

ـ سوف يدهش بيرآنج الصغير .. انه فتى طيب القلب ، وانى احبه ، ولا ريب انه يحبنى كذلك ! .. انه سيطير فرحا ، فسوف أساعده ! ..

وفى الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه كان يقول لبيرآنج فى التليفون :

ـ اننى سعيد لسماع صوتك .. لقد كنا نتحدث عنك ، فلورانس وأنا ، عرضا .. كما تفعل الصحف الآن .. فيما أرى .

ولم يستطع بيرآنج الاجابة .. كان يحترق لهفة وقلقا منذ أن ابلغه عامل « الترنك » أن مونت كارلو تطلبه ، وأدرك على الفور ما يسعى اليه لامورسيير ! .. لقد كان على حق فى هواجسه ، وها هى أسوأ مخاوفه قد تحققت ! .. وكانت الاجابة التى أعدها ، وأعاد ترديدها مرارا ، الاجابة المهذبة الملتوية ، ملتصقة فى حلقه

واستطرد لامورسيير قائلا :

ـ لابد أنك مسرور لذلك .. فأنت تستحق كل خير .. ولكن الا ترهبك هذه القضية قليلا ؟ .. انها ليست قضية يسهل الدفاع عنها .. أليس كذلك ؟.. وهلا تشعر بالحيرة قليلا ، وأنت تقف فيها بمفردك ؟ .. ان ذلك الفتى كيرستنر ، الذى يقف خصما لك ، شاب لامع ، وله صلات عظيمة .. ولن يدهشنى انه ، ولو لمجرد التأييد الأدبى ، سوف يلجأ الى .. هل تسمعنى يابيرآنج ؟ ..

ـ نعم ياسيدى المستشار .. اننى أسمعك جيدا ..

كان بيرآنج يرتجف من رأسه الى قدمه ..

ـ عظيم !.. لقد كنت أتساءل عما اذا كان كيرستنر الشاب ، بعد هذا المقال فى بارى ماتان ، سوف يسعى للحصول على تأييد

www.jadidpdf.com

شخص من ذوى النفوذ .. حسنا .. لقد تساءلت كذلك عما اذا كنت نفسك فى حاجة الى .. فأنت تعلم مقدار حبى لك يابييرآنج.. كما أننى بدورى أعرف مقدار خجلك وتواضعك .. لذلك فقد ترددت قليلا .. لقد كنت دائما أريد أن أساعدك ، وأن آخذ بيدك .. وأنت تعرف ذلك تمـــاما .. لذلك ظننت انك ربما كنت تريد الاتصال بى ..

كان يتخبط فى كلامه .. وكان صمت بييرآنج عذابا لا يحتمل للتنين العجوز .. انه لم يلق فى حياته اساءة بالغة كهذه ! . فها هو ذا الآن يستجدى غلاما أبله ، كان الأولى به أن يقبل عرضه قبل أن ينطق به من زمن طويل ، شاكرا له عطفـــه وقد غص حلقه بالدموع ! .

وأخيرا قال بييرآنج ..

ـ لقد فهمت ياسيدى المستشار .. وانى فى غاية التـــأثر حقا! .. ولست أدرى ما الذى يدبره كيرستنر ، أما فيما يختص بى ..

ـ هل تريد أن تمضى فى القضية بمفردك ؟ .. أتعتقد فى نفسك القدرة على ذلك ؟ . حسنا .. مرحى ! . انك على حق طبعا ! .. ولو أننى كنت فى مكانك فلربما ..

« ذلك الابله الجاحد ! .. انه يخذلنى ! .. »

ومضى المحامى العجوز ، يقول :

ـ بالطبع ، ياصديقى الصغير ... يجب أن تجرب حظك ! ..

ثم وضع المسماع فى مكانه ، دون كلمـــة وداع .. فلما عادت فلورانس الى منزلهما تلك الليلة ، كان لامور سيير لا يزال مستيقظا .. كان يجتر هزيمته ، ويدبر وسيلة انتقامه .. وما كاد يراها حتى اندفع يهدر كالبعير الحاقد :

ـ ذلك الأبله القذر ! . بعد كل ما فعلته من أجله ! .. لقد كان يوشك على الموت جوعا عندما احضرته الى المنزل للمرة الأولى . .. ألا تذكرين ذلك يا فلورانس ؟ . هذا الأحمق الغبى ! . هذا الجحش المختال ! . لقد كانت لديه أعظم فرصة للكسب ! ..

وأرادت فلورانس أن تهدىء روعه ، وأن تحد من مرارته .. فقالت :

ـ هل أنت واثق من أنه فهم غرضك ؟.. ما الذى قلته له تماما؟

www.jadidpdf.com

الا تمنحه وقتا للتفكير ، وادراك حقيقة مركزه ؟ .. أم تريد ان اكلمه بنفسي ؟..

وهي الآن ، وقد نشب الخلاف بين عاشقيها ، تجد نفسها تنحاز الى العجوز ، وتقف ضد الشاب .. ففي اللحظة التي اقترح فيها لامورسيير التعاون مع بييرآنج ، كانت ترى صورتها وقد رأست « فريقها » من المحامين ، ومضت تحل مشاكلها ومتاعبها .. اما الآن ! ..

ـ انه لن يضع قدما في بيتنا بعد الآن .. ذلك الجاحد الذي يعض اليد التي أطعمته .. ولكنه لم يسمع بقية الحديث بعد !!..

كان لامورسيير لايزال يهدر بهذه الأقوال وغيرها ، وقد استبد به الغضب .. وكأنما أثار الانفعال حميته ، ودفع الدم حارا في عروقه .. فبدأ المحامي العجوز وكأنما ارتد عشرين عاما الى الوراء، وادركت فلورانس من النظرة التي حدجها بها أنه نسي مرضه ، ولم تجد متسعا من الوقت لكي تنتحل عذرا ..

ـ ٩ ـ

لعل الفراق بين المحبين اشبه بمرور الأعوام في حياة الجنود المحترفين تجلب الترقي الى رتب أعلى ..

فقد هبطت فلورانس من القطار الازرق في التاسعة ، وكانت في فندق لوريه قبيل الظهر .. كانت قد كتبت اليه تخبره بعودتها، وتقول :

« لست ادري متى يمكنني التخلص منه والحضور اليك »..

ولكن من ، أو ماذا ، يمكن أن يحجزها طويلا ؟ .. لقد غمغمت بكلمتين عن ذهابها الى الحلاق ، وأسرعت بالخروج .. ترى هل تجد بييرآنج كعهدها به من قبل ؟ .. لقد افترقا وكل منهما لايكاد يعرف الآخر .. ولكنها سرعان ما اطمأنت وارتاح بالها .. فها هما يلتقيان ثانية، وقد عادت الألفة بينهما أشد توثقا ! ..

ولكن بييرآنج كان يريد ان يحتفظ بصفاء ذهنه للمواجهة التي ستتم بين ابونين ولارنيه بعد الغداء في حجرة قاضي التحقيق .. وكان يمرق على شفتيه سؤال طالما اراد ان يعرف جوابه .. كيف

www.jadidpdf.com

كان رد الفعل عليه عند رفضى أن يأخذ منى قضيتى الأولى ؟ ..
ولكنه لم يجرؤ على القاء السؤال ..
وكانت فلورانس من ناحيتها لا تريد أن تتكلم عن لامورسيير ، رغم أنها كانت تعرف خطته ..
وقالت فلورانس :
ـ ينبغى أن أنصرف الآن ، فلا بد لى حقا من الذهاب الى الحلاق ..
فلما لم يبد بيرآنج اعتراضا ، أردفت تقول فى صوت مخنوق:
ـ ولكنى لست أدرى متى يمكننى الحضور ثانية ..
ـ غدا ، بلا شك .. غدا صباحا ياسيدتى ، ولا تتأخرى ..
وكانت تحنى رأسها ، لتضع قبعتها ، فاذا بها تقول فجأة :
ـ انه شديد الغضب منك !..
ـ وانت ؟..
فكان جوابها أن مدت له شفتيها فى قبلة طويلة .. ولكنه لم ينس لامورسيير ، فعاد يقول :
ـ ولكن ما الذى يعنيه من ذلك ؟.. انها قضية لا أهمية لها ، لاتكاد تثير اهتمام الجمهور .. أهو غاضب حقا ؟..
وكانت قد عزمت على عتاب بيرآنج ، ولومه على تعريض علاقتهما للخطر ، فى سبيل غروره وخيلائه .. فقالت :
ـ لقد كان رفضك اشتراكه معك مهينا له مؤذيا لشعوره ، وكان ينبغى لك أن تفكر فى أمرى ..
ـ سوف أوضح له كل شىء .. سوف أرتمى على قدميه ..
ـ انه فى ثورة عارمة ، ولا يريد أن يراك ثانية قط ..
ـ بسبب القضية ؟.. أو بسبب ..
ـ كلا .. كلا .. انه لايعرف شيئا .. ولابد لنا من الحرص والحذر ، فلو ارتاب فى شىء ، فاننى لا أدرى ماذا يمكن أن يفعله ..
فهز بيرآنج كتفيه فى غير اكتراث .. ولم تجد فلورانس فى نفسها من الجراة ما يشجعها على ان تقول له أن لامورسيير قد انضم الى كيرستنر كمستشار للدفاع عن لارنييه ..
على الرغم من أن لامورسيير لم يحضر جلسة المواجهة ، الا ان

www.jadidpdf.com

« شبحه » كان يصيب بيرآنج بما يشبه الشللَ ! . وكان المحامى الشاب قد علم بالنبأ عند وصوله الى المحكمة ، فضحك فى بادىء الأمر ، وظنها مزحة أو أشاعة كاذبة .. ولكن كيرستنر أكد له الامر، عندما أسرع نحوه يمد له يدا صديقة ، ويقول :

ـ ياله من وغد !..

فقال بيرآنج مازحا :

ـ هل أخفتك الى هذا الحد ؟..

فراح كيرستنر يشرح له الوضع دون أن يبدو عليه الضيقَ من مزاح زميله :

ـ لو علمت ماذا حدث !.. لقد كان الأمر مضحكا ، وسوف أخبرك به عندما نجد فرصة لذلك .. ولكنى لم أستطع الخلاص منه .. ولست أدرى أى شيطان تملك ذلك الشيخ المسكين ، فقد تغير كثيرا منذ أن أصيب بتلك النوبة القلبية . ولكنك لست غاضبا منى أليس كذلك ؟..

ـ ولماذا اغضب منك ؟.. ولماذا ينبغى أن أكون غاضبا ؟.. انك ـ على العكس ـ قد أسديت الى جميلا .. فما دام الأمر يحتاج لاثنين للدفاع عن عميلك ، فلا بد أنك تشعر بضعف مركزه ..ولكنى سأمضى فى الامر بمفردى ، لاننى واثق من قوة مركزى فى القضية .

وما كاد ينطق بهذه الكلمة العنيفة ، حتى انكمش خائفا ، أشبه بثعبان يعض وينفث سمه ، ثم يرتد الى وكره .. لقد نسى ابونين ، ولم يعد يفكر الا فى نفسه وفى عواقب فعلته .. « اترانى كنت جاهلا أحمق ؟»

لم يكن له بين محامى باريس حليف أو كفيل !. . والعداء السافر لواحد من أعظم محامى باريس ـ وكل الناس يتحدثون فىَ ذلك ـ سوف يسبب له أسوأ النتائج .. ولقد تبين ذلك فيما بعد ، ولكن بعد فوات الأوان . ومن ذا الذى كان بوسعه أن يتوقع ذلك ؟ لقد جعل الصقر العجوز من نفسه أضحوكة ، نعم .. ولكن الضحك يقتل أشد بطئا من الفشل .. ثم هناك سمعة النفوذ ، والشهرة الرنانة للاستاذ لامورسيير ..

بلَ لقد خيل لبيرآنج أن القاضى هيرتلو عندما يخاطب كيرستنر كان يبدو أكثر .. ماذا يقول ؟.. احتراما ؟.. كلا ليست هذه هى

www.jadidpdf.com

الكلمة .. تودد ؟ . لا ولا هذه : خوفا ؟ . كلا بالتأكيد .. حسنا . مجرد لهجة « مختلفة » .. فأى امتياز ذلك الذى يلقاه كيرستن .. لقد كان يكثر من المقاطعة ليسهب فى نقطة لم يحسن لارنييه شرحها ، ومع ذلك كان القاضى يصغى اليه ، دون أن يبدى حركة تدل على نفاد الصبر .. نعم لأنه هو كان يقف بجواره سندا .

هو .. لامورسيير .. كما فكر بيرآنج !.. المغفل !.. سوف أخبر كل الناس بأنه مغفل !.. المغفل العظيم ! لو أنه يستطيع ان يبصق الكلمة فى وجهه ؛ ويخبره بكل كلمة قالتها فلورانس عنه . « ولكنه ـ قطعا ـ لم يقل لفلورانس انه سيقف الى جانب كيرستن ليشد أزره ، والا لأخبرتنى فلورانس بكل شىء . » .

وكأنما أراحت هذه الفكرة بيرآنج قليلا .. وأحس بأنه اقل انعزالا .. وأنه قادر على الدفاع عن كيانه قادر على الثأر لنفسه .. لقد أرادها العجوز حربا ، ولسوف يلقى الحرب والنضال !..

ولكن أبونين ، فى تلك اللحظة كانت هى التى تحارب وتناضل ، فى ضراوة وعنف .. كان القاضى يقول لها :

ـ لنصل الآن الى العاشر من فبراير .. لقد استمر عزمكما فى ذلك اليوم على قتل هاجولان ..

فقالت ابونين :

ـ كان يجب أن يكون هو ، أو نحن ..

وقال لارنييه .

ـ لم اكن أريد ذلك ابدا

ـ ان لارنييه هو الذى طلب منى ان أعد قضيبا من الحديد ، وهو الذى قال لى ان المسدس سيثير ضجة كبيرة !.. وعلى اية حال فلم يكن أحدنا يملك مسدسا .. وكان هو الذى أشار على بأن اضربه على مؤخرة راسه ، أو فوق الصدغين ..

وصاح لارنييه : انها مجنونة !..

فقالت ابونين :

ـ ولكنها الحقيقة !..

وعلى هذا النحو استطردت مواجهتهما . لقد أقدما على القتل مرة ، من أجل ليلة حب واحدة ، وهاهما الآن ، من أجل ليلة اخرى ليلة بلا حب ، فى السجن ، كانا أشد استعدادا للاقدام على أن يقتل

www.jadidpdf.com

أحدهما الآخر !.. كانا قد تبادلا ، على طريقتهما ، تمنيات الحب والحياة معا .. قالت له ابونين :

« سوف تحضر لتعيش معى ، وسوف تتذوق حساء الكرنب الذى أصنعه بيدى ، فانك تتلف معدتك بما تأكله فى المطاعم ! . »

وقال لارنييه :

« سوف تضع ما تربحينه ، وما أربحه ، وفوقهما ما نحصل عليه من مكافآت ، وبذلك يمكننا أن ندخر بعض المال !.. »

اما الآن ، فقد وقفا وكل منهما يشيح بأنظاره عن الآخر ، ويحاول أن يدمره ..

هى ـ وعندئذ أخذ لارنييه الشملة ، وشدها حول عنقه ..

هو ـ ولكنى كنت ممسكا بذراعى هاجولان .. انها هى التى شدتها ..

هى ـ بلّ هو ..

هو ـ بل هى ..

فقال القاضى وهو يملى على الكاتب ..

قررت مركاديه « ومنذ أخذ لورنييه شملته ، وبعد أن أحاط بها عنق هاجولان ، راح يشدها فى قوة حتى خنقه » . وصرخ لارنييه : « ذلك محض اختلاق ، فالآن على العكس تماما .. لقد كنت أمسك بيدى هاجولان فى تلك اللحظة ، وكانت صديقتى هى التى أخذت الشملة وخنقته » فعادت مركاديه تقرر « هذا كذب . ان صديقى هو الذى وضع الشملة حول عنق هاجولان ، ثم شدها بعنف وخنقه ، وعندئذ انزلق هاجولان على الارض ميتا »

وكان كيرستنر يبتسم ساخرا ، كأنه يقول لبييرآنج فى تحد :

ـ أترى الآن اننى أمسك بتلابيبك ، وسوف أخنقك بدورى !.

فلنر الآن ماذا تستطيع أن تفعل !.

فصاح بيير آنج وهو يدق على الملف أمامه :

ـ لقد اعترف بكل شىء عندما قبض عليه ـ لنقرأ تقرير القوميسير ..

فأجاب كيرستنر :

ـ وهل يستطيع أحد أن يفهم شيئا من تقارير رجال الشرطة ؟.

www.jadidpdf.com

ودعاهما القاضي الى السكون .. ولكن ما حدث كان له أثر عظيم في نفس بيرآنج . فها هو الآن يلقى بنفسه في المعركة أخيرا . وراح يتأمل لارنييه .. كان يبدو تافها حقيرا ، أبله ملىء الجسم بالشحم، مترهلا ... كان أنفه ضخما مفرطحا ، وعلى جانبيه بقعتان سوداوان واستعان يبدو من خلالهما المخاط .. كانت عيناه تنديان بالدموع في سرعة ويسر « نفس النوع الذى يحبه المحلفون » ولم تكن لديه أقل فكرة عما يحدث له ، فقد كانت اتهامات ابونين له ، في عباراتها الخبيثة ، تشل تفكيره .. وكان يغمغم قائلا :

ـ اذا كان هذا ما تريده ، فسوف اقول الحقيقة !..

وقد قال الحقيقة فعلا .. ان بيرآنج يستطيع أن يتصون الآثار الدرامية التي سوف يستخلصها لامور سيير بسحر كلامه من مثل هذا الوجه الغبى ، السلبى ..

كان الدفاع عن أبونين ، في رايه ، عبثا لا طائل وراءه ، فهى قبل كل شيء ، وهذا وحده يكفى لتدميرها ، أكبر منه بعشر سنوات ، وكانت هى التي تسعى وراءه وتلح عليه ، في سبيل علاقة آثمة ..

وتحول القاضى الى ابونين قائلا :

ـ هل تعترفين بأنك أنت التى قطعت الجثة ؟..

فخفضت ابونين عينيها ، ولم تجب ..

ـ هيا ، اجيبى .. لقد اعترفت بذلك من قبل ..

وعندئذ التفتت الى بيير آنج ، وفى عينيها نظرات حيوان يائس يطارده الصيادون ، ثم غمغمت :

ـ اننى لا استطيع الاجابة ..

وسمع بيرآنج ، ضحكة كيرستنر الساخرة ، كأنها تأتى من مكان سحيق ، وحدس ان هذا الموقف قد يقلب القضية رأسا على عقب فأشار الى ابونين اشارة معناها « تكلمى »

ـ نعم .. لقد فعلت ذلك ..

فصاح كيرستنر :

ـ شكرا لك

بينما تهاوى بيير آنج فى مقعده ، وهو لا يعنى باخفاء ضيقه ..

ولكن القاضى راح يلح من جديد :

ـ هل فعلت ذلك بمفردك ؟.. الم يساعدك لارنييه ؟..

www.jadidpdf.com

ـ نعم .. بمفردى ...

فنظر اليها بيير آنج فى حقد ، وقد كتم سبابا قبيحا كاد ينفلت به لسانه .. غير أن ابونين أشارت بأصبعها نحو لارنييه ، وهى تصيح :

ـ ولكنه معى فى ذلك كله ، سواء بسواء ...

وعندما غمغم كيرستنر ساخرا : « استمرى فى كلامك » كان بيير آنج يود لو حطم كل عظمة فى جسده ... ولكن عندما انتهت المواجهة ، دعاه الى شراب فاعتذر كيرستنر متعللا بأن لديه موعدا ...

وبقى بيير آنج وحده ... وكأنما أراد الحظ الا يجد واحدا من أصدقائه حوله ، فأحس كأنه شخص مجذوم ، فى عنقه جرس يدق ليحذر الناس منه ، حتى يبتعدوا عن طريقه !.. وراح يقول لنفسه: لقد قضى علي .. ولسوف ينتهى بى الامر الى وظيفة كاتب فى مكتب أحد الموثقين !..

وراح يتنقل بين قاعات المحكمة باحثا عن شخص يفضى اليه بهمومه ومتاعبه ، ولكنه لم يجد أحدا .. فأخذ يقول لنفسه بصوت عال :

ـ لماذا اقدمت على تقطيع الجثة ؟..

سوف يتخيل المحلفون ابونين ، نحيلة سمراء ، وهى تحمل منشارا !.. وعندئذ ...

ـ ولكنى سوف أعمل على انتزاع المنشار من يدها !..

كانت ضحكات كيرستنر الساخرة لا تزال تدوى فى اذنيه .. بل انه ليستطيع أن يسمع ضحكات ساخرة أخرى أشد قسوة .. ضحكات الاستاذ لامور سيير ..

وعندئذ شدد الضغط على قبضتيه وهتف لاعنا : أما هو ، فسوف اقضى عليه ! .

واعيد تمثيل الجريمة بعد ثلاثة أيام ، وكان لامور سيير حاضرا هذه المرة .. وقدم أحد رجال الشرطة منشارا الى ابونين ، فراحت تعيد تمثيل ما فعلته خطوة بخطوة ...

وعندما غادرت المبنى ، استقبلها جمع من النساء بالصياح ، وهن يصرخن مطاليات بموتها ...

www.jadidpdf.com

القسم الثـــانى

المحاكمـــة

وقفت ابونين أمام الباب الزجاجى ، لتعيد تنظيم الشبكة التى تغطى شعرها السنجابى، وقد أضفى ثوبها الاسود على وجهها مسحة زادته امتقاعا ... كانت متقطعة الانفاس ، بادية المرض ، وفى وجهها شحوب كذلك الذى تراه فى النبات الذى ينمو فى الظلام ..

كان الجو حارا وهى تعبر فناء المحكمة ، ولكن السحب كانت تتجمع فى السماء .. لقد قضت ابونين فى السجن أربعة عشر شهرا، هدت قواها وأضعفتها .. وهكذا كانت ترقى الدرج الى قاعة الجلسة فى تخاذل وعناء وهى تضع يديها على ركبتيها عند كل درجة .. كانت تلهث بأنفاسها ، ولكنها لم تشأ أن تضايق الحراس الذين يصحبونها بطلب الوقوف لتستريح .. وكانت تلبس حذاء لامعا ، وجوارب وقفازات رمادية اللون ..

وكان فى انتظارها عند قفص المتهمين فيض من المصورين ... وأشار أحد الحراس الى مقعد خشبى ، قائلا :

ـ يمكنك أن تجلسى ...

ولكنها مضت تنظم ثوبها قبل أن تجلس، حتى لا يتجعد ، فابتسم أحد الحراس ، وهو فتى لم يتعد سن الحلم ، ولا تعلو شفته العليا غير شعيرات باهتة ، فى عجب وهو يرى حرصها على أناقتها ... بل لقد يعجب من تهافت المصورين عليها ، ويقول فى نفسه " كل ذلك من أجل هذه الزكيبة العجوز ؟..

وسألها بيير آنج وهر يربت على يدها المستندة الى حاجز القفص :

ـ هل أنت بخير ؟..

فأحنت رأسها ايجابا ، دون أن تنفرج شفتاها القانيتان بكلمة واحدة ... وكانت عيناها تلمعان ، تحت أضواء المصورين المتوهجة ...

ولم تنظر ناحية لارنييه عندما جيء به الى قفص المتهمين ، ولكنه كان يختلس النظر من ركن عينيه باحثا عنها ! . كانت نظراته مملوءة حياء ، توحى الى الظن بأنه يتوق الى أن يلقى بنفسه بين ذراعيها ، لو انها فتحتهما ..

www.jadidpdf.com

وراح يلتف فى معطفه الازرق قبل أن يجلس ، وقد عقد حول عنقه شملة من الصوف .. يا للغباء !..

ولم يملك بيير آنج أن يحرم نفسه من متعة الهمس فى أذن كيرستنر ، قائلا :

ـ شكرا لتفكيرك فى الشملة ، أيها العجوز ..

وعندئذ طلب كيرستنر الى لارنييه أن ينزع شملته ومعطفه !..

وكان لارنييه قد ازداد بدانة فى السجن .. ولكنه كان رجلا متخاذلا ، على الرغم من الكتيبة الثلاثية التى وقفت أمامه تحميه ، فى ثوب المحاماة الاسود .. فقد أحضر لاموسيير معه ، على عادته ، مساعدته القديمة التى كانت أشبه بتعويذة له ، والتى كان كل انسان فى قصر العدالة يدعوها باسمها الاول « مارت مادلين » .. كانت تناوله الاوراق من الحافظة كلما احتاج الى شىء منها ، وكانت تشتهر بقوة ذاكرتها .. وقد جلست الى يسار لامور سيير ، بينما جلس كيرستنر الى يمينه ـ أما بيير آنج فجلس الى يمين كيرستنر ، بعد أن تبادل مع لامورسيير تحية مقتضبة فاترة .

* * *

كانت قاعة الجلسة مكتظة بالناس ، وقد تكدس فيها كل أولئك الثرثارين الذين كانت قصة فلورانس مع بييرآنج تبعث طنينا من الهمسات بين شفاههم ..

كان يمكن أن يغفروا لها اتخاذها عشيقا يماثلها فى السن ، وليس ذلك اليافع المفتون !..

ـ لقد فقدت صوابها ..

ـ سمعت أنها تدفع له نقودا

ـ وماذا تتوقع منها ؟. تذكر أنها كانت ملكة جمال الاجسام عام ١٩٣٦

ـ انها هنا فى القاعة !..

ـ كلا ! . أتراها تجرؤ على الحضور ؟ .

ـ لقد رآها أحدهم .

ـ ما رأيك فى الفتى ؟..

ـ غلام عادى .. من الذين يلهون بتسلق الاسوار !..

ـ لا بد أن تكون له ميزة خاصة .. يستميل بها النساء !..

www.jadidpdf.com

ـ ان لويس المسكين (وهو اسم لامور سيير) لا يستحق كل ذلك ..

ـ ينبغى أن يفتح له أحد عينيه ..

ـ ولكنه يعرف كل شيء .. ألم تسمعوا بالمشاهد الصاخبة التى وقعت بينهما ؟..

ـ أتراه يطردها من منزله ؟..

ـ كل ما أعلمه أنه سوف يلقن هذا الناشيء المغرور درسا لا ينساه مدى الحياة .. وأحسب أن بين أيدينا اليوم طبقا شهيا !..

كان الاصدقاء فيما بينهم يشيرون الى شخصيات المجتمع الباريسى التى يتزايد عددها بين المشاهدين .. لم يعن أحد البتة بالمتهمين ، فقد كان دورهما ثانويا فى المأساة .. أما المعركة الحقيقية فكانت بين محام شهير ، وناشيء مجهول تحت التمرين ، يتصارعان حول امرأة ...

اما المرأة التى كانت سبب المعركة وجائزتها فى الوقت نفسه ، فقد جلست فى مؤخرة القاعة ، تخفى عينيها خلف نظارة سوداء ، وهى ترتعد خيفة من نتيجة المعركة الناشبة بين رجليها !..

ولم تعد فلورانس تشعر ، بعد أن أصبحت مثار الأحاديث فى باريس ، بأنها لا تزال سيدة مصيرها .. كانت تتنهد قائلة « اننى أتعس النساء ! . » وكانت قد اعتادت الحديث عن آلامها ومشاكلها كأنما خرج الامر من يدها ولم يعد بوسعها أن تحلها ... وقد تناول الكثير من الناس حياتها الغرامية بين أيديهم . كان كل واحد منهم يقول انها لا ينبغى أن تترك لها الحرية فى التصرف بغباء !. كان أصدقاء يتحدثون اليها فى رقة ورفق ، كأنهم يخاطبون شخصا مريضا ، ويستجيبون لنزواتها ويفرقونها فى فيض من التحليلات النفسية عن العاطفة التى تدمر صاحبها !. كانوا يتحدثون اليها فى التليفون عشرات المرات كل يوم ، ويتتبعون سير « مرضها » فى عناية !.. « انها تبدو اليوم راغبة فى الاصغاء الى صوت العقل » ..

وفى خلال رحلتها بين أسلاك التليفون ، كانت أبسط الوقائع وأيسرها ، تتخذ أحجاما كبيرة مشوهة ، تسير بالامور الى كارثة محققة ..

www.jadidpdf.com

أما لامور سيير فقد كانت تحميه فى الوقت نفسه ، مؤامرة من الصمت !.. « انه لا يجب أن يكتشف شيئا ، ذلك المسكين !.. خصوصا بعد مرضه الخطير » .. ولكن أصدقاءه ، فى سبيل حرصهم على حمايته ، لم يترددوا فى اشراك خمسين شخصا فى هذا السر !..

ولكن لامور سيير كان يعرف كل شيء ..

ولم يكن قد تبين بنفسه سوء طالعه فحسب ـ ولا أن ذلك جاء متأخرا ـ بل لقد اعترفت له فلورانس ذات مساء بكل شيء .

كانت تتوسل اليه ، فى سذاجة ، أن يتخلى عن دوره فى قضية شارع سيربور . ولما راحت تتلمس الاسباب التى تبرر بها تخليه عن القضية ، كشفت نفسها بنفسها .. ومنذ تلك اللحظة كانت فكرة الابقاء على علاقتها بلامور سيير ، جرأة فاضحة ...

ولكن لامور سيير أبى أن يسمح لها بالرحيل ، كما عرضت عليه .. كان ينتظر اعتراف فلورانس ، بل كان يراه قادما فى الطريق . فكان جوابه حاضرا .. ـ انك يا فلورانس ، منذ أن أصابك هذا الجنون ـ لأنه جنون حقا ـ لم تعودى فى حالة تسمح لك بالعناية بنفسك ... وان حبى لك لهو حب تعس حقا ، لو تركت للحزن الذى أحسه ، أو المرارة أو الغضب ، أن يطغى على عاطفتى وحنانى نحوك !.. وليس فى وسعى أن أنسى ما كان عليه كل منا بالنسبة للآخر ، وما لا نزال عليه حتى الآن ، فان حيرتك الواضحة تشير الى حقيقة مشاعرك .. اننى لم أعد شابا يا فلورانس ، لا شك فى ذلك ولا ريب ، ولكن فى هذا القلب العجوز ...

كان وهو يقول ذلك ، يشعر بالالم يفارقه ويبتعد عنه .. لقد ارتفع فوق مستوى الاحداث .. ولكن الى حد معين .. فقد كان أهم شيء لديه أن تعجب به أكثر مما تحبه ..

واستطرد يتم حديثه :

ـ ولكنك سوف ترين فى هذا القلب العجوز يا فورانس ، وسيكون ذلك سريعا ـ قبسا من النور .. سوف تتخلصين من قوى الشر التى وضعتك ـ حينا ما ـ تحت رحمتها .. وسوف أقف بجانبك ، لأشد أزرك !..

كان لامور سيير وهو يقول ذلك ، يحس فى كلماته سحرا لم يكن

www.jadidpdf.com

يتوقعه ، ويحس بأنه قد غدا أحسن حالا .. لقد تبين انه لا زال يحب فلورانس ، ومن ثم سوف يستمر على حبها .. فهو يعلم حق العلم انه اذا أضاعها ، فقد ضاعت منه النساء جميعا ..

وتنهد أصدقاؤه ارتياحا عندما علموا بصفحه عنها .. ما أعظم نبله ، وما اوفر ذكاءه !..

والواقع أن فلورانس نفسها ، وقد غلبها كرم لامور سيير على أمرها ، لبثت أياما عديدة لا تجرؤ على زيارة بييرآنج .. ولكنها لقيت فى ذلك عناء لا يطاق .. كانت تتمزق بين رجلين ، كلاهما حبيب اليها ، وكلاهما ضرورى لحياتها ..

ولكن ضحكة بيير آنج الساخرة ، وقبلاته الحارة ، مزقت كل ما نسجه لامور سيير من غلالة رقيقة حول مشاعرها !..

ونشبت أزمة ثانية .. تلتها هدنة ... ثم قامت حالة الحرب من جديد ...

بدأت لهجة تعليقات الاصدقاء تتغير .. كانوا يقولون عنها « لو كانت فى السادسة عشرة من العمر ، لعذرناها ... » ويقولون عن لامور سيير : « لقد تقبل المغفل العجوز هزيمته فى سعادة .. » وكانت التعليقات تنتهى جميعا الى نهاية واحدة يتفق عليها الجميع ... « انما المذنب حقا ، ذنبا لا يغتفر ، لهو ذلك اليافع الحقير بيير آنج » ...

كان بيير آنج يحس بالعيون المتطفلة الخبيثة تلفه بين نظراتها ، وقد جلس واضعا رأسه بين يديه ، وهو يتلو فقرات من قانون العقوبات ، أشبه بقس يترنم بكتاب صلواته .. ولكنه كان يرتعد خشية أن يفقد صوته فلا يستطيع نطقا ...

وكان وجهه قد ازداد نحولا وغضونا ، بعد أن قضى سنة كاملة فى ضنك يشد الحزام على بطنه .. فقد اختلف مع والدته ، وقطعت عنه معونتها .. كانت قد رتبت له زيجة طيبة ، بعد ذلك المقال فى باري ماتان .. ولكنه أحرج الجميع فى بلدته ، عندما اعتذر عن اتمام الزواج .. وكان يتكسب من اعطاء بعض دروس اللاتينية لطالب بليد الفهم ، أو بكتابة العناوين على الظروف . أو مما يتقاضاه عن قضايا تافهة كان أحد كتاب المحكمة الجزئية يساعده فى الحصول عليها ..

www.jadidpdf.com

ولكنه كان كلما ظهرت فلورانس فى حجرته ، يشعر بالعالم وقد تغير من حوله .. كان يقفز فوق حاضره ، كأنما بفعل ساحر ، ويقفز فوق السنين العجفاء التى يعيش فيها ، ليضع قدميه فى مستقبل أكثر ازدهارا .. كانت فلورانس هى الزوجة التى يتمناها ، اذا ابتسم له الحظ ودانت له الشهرة .. وكان يستحثها على أن تترك لامور سيير .. ولكن كلماته كانت تبدو له ـ بعد أن ينطق بها ـ سخيفة تافهة ..

كان حب كل منهما للآخر يزداد يوما بعد يوم .. لم يعرفا ثورة الحواس فحسب ، وانما أخذا يحسان البهجة الهادئة فى وجودهما معا ، والحديث الذى يتبادلانه ، والأحلام التى يسبحان بين أمواجها .. وكانت فلورانس كلما تحدثت عن السنوات العشر التى تفرق بين عمريهما ، وضع يده فوق فمها ليمنعها من الكلام . وماذا تعنى عشر سنوات ؟.. ان أية امرأة اخرى لا وجود لها بالنسبة له .. كانت فلورانس وحدها صورة نجاحه ، وسعادته المجسدة .

ولم يكن ثمت عاشق أشد منه عنادا !...

صاح الحاجب : محكمة ..

وكان كاتب الجلسة منهمكا فى ترتيب الأدلة المادية : القضيب الحديدى ، والمنشار ، والشملة ، وقد امتلأت قاعة الجلسة بطنين أشبه بالطنين الذى ينبعث ساعة الاستراحة فى أحد المسارح ...

ودخل القاضى بواسار ، رئيس المحكمة المكونة من ثلاثة مستشارين ، فى خطوة سريعة .. كان رجلا صغير الجسم ، مليئا رقيق الحاشية ، اشتهر باقامة العدالة فى وثبات طويلة ! . وألقى نظرة دهشة حول القاعة ، وقد تملكته الحيرة .. فلماذا ؟ ومن أجل من ، حضر كل هذا الحشد من صفوة المجتمع الباريسى ؟.. لقد كان فى حسبانه أن يفرغ من قضية شارع سيربور فى ساعة أو اثنتين ، وحدد لها جلسة بعد الظهر .. على حين قد خصص اليوم التالى بأكمله لنظر قضية اجهاض بالجملة ، وأعلن جميع المتصلين بها للحضور .. ثم انه كان يكره تغيير برامجه ، مثلما يكره بعثرة أموال ممولى الضرائب !..

وكان لارنييه يشد قامته فى انتباه ! دون ان يحول أنظاره عن القاضى .. أما ابونين فكانت تتطلع فى قلق ولهفة الى المدعى العام

www.jadidpdf.com

ـ هوبير دى بوركيران ـ فى ثوبه القرمزى ، وهو شاب نابه ذاع صيته بين الجماهير ، يكسو وجهه طابع من الزهد والتنسك ، تخف حدته بين الحين والآخر كلما لاحت على شفتيه ابتسامة ماكرة !..

وتم انتخاب المحلفين ، وحلف اليمين ، ثم طلب القاضى من كاتب الجلسة أن يتلو تقرير الاتهام . ولكن أحد زملائه مال عليه يهمس فى أذنه شيئا ، فتنهد قائلا :

ـ الحق معك .. معذرة !..

فقد نسى أن يأمر الشهود بالخروج من قاعة الجلسة .

وعندئذ تدخل لامور سيير ، قائلا فى لهجة مهذبة !

ـ جل من لا ينسى !..

كان قد ادخر سهامه المسمومة لبيير آنج ..

والحق أن القاضى كان يفضل الا يشترك لامور سيير فى هذه القضية !.. كان يفضل أن ينتهى الى البت فى مصير المتهمين ، دون جلبة أو ضوضاء ، مع هذين المحامين الناشئين ، الوديعين ، قليلى الخبرة ، أكثر من هذا الجو الحافل بالمظاهر والملابس الرسمية !.. كان أهم شىء عنده هو أن يحافظ على المواعيد التى حددها لنفسه .. ومهما يكن من امر فانها قضية بسيطة واضحة المعالم ، وقد قرأ الملف واستوعب كل كلمة فيه ..

ولم ينصت أحد الى تقرير الاتهام الذى كان الكاتب يتلوه فى عجلة ، وفى غير اكتراث ، حتى ليعجب المرء ان كان يفهم كلمة مما يتلوه ..

وكانت ابونين تمسك بمنديل بين أصابعها المتقلصة ، وتمزقه فى اضطراب وتوتر .. وما لبثت أن همست لبيير آنج :

ـ هل ستأتى البنتان ؟..

فطمأنها بهزة من راسه أنهما لن تحضرا .. وكانت راحتاه تنديان بالعرق ، فلن تمضى لحظات ، حتى يرفع الستار عنهم جميعا ، وعندئذ سوف يتوقف كل شىء على ابونين نفسها .. لن يكون فى وسعه أن يصنع شيئا من اجلها ، بل أن مصيرها سوف يكون بين يديها هى ..

كان يخيل اليه أن كل ما أعده ودبره خلال عام كامل ، ليس الا عملا سخيفا صبيانيا .. فلماذا لم يستجب لطلب لامور سيير ويقبل

www.jadidpdf.com

عرضه ؟.. ان دوره ـ فى هذه الحالة ـ قد يكون ثانويا ؟ سرعان ما ينساه الناس جميعا ولكنه من ناحية اخرى ما كان ليسحق تحت الاقدام ، ويتحول الى اضحوكة الساخرين ! . فليس من المعقول أن يترك لامورسيير نفسه ليقع فى الشرك المنصوب له . ولا كرستين اللامع الكسول .. دعك من مارت مادلين التى كانت تحفظ كل كلمة فى ملف القضية !.. أيقول الشرك ؟.. كلا .. ان ذلك لا يكفى .. فهو فخ نصب فى حفرة عميقة لا ينجو الفيل منها ..

وراح بيير آنج يتنفس فى بطء وعمق ، ليهدىء من سرعة ضربات قلبه .. فما من أحد ـ عدا ابونين ـ يعرف شيئا عن سره التعس .. ولا حتى فلورانس . فما الذى ستفعله ابونين بهذا السر ؟ ..

كان يصغى الى ابونين وهى تجيب على أسئلة القاضى فى عبارات مقتضبة هزيلة وصوت مرتعش ضعيف .. « هذا ليس صحيحا » .. أو « كلا يا صاحب السعادة » .. وكان صوتها لا يكاد يسمع ؟ حتى ساد القاعة سكون كأنها ساحة كنيسة ، وحتى اضطر القاضى الى ان يميل الى الامام ليتبين ما تقوله ..

وعاد القاضى يلح فى السؤال ثانية :

ـ ان شهادة معظم الشهود ، تبين انك كنت تحيين حياة حرة .. بل منحلة ...

ـ كلا .. ليس ذلك صحيحا ..

وكان صوتها تلك المرة اشد وضوحا وجلاء ، حتى لقد سرت غمغمة بين الحضور ، وبدا الهمس يدور بين الصحفيين ..

ـ لقد كان لك عشيقان معا ..

فنظرت اليه ابونين فى شجاعة وقالت :

ـ وذلك ايضا ليس صحيحا يا صاحب السعادة . لقد قطعت صلتى بهاجولان ، فى اللحظة التى عرفت فيها ...

وترددت لحظة قبل ان تلفظ اسم شريكها : روبير !..

ثم خفضت رأسها ، وراحت تجفف دمعة بطرف سبابتها .. فقال بيير آنج فى نفسه « عظيم .. عظيم » ..

كان قلقه اشبه بقلق المنتج الذى يخاطر بسمعته مع ممثلة مجهولة ..

www.jadidpdf.com

ـ لقد كنت تأملين الزواج من لارنييه ، ورفض هاجولان الرحيل فأثار ذلك غضبك ، ورحت تفكرين فى الخلاص منه ..

فانبعث منها أنين خافت ، قبل أن تجيب

ـ كان لارنييه هو صاحب الفكرة .. فقد صاك درعا بالاكل فى المطاعم ..

وعندئذ اعترض لارنييه قائلا :

ـ هذا كذب !..

كان صوته يعوزه الاقناع ، وقد بدت فيه سلبية واضحة .. كما كانت عيناه المستديرتان لا تنمان عن شىء من شعوره واحاسيسه ... ورآه القاضى لا يستحق العطف . فقال له :

ـ لا تعترض كثيرا !.. لقد اعترفت ـ وهذا من الادلة القوية ضدك ـ بأنك كنت المحرض على الجريمة ..

ونظر القاضى الى الملف لحظة ، قبل أن يستطرد :

ـ لقد قررت بنفسك ما يلى :

« ظللنا نفكر طويلا فى الاقدام عليها وطلبت الى صديقى أن تقوم بالمهمة بنفسها ... »

فأرخى لارنييه أنظاره الى الارض .. لقد قرر ذلك حقا ... ولكن فى سبيل انقاذ ابونين من التردى فى الهوة الى قمة رأسها ... كان ذلك يوم القبض عليهما ، ولم يكونا قد انقلبا عدوين بعد .. ثم غمغم قائلا :

ـ لم أقل ذلك الا لرجال الشرطة !..

كان يعنى : ان ذلك كله لا يعتد به ... فلم تكن قد بدأت فى القاء اللوم كله على عاتقى !..

واستطرد القاضى قائلا :

ـ كما أنك نصحت صديقتك بأن تتحقق من اختيار أداة تفى بالغرض ، نصحتها بأن يكون القضيب الحديدى ثقيلا ، ثم اشرت عليها بالمواضع التى تضرب فوقها ، مؤخرة العنق ، والصدغين ...

فتثاقلت أنفاس لارنييه .. ان هذا كله لا يعتد به .. وحتى لو كان قد قاله حقا ، فلم يقله بهذه الطريقة ... ولكن كيف يستطيع ايضاح الحقيقة ... وتورد وجهه ، وبدا عليه الاضطراب ، أشبه بشخص يمسك ويداه ملوثتان بالدماء ...

www.jadidpdf.com

وعاد القاضى يسأله :

ـ لماذا ذهبت الى مسكن صديقتك تلك الليلة ؟..

ـ ولم يجرؤ على ذكر السبب الحقيقى ، فقال وعلى وجهه ابتسامة بلهاء

ـ لقد ذهبت لأقضى دقيقـــة أو اثنتين .. كنت أريد أن أرى مسكنها الصغير ، وهذا كل ما فى الامر ...

ـ هل تعنى انك أردت قضاء الليل معها ؟..

فابتسم لارنييه ثانية .. وبدت الابتسامة هذه المرة أشد بلاهة .. وعندئذ همس له كرستنر :

ـ قل نعم ، اذا كان ذلك حقا ...

فأجاب

ـ هذا صحيح ..

ولكن ابونين صاحت فى صوت مدو :

ـ بل هو كاذب !.. ان ما يقـوله فاضح مشين يا صـاحب السعادة !..

ثم صفقت بيديها ، مستطردة :

ـ لقد كانت ابنتى الصغرى تنام فى نفس الفراش الذى جلسنا على حافته !..

واثارت كلماتها همهمة الحضور ، ولكنها أحدثت أثرها .. كانت ابونين دون معونة أحد ما ـ تستعيد شيئا فشيئا الأرض التى فقدتها ، وبعضها على صفحات الصحف .. فان اليكس ماجر نفسه وقد انحاز الى جانب لامور سيير ، كتب فى البـارى ماتان يقول : « كان ينبغى لهما أن يتخلصا منها .. من جثة رجل كان كل ذنبه انه أحب ابونين مركاديه ، الزوجة الصغيرة الطيبة ... »

ولكن القاضى لم يكن قد قرأ الصحف .. وكان لارنييه يبدو له أشد ريبة منذ أن اختار للدفاع عنه واحدا من نجوم دور العدالة .. ومن ثم كان أشد وطأة عليه من ابونين ..

ـ هل تذكر انك طلبت الى صـــديقتك أن تتحقق من أحكام الاصابة ؟..

ـ اننى لا يمكن ان اكون قد طلبت اليها ذلك، فقد كنت نائما...

ـ مهلا .. دعنا نبحث الأمر على مهل .. لقـد قلت الآن انك

www.jadidpdf.com

ذهبت مع صديقتك الى منزلها لتقضى الليل معها .. ولكنك قلت من قبل أنك أردت تحاشى أسوأ الأمور .. وسواء أكان هذا أم ذاك ، فمن غير المعقول أن يطرق النوم عينيك !.. ولو كنت تريد أن تتحاشى أسوأ الأمور ، كما تقول ، لتدخلت فى الأمر على الفور .

ـ حسبت أن كل شىء سيتم على ما يرام ! .

كانت كل اجاباته ، تنقلب ضده .. بل أن بيير آنج كان يقول لنفسه « ربما كان الوغد مجرما أصيلا قبل كل شىء ! . » ومع انه كان يقلل من ذنبه ، ان لم يكن يبرئه تماما ، الا أن مسلكه جعل بيير آنج أكثر تفاؤلا .. فاذا كان قد استطاع أن يغير رأيه فى الرجل ، فسوف يكون ذلك شأن المحلفين أيضا ..

فلما أثيرت مسألة الشملة ، ومن الذى شدها حول عنق هاجولان ، راح كلا المتهمين يصرخ مزمجرا فى وجه الآخر :

ـ انه هو !..

ـ انها هى !..

وارتفعت الضجة مدوية فى قاعة الجلسة ... وانتظر بيير آنج فى لهفة متزايدة ذلك « المشهد » الحاسم الذى طالما « حفظه » لابونين فى حرص وعناية ...

القاضى (لابونين) ـ وعند ما رأيت هاجولان جثة هامدة ، رحت تتساءلين كيف تتخلصين من الجثة .. وفكرت فى تقطيعها حتى يسهل التخلص منها فى سهولة أكثر ..

ابونين ـ كانت هذه فكرة لارنييه

القاضى ـ ولكن لارنييه يدعى العكس

ابونين ـ انه يكذب !..

القاضى ـ سوف نرى ذلك فيما بعد .. ولكن ألم تشترى المنشار بنفسك ؟..

ابونين ـ لقد طلب منى لارنييه أن أشتريه ..

لارنييه (يقف منتفضا) ـ هذا كذب !..

القاضى ـ وهذه النقطة أيضا فيها نظر .. ولكن ـ مهما يكن من أمر ـ فانك أنت التى قطعت الجثة بنفسك ...

وهنا بلغت المفاجأة ذروتها

www.jadidpdf.com

ابو نين ــ كلا يا صاحب السعادة .. آن لارنييه هو الذى فعل ذلك .. أما أنا فقد ناولته المنشار !..

ودوت فى القاعة ضجة عالية ، أشبه بهزيم الرعد ، حتى اضطر القاضى الى تهديد الحضور باخلاء قاعة الجلسة ... فأخفى بيير آنج رأسه بين ساعديه ، ويداه منقبضتان على شعره ، ويود لو أسدل الستار على المشهد كله .. ولكنه لم يملك أن يسد أذنيه عن سماع زئير الحاضرين ، وضحكة لامور سيير المجلجلة ، ونعيق كرستنر .. بل لقد استطاع أن يسمع ــ وكان ذلك حقيقة لا خيالا ــ لارنييه وهو يقف فاغر الفم مشدوها يلهث فى حشرجة ...

ولكن الشىء الوحيد الذى كان بيير آنج متلهفا على سماعه ،انما كانت أسئلة القاضى التالية .. أو بالاحرى سؤالا واحدا فحسب ، كان خليقا بأن يربك ابونين تماما ..

وكان القاضى قلقا يائسا ، وهو يرى القضية تزداد تعقيدا ، وجدول مواقيته يضرب به وجه الحائط .. فمضى فى استجوابه فى صوت جاف ، وصدر ضيق :

ــ لقد اعترفت بكل شىء فى التحقيق الابتدائى ، بل عدة مرات فى الواقع ، وذكرت ما فعلته فى اسهاب .. ولكنى لن أتلو أقوالك الآن ، فهى شنيعة حقا !.. ولكنها وردت فى الصفحات ٣ و ٧ و ١١ من الملف ..

ابونين (فى اصرار) ــ انه لارنييه !..

لامور سيير ــ اذا لم يكن كل ذلك سخيفا ، فهو مسل للغاية !..

القاضى (غاضبا) ــ أرجوك يا سيدى المستشار ... سوف تحين لك الفرصة لاستجراب المتهمة فيما بعد .. (يعود الى ابونين) فهل تدفعين الآن بأن كل ما قلته للمفتشين ، وللقوميسير ، وللقاضى التحقيق ، كان زائفا ؟..

ابونين ــ انه لارنييه !..

القاضى ــ اذا كنت تقولين الصدق الآن ، فلماذا كذبت من قبل ؟..

ابونين (فى همس) : لاننى كنت قد أقسمت يمينا !..

القاضى (حانقا) ــ ما هذا الذى تقولينه ؟.. أقسمت يمينا ؟.. ما الذى أقسمت عليه ؟

www.jadidpdf.com

هلّ اقسمت على الكذب ؟.. ولمن اقسمت هذا اليمين ؟..
ابونين – لروبير !..

كانت ممثلة رائعة ؛ لم تنس شيئا .. كان كل تردد يبدو عليها ؛ وكل صمت تلجأ اليه ، في موضعه الصحيح .. كانت تقول « لارنييه » اذا اقتضى المقام ذلك ، وتقول « روبير » كلما كان الاسم أشد وقعا ..

واستطردت قائلة :

– لروبير يا صاحب السعادة !.. كنت مدلهة فيّ حبه ، وكنت أشعر بمسئوليتي حياله .. كان أصغر مني سنا بكثير .. فلما طلب مني أن أحمل عنه عبء مسئولية هذا .. هذا الحادث .. وعندما سألني أن أقسم بأطفالي ، بأطفالي الصغار يا صاحب السعادة ...

وعندئذ انفجرت بالبكاء ، وكفت عن الكلام ..

وصاح لارنييه :

– الكلبة !.. الكلبة القذرة !..

فوقف بيير آنج معترضا ، وقال :

– لو سمحت المحكمة .. ولكن القاضي كان قد سبقه ، انتهر لارنييه طالبا اليه أن يلزم السكون ..

وكان لامور سيير لا يزال ممعنا في الضحك ، مستخفا بهذه الاقوال .. ولكن بيير آنج لم يعن حتى بالاعتراض على مسلكه .. فلم يكن القاضي قد القى السؤال الذي يخشاه بعد ..

والواقع ان القاضي لم يلق هذا السؤال على الاطلاق ، فقد انهى استجوابه ، ورفع الجلسة للاستراحة ...

بينما كان بيير آنج يجمع أوراقه ، ليضعها في حقيبته ، اقترب منه أليكس ماجر قائلا في لهجة ذات مغزى :

– انه شيء مثير حقا !..

فقال بيير آنج :

– الا تصدقها ؟..

– وهل تصدقها أنت ؟..

فضحك بيير آنج ، وأشار الى خصومه قائلا :

– ماذا يمكن أن أقول ، وكل هؤلاء السادة ضدي ؟..

www.jadidpdf.com

وتسلل اليكس ماجر الى حيث كان لامور سيير واقفا بين زملائه ، وكان يقول :

ـ هذه كذبة صارخة ، وما من أحد يمكن أن يحمل كلام المرأة على محمل الجد !.. فمن الواضح تماما أن هناك من أدخل هذا الهراء فى رأسها !..

وكان شديد الحنق من القاضى الذى رفع الجلسة للاستراحة قبل أن يتيح له الفرصة لهجوم مضاد !..

كانت قاعة الجلسة شديدة الحرارة الى حد الاختناق ، ولكن الحاضرين ظلوا ملتصقين بمقاعدهم ، خشية أن يفقدوها .. على حين مضى بيير آنج الى الممر ليشعل سيجارة ، ويبحث عن فلورانس ، وهو يود فى قرارة نفسه ألا يلقاها !.. كان يقول فى نفسه « لم يكن ينبغى أن تحضر اليوم » ..

وما لبث أن لحق بابونين فى حجرة انتظار صغيرة ، كانت تقف فيها مع لارنييه متباعدين فسألها ان كانت تحس بالتعب ، فقالت :

ـ ليهبنى الله القوة ، فقد طال الأمر ..

وجاء أحد الكتبة يدعوه الى حجرة القاضى ، حيث وجد زملاءه محامى الدفاع ، والمدعى العام هوبير دى بوركيران .. كان القاضى قلقا من رؤيتهم يسعون الى افساد برنامجه !.. فسألهم :

ـ هل ستطول مرافعاتكم أيها السادة ؟..

فطلب لامور سيير لنفسه ساعة كاملة ، وطلب لكرستنر عشرين دقيقة .. أما بيير آنج فقال :

ـ ان خمس عشرة دقيقة كافية لى ! .

كان قد أعد دفاعا طويلا ، ولكنه أراد أن يغيظ منافسيه بأن يكسب عطف القاضى ووده .. وعلى أية حال فسوف يكون آخر المتكلمين ما دامت المتهمة التى يدافع عنها أسوأ مركزا من شريكها ..

ولكن لامور سيير صاح فى غضب :

ـ اننا لن نستطيع الدفاع فى أقل من ساعة كاملة ، بعد أن بدا الآن أننا متهمون أيضا بتقطيع الجثة ..

فقال القاضى :

ـ هل ترون من الضرورى أن نسمع الشهود جميعا ؟..

فأجاب لامور سيير :

www.jadidpdf.com

ـ لقد دعونا القليلَ منهم ، ولا بد لنا من سماعهم ..

ولم تتح لبيير آنج فرصة للتدخل ، فقد مضى القاضى قائلا :

ـ حسنا أيها السادة !.. ولكنى أرجو ألا تكثروا من الاسئلة ، فلا بد أن نصل الى قرار الليلة .. وسوف تعقد المحكمة جلسة بعد العشاء اذا دعا الامر ...

وكان بيير آنج يجتاز الممر ، بعد خروجه من حجرة القاضى ،عندما رأى فلورانس ، وهى فى طريقها الى اللحاق بلامور سيير ، فلم ينل منها بيير آنج غير ابتسامة شاحبة ... ومع ذلك فقد كانت تود لو استطاعت أن تجرى نحوه هو ، وتلقى بنفسها بين ذراعيه ، فلم تفارقه عيناها اثناء انعقاد الجلسة .. كانت تحس بأنه لا بد يشعر بالقهر والاسى بعد ان غلب على امره أمام هذه الاكاذيب الجديدة التى اطلقتها ابونين فجأة !.. فقد قال لها ذات مرة « ان الصدق عند ابونن شيء لا جذور له ، يطفو على السطح كما تطفو ورقة الشجر على سطح بحيرة من الماء ، لا يربطها شيء ... وليست ذاكرتها الا صدى للكلمات التى تنطق بها » .. فلماذا أصر على الدفاع عن هذه المرأة المخبولة ؟ . ان فى وسع فلورانس الآن أن تتخيل فى سهولة ما سوف يحدث عندما تبدأ المرافعات .. فلسوف ينسف لامور سيير المرأة نسفا ويجردها من ريشها المستعار .. ولكن بيير آنج هو الذى سيتلقى صدمة الهجوم .. « سوف يكون فى حاجة الي » .. وكانت تأمل أن تهدىء من غضب لامور سيير ، ولو احتاج الامر الى الضراعة والتوسل ..

ومع ذلك فلم تجرؤ على التحدث اليه عن القضية .. كل ما أمكنها أن تفعله هو أن تغمغم قائلة :

ـ ان الجو حار خانق هنا ، ولا احسبنى قادرة على البقاء .. وسوف أعود الى المنزل ..

ولكن لامور سيير قال فى لهجة حانية :

ـ سوف يسعدنى بقاؤك هنا ..

كان يعلم أنها سوف تبقى .. بل لا بد لها من أن تبقى .. فسوف يزيل الغشاوة عن عينيها .. ويلقنها درسا .. كان قد تساءل ـ ذات يوم ـ ان كانت خليقة بأن تحب ، وكان ينتهى دائما الى الاقتناع بأنها اذا لم تكن تحبه ، فهى لا تحب أحدا .. أما الآن فقد أيقن من

www.jadidpdf.com

شيء واحد : انها لا تحب أحدا البتة ، لا هو ولا غيره ... أما ذلك الفتى المأفون ، فقد كانت عاطفتها نحوه نزوة عارضة ... ولسوف تدرك تفاهته وضعة شأنه ، قبل أن ينتهى نظر القضية .. سوف تكشف الحقائق التى ستنبثق من القضية عن بصيرتها وتردها الى جادة العقل .. ولكن ماذا يكون الوضع لو عادت تتردد بينه وبين الآخر ؟.. لقد كان فى وسعها أن تختار من تشاء من بين «الرجال» الاقوياء المعروفين .. أى شخص غير هذا الأفعوان الحقير الذى يزحف بين الحشائش . وهو كلما يذكر مكالمته التليفونية من مونت كارلو ، يشعر بالدم يندفع الى رأسه ، فما من أحد قط من قبل اجترأ على تحقير لامور سيير الى هذا الحد .. لقد كان بوسعه أن يعيش بقلب جريح .. أما هذا الجرح الدامى لكبريائه ! . لو أن فلورانس ذرفت دمعة .. دمعة واحدة .. لصفح عنها .. ولكن بيير آنج لا يجرى فى عروقه من الدماء ما يكفى لغسل خطاياه ! .

رفع لامور سيير ذراعه المغطاة بالسواد وأشار الى ابونين قائلا :

ـ هل للمتهمة أن تقول لنا ، يا صاحب السعادة ..

كان ينظر الى القاضى ، ولكن بيير آنج كان هو الهدف الذى يصوب اليه بندقيته ويوشك أن يضغط الزناد ..

ونهض بيير آنج يحاول الاعتراض ، غير أن لامور سيير حدجه بنظرة خاطفة ، كوميض البرق ، كانت خليقة بأن تفجر شجرة بلوط لو وقعت عليها .. فأرخى بيير آنج عينيه ، وعدل عن التدخل والاعتراض .. فلماذا يتيح لغريمه نصرا ساحقا أمام المشاهدين ؟..

فمضى لامور سيير فى استجوابه :

ـ أود لو قالت لنا المتهمة كم من الوقت قضت فى عشرة هاجولان قبل أن تلتقى بلارنييه ؟..

وظلت ابونين صامتة .. كان لامور سيير ينظر الى القاضى ، فلم تفهم انه يوجه اليها الكلام ، وينتظر الاجابة .

واستطرد لامور سيير :

ـ اذا كانت المتهمة تجد صعوبة فى تذكر ذلك ، فانه يسرنا أن نساعدها ...

ثم نظر الى ابونين قائلا :

ـ لقد ظللت تعيشين مع هاجولان ما يقرب من عشر سنوات .

www.jadidpdf.com

وعاد ينظر الى القاضى ويقول:
ـ وأود أيضا أن أسألها هل كان هاجولان مدمنا على الشراب منذ بداية علاقتهما ؟..
فقالت ابونين :
ـ نعم .
لامور سيير ـ معنى ذلك انك ظللت تعيشين مع رجل سكير ما يقرب من عشر سنوات ؟..
ابونين ـ كنت غير سعيدة معه ..
لامور سيير ـ اننا نرثى لك حقا يا سيدتى !..
ولقد قال « سيدتى » .. فلم يكن يخاطب ابونين وحدها ، وانما كان ـ دون أن يدرك تماما ـ يخاطب فلورانس من خلالها .
لامورسيير ـ كنت غير سعيدة معه ، نعم .. ولكن هل استمرت علاقتك به ؟.. اذا كان السؤال مؤذيا لشعورك فلا تجيبى .. اننا نعرف الجواب
نعم .. كان يعرف الجواب حقا .. كانت فلورانس تنام فى فراشها مغمضة العينين ، صامتة ، مطبقة الشفتين .. فهل كانت غير سعيدة هى الاخرى مع عشيقها العجوز ، السكير ؟..
لامور سيير ـ وفى يوم سعيد .. بل الاحرى أن نكون أكثر دقة فنقول انه كان يوما تعسا .. التقيت بلارنييه ثم أصبحت عشيقته ...
كان يتكلم فى بطء .. وصوته يختلج بين الحين والآخر ..
لامور سيير ـ ثم أصبحت عشيقته ، تصحبينه الى فندقه .. كل هذا حسن .. ولكن ما الذى كان يحدث بعد ذلك ، عندما تتركين لارنييه وتعودين الى مسكنك ، حيث ينتظرك رجل آخر .. هل كنت عشيقة الآخر فى الوقت نفسه ؟..
ابونين (غاضبة) ـ لقد قلت من قبل اننى قطعت صلتى بهاجولان منذ أن التقيت بروبير .. لقد أخبرت هاجولان بالحقيقة ...
لامور سيير ـ نعم .. نعم .. ولكن الذى نريد أن نعرفه ، وأرجو أن تتذكرى جيدا ، هو الآتى .
عندما ذهبت الى فندق لارنييه أول مرة ، لم تكونى تعرفين هل ستذهبين اليه مرة أخرى ؟..

www.jadidpdf.com

ابونين ـ اننى لا افهم شيئا ..

لامور سيير ـ لا ريب انك تفهمين كل شيء .. لقـــد التقيت بروبير ، ومال اليه قلبك .. كان شابا .. قويا .. بل لعله كان من الشباب بحيث لا يليق بك أن تتخذيه عشيقا .. وكنت تخشين الا تدوم علاقتك به ، فهل كنت تبقين مع هاجولان اذا حدث ذلك ، مع العجوز الشرير السكير ؟..

كان لامورسيير فى الواقع يكشف عن دفائن عقله .. كان يتجرد عاريا أمام كل هؤلاء الحضور .. وفلورانس ؟ . فلورانس ؟ . هل كانت على صلة هى الاخرى بالآخر عندما كان يأتى لتناول العشاء معهما ؟.. هل كانت قبلاته لا تزال دافئة على شفتيها عند ما كان لامور سيير يأخذها بين ذراعيه ؟ . ان الحقيقـة التى يحـاول انتزاعها من ابونين ، والتى يحتاج اليهـا لسحق بيير آنج ، كانت هى نفسها حقيقة فلورانس ! .

لامور سيير ـ ألا تريدين الاجابة ؟..

ابونين ـ عن أى شيء ؟..

لامور سيير ـ لو انك لم تلتقى بلارنييه ، فهل كنت تبقين مع هاجولان .. هذا ما سألتك عنه ، فأجيبى .

ـ لقد كنت دائما أود أن أفارقه ..

ـ كنت تريدين أن تفارقيه الى الحـــد الذى جعلك تبقين على معاشرته فى الوقت الذى كنت قد اصبحت عشيقة لارنييه منـذ ستة شهور ؟ .

ابونين (فى فزع) ماذا يريد هذا الرجل الآن ؟ .

وانفجرت فى القاعة عاصفة من الضحك خففت من التوتر الذى كان يسودها .. وضاق لامورسيير ذرعا بذلك ، لما فيه من افساد لخطته ، ووقف يلهث بأنفاسه ، فلما قدمت له مارت ـ مادلين كوبا من الماء ازاحه بيده واستطرد يسألها

لامور سيير ـ ان لك بنتين يا سيدتى .. ولكنى لن اعلق على المثال الذى ضربته لهما بمسلكك .. وقد فاجأت هاجولان ذات يوم وهو يحاول أن يدس يده تحت ثوب الكبرى منهما ..

كان وهو يقلد هذه الحركة ، قد نظر الى بييرآنج فى امعان .

www.jadidpdf.com

لامور سيير ـ ودعينا نثبت بهذه المناسبة انك لم « تتذكرى » هذا الحادث الا فى حضور محاميك .. ولكن مهما يكن من أمر ، وعلى فرض انك صادقة فيما قلت ، ولو لمرة واحدة ، فقد خفت على البنتين من فتك هاجولان بهما وهو ثمل لايعى ، وكان عليك أن تدفعى عنهما خطر هذا الوحش ، أليس كذلك ؟ .

ابونين ـ انه كان يفقد عقله كلما اكثر من الشراب ..

لامورسيير ـ نعم .. نعم .. لابد انه كان كذلك .. وكان يهددك دائما ، ويشحذ السكاكين على مشهد منك .. وكنت تخافين منه على ابنتيك وتحرصين على سلامتهما .. ولابد أنك كنت لاتتركينهما قط ، وتظلين بجانبهما لتحميهما .. (لحظة صمت وجيزة ، ثم دوى كالرعد) لا تهزى رأسك هكذا .. ولكنك لكى تذهبى الى لارنييه كنت مع ذلك تتركينهما وحدهما تحت رحمة ذلك الوحش المفترس ..

ابونين ـ كنت أتركهما فى الغرفة الداخلية وأوصد الباب عليهما

لامورسيير ـ (يخرج من جيبه رتاجا صغيرا يريه لهيئة المحكمة والمحلفين) توصينه بهذا الرتاج ، أليس كذلك ؟ . هل كنت تحمين الطفلتين من هاجولان الوحش بهذه الألعوبة التى يستطيع طفل صغيران يحطمها ويقتحم الباب ؟. ولكن هناك دليلا آخر ، دليلا صغيرا استميح المحكمة عذرا فى ذكره أمامها .. ان دورة المياه تقع عبر الردهة ، ولا بد لوصول البنتين اليها من المرور بحجرة الوحش .. هاجولان ..

وسكت هنيهة ، ثم أشار بيده الى ابونين وانطلق بصوت كالرعد :

ـ ان هذه المرأة قد غيرت أقوالها أكثر من مرة الى الحد الذى يجعلنى أشك فى أنها تتصور اشياء لم تحدث أصلا ، أو تتناسى ماوقع فعلا .. أو لعلها بعد ليلة من التفكير ، أو نصيحة صغيرة طيبة ، تأتى كل مرة باشياء جديدة ! ..

وفهم بيير آنج ما يقصده المحامى الشيخ .. فقد كان تلميحه واضحا .. ولكنه فى قرارة نفسه كان معجبا بخصمه العجوز ،

www.jadidpdf.com

وبالاساليب التى يتخذها ، وبنبرات صوته التى تختلف علوا وهبوطا .. كان يقول لنفسه .. « لو أننى هزمت ، فسيكون ذلك على يد رجل عظيم ! . وكفانى ذلك فخرا ! . كان يتعلم الكثير من لامورسيير ..

ومع ذلك فعندما مضى لامورسيير فى استجوابه ، كان اعجاب بييرآنج يتناقص شيئا فشيئا .. كان يلقى الكثير من الاسئلة التافهة ، ولم تعد أساليبه ذات أثر كبير على المحكمة أو الحضور .. كان فى اصراره على تحطيم أكاذيب ابونين واحدة بعد الاخرى ، وهو أصرار تبدو فيه فرحة نزقة كأنه يلهو بتحطيم لعب طفل صغير ! .. وأعماه حقده على بييرآنج ورغبته فى ايذائه عن ادراك ما بدأ يعتمل فى نفس القاضى من غضب ، وما لاح فى أساريره من صبر نافد ، فاندفع يقول لابونين :

ـ وهكذا كلما وجدت أن أقوالك لن تفيد ، أخترعت أقوالا أخرى ، أو وجدت من يخترعها لك .. ولكنى لا أطيق أن أصبر على يافع يجد لديه من القحة مايكفى لأن يجعل من العدالة هزؤا وسخرية ..

فرفع القاضى حاجبيه دهشة ، وتطلع الى ساعته قبل أن يقول :

ـ من هذا الذى تقول عنه ، ياسيدى المستشار ، انه يجعل من العدالة هزؤا وسخرية ؟ .

وسرت فى القاعة همهمة غامضة ، وكف الصحفيون عن تدوين أقوال لامورسيير . واسئلته .. كان قد مضى شأوا بعيدا فى ثرثرته وحدته ، دون أن يدرك أحدهم سببا لذلك كله .. كان قد ضغط على زناد بندقيته خمسين مرة ، ولكن طلقاته كانت طائشة ..

اما بييرآنج ، فقد اشتعل الأمل فى نفسه .. وأو انه كان فى مكان لامورسيير لركز هجومه ، بادىء ذى بدء ، على تحطيم اكذوبة ابونين الاخيرة ، قبل الاستراحة ، عند مازعمت ان لارنييه هو الذى قام بتقطيع الجثة .. فلو قضى على هذه الاكذوبة لانهارت باقى الاكاذيب كأنها بيت من الورق ..

ومع ذلك فأن تفنيد هذه الاكذوبة ، كان فى ملف القضية نفسه .. فهل لم يدرس لامورسيير الملف جيدا ؟ .. « اذا كان

www.jadidpdf.com

الأمر كذلك ، فأنا الرابح أولا وأخيرا » .. ولكن لا .. ان بيرآنج لا يعتقد حقا أن النصر سيكون له .. ولم يكن فى حاجة الى ان يرقب حركات كيرستنر ، فلن يأتى الخطر من ناحيته . ولكن مارت مادلين ؟.. لابد أنها تحفظ الملف عن ظهر قلب ! . آه.. شكرا لله !. انهما لم ينتبها الى شيء ..

وكان لامورسيير لايزال يثير نقطة بعد أخرى ويحاول التأثير فى المحلفين .. ومع ذلك فان اثارة الشك حول نقطة واحدة محددة ، سوف يكون كافيا لوضع النقط الاخرى موضع التجريح .. ولكن لامورسيير لم يركز هجومه ، ولم يفلح فى اقناع الحاضرين الا بشيء واحد فحسب ، هو أنه يثور لأتفه الاسباب وعلى نحو غير طبيعى ! .

وبدا التعب على القضاة ، والمحلفين ، بل وعلى لامورسيير نفسه .. ولكن بيرآنج كان محتفظا بهدوئه ، وبثقته بنفسه ، ولم يكن يخشى الآن غير المدعى العام .. « انه يعرف الملف جيدا ، ولا ريب أنه يعرف الدليل الحاسم ! »

كان النضال يروق له ، وكان « خوف الظهور على المسرح » الذى انتابه فى بداية الجلسة قد فارقه تماما .. واخذ الناس ينصتون له كلما اعترض ، وارتفع صوته رنانا صافيا ؛ ولم يعد تخيفه نظرات لامور سيير الحادة كنظرات الصقر . فلما وقف ليسأل ابونين ولارنييه ، كان مالكا زمام نفسه ، متمكنا من مشاعره

بدأ بيرآنج يقول فى اعتزاز :

ـ لست أعتقد أن للدفاع الحق ..

وتمهل لحظة ، وتحول ينظر الى لامورسيير فى شجاعة ثم استطرد :

ـ كما أنه ليس من مصلحة الدفاع ، أن ينوب عن الادعاء فى مهمته ! .

فابتسم هوبير دى بوركيران ابتسامة دهاء ، وقال

ـ اننى من جانبى ، يسرنى دائما أن أتعاون مع الاساتذه الاجلاء أعضاء هيئة الدفاع ! ..

فأحنى بيرآنج رأسه فى غبطة «.. لقد استطاع أن يثأر لنفسه .. ولم تعد جراحه تنزف دما .. ثم التفت الى القاضى قائلا :

ـ سوف أسأل كلا من المتهمين سؤالا واحدا فحسب .. أود

www.jadidpdf.com

أولا أن أسأل السيدة مركاديه كم كان مقدار النقود التى تحصل عليها لتنفق منها على نفسها وعلى طفلتيها ؟ ..

فرفعت ابونين رأسها فى دهشة وحيرة .. لقد كانت ترجو ، بعد ان ظلت تجيب على أسئلة خصمها أكثر من ساعة ، انها سوف تجد فترة ترتاح فيها .. وها هى الآن تجد صديقها يلقى عليها سؤالا اشتمت منه رائحة الخطر ..

وظل بيرآنج يلح عليها حتى اجابت ، فتحول الى المحلفين قائلا :

ـ لقد كانت السيدة مركاديه تحصل على نحو عشرين ألف فرنك كل شهر ، بما فى ذلك معاش الطفلتين ، لتعيش منها ..

ثم استدار نحو لارنييه وقال :

ـ واود أن يخبرنا السيد لارنييه عن مقدار النقود التى كانت معه ليلة الجريمة ..

فنظر لارنييه الى محاميه قائلا :

ـ هل ينبغى أن أجيب ؟ . ثم أضاف فى تردد :

ـ ثلاثمائة وخمسين فرنكا ، فيما أذكر ..

ـ لو كان معك أكثر من ذلك يامسيو لارنييه ، لأخذت صديقتك الى أحد الفنادق ، فذلك أفضل من ذهابك الى مكان تتعرض فيه للمتاعب .. أليس كذلك ؟ .

واحس لارنييه بأن شركا ينصب له ، فلم يجب

ـ تكلم .. لاتخش شيئا .. أن كل انسان يتعرض للضيق فى وقت من الاوقات .. ولولا انك كنت فى ضيق لاستأجرت غرفة فى مكان آخر ، حيث تلقى الأمن والهدوء ، أليس ذلك صحيحا ؟ .

ـ نعم ..

ـ لقد كنت غير مرتاح الى ذهابك معها ، وكذلك ما قررته أكثر من مرة .. كنت تحس بأنه سوف يكون هناك بعض المتاعب .. بل لقد قررت ، كما ذكر سعادة الرئيس ، انك أردت أن تتحاشى أسوأ الأمور ...

ـ هذا صحيح ! ...

ـ ولكن قل لى ياسيد لارنييه ...

وهنا تحول بيرآنج نحو المحلفين ، قائلا :

ـ الم يكن فى جيبك عشرون الف فرنك فى تلك الليلة ؟ ..

www.jadidpdf.com

فصاح لارنييه :

ـ انها مدخراتى ..

هل ذهبت الى مسكن صديقتك ، لتطمئن الى أن شيئا مروعا لن يحدث ، وفى جيبك عشرون الف فرنك ؟ .

فاندفع كرستنر فى غباء ، قائلا :

ـ وأين العلاقة بين ... ؟

ولكن بييرآنج انحنى أمامه فى احتفاء وقال :

ـ اذا كنت لاتدرك العلاقة بين الأمرين ، أيها الزميل العزيز ، فسوف يسرنى أن أوضحها لك فيما بعد ، ولكنى احسب ان السادة المحلفين قد أدركوها الآن ..

ثم انحنى ثانية امام القاضى ، قائلا :

ـ أرجو ألا أكون قد أخذت من وقت المحكمة اكثر مما ينبغى ، فليست لدى اسئلة أخرى ...

وأشار القاضى بيده ليسكت همسات الدهشة التى بدأت من مقاعد الصحفيين وسرت منها الى القاعة كلها .. ثم سأل هوبيردى بوركيران :

ـ هل لدى الادعاء اسئلة يريد توجيهها ؟ ..

لم يتسع الوقت لبييرآنج ليستمتع بانتصاره ، فقد استبد به القلق من جديد ، وراح يقول لنفسه « هذا الرجل يعرف الحقيقة »

ولكن دى بوركيران كان يقول ، وهو يشير الى هيئة الدفاع فى ترفع :

ـ لا توجد لدى أسئلة .. فقد كفانى هؤلاء السادة مئونة السؤال ! .

فجفف بييرآنج جبهته وهو يغمغم : يا آله السموات ! . مادام دى بوركيران له يوجه ، السؤال المحتوم ، فلابد أن الادعاء لا يزال عند رأيه ، وهو أن المتهمين متساويان الذنب .. متساويان فى العقاب ! ..

ولن تكون المساواة فى العقاب نصرا لبييرآنج .. بل الأحرى أن تكون نصرا للامورسيير .. وعاد يذكر كيف خطر له يوما أن يوحد جهوده مع محامى لارنييه ، وأن يحملا حملة رجل واحد على الفقر والجهل ، الثمرة المحتومة للاحياء الفقيرة !.

www.jadidpdf.com

ودعى الشاهد الأول لحلف اليمين ..

كان اسمه ميشيل شارلوب ، مستشار طبى لدى محكمة استئناف باريس .. فراح يقدم الى المحكمة نتائج الفحص الطبى والنفسانى للمتهمين ..

ولكن بيرآنج لم يكن يصغى اليه بل كان يفكر فى فلورانس .. وكان لامورسيير بدوره يفكر فى فلورانس أيضا .. كان يعلم عن خبرة أنه لم ينجح فى موقفه الاخير .. ويتضاعف ألمه ويشتد . وهو يرى بيرآنج يبلغ الذروة فى قوته .. كانت كل كلمة نطق بها تزيده بعدا عن فلورانس فى الوقت الذى كان أشد حاجة اليها فيه من أى وقت آخر ..

كانت شهادة الطبيب ، على طولها وامتلائها بالعبارات الرنانة والمصطلحات المعقدة ، تنتهى الى سلامة المتهمين صحيا ونفسيا ، ومسئوليتهما الكاملة عن أفعالهما .. وكان وهو يصف استكانة أبونين ومسلكها فى السجن قد فاه بعبارة لم يتركها بيرآنج تمر دون أن يزيدها تأكيدا فسأله :

ـ هل تقول أنها كانت كالكتاب المفتوح ، حتى لقد احسست أنها لا يمكن أن تحاول أخفاء شىء ؟ ..

ـ نعم !. نعم ! .

فلما انتهى الطبيب من الحديث عن لارنيبه ، أراد لارنيبه أن يمعن فى الكيد لخصومه ، فسأله :

ـ مارأى الطب فى رجل يحمل فى جيبه عشرين الف فرنك ثم يفضل ان يخنق رجلا آخر بدلا من انفاق ثلاثمائة او اربعمائة ؟..

فاعترض لامورسيير :

ـ ما الذى يعنيه بهذا السؤال ؟ ..

ـ احسبنى تكلمت فى لغة سليمة ! .

وتدخل القاضى ليحسم النزاع قائلا

ـ ما الذى تريد ان تسأله الطبيب على التحديد ؟.

ـ كنت أريد أن أعرف هل يدفع البخل رجلا الى القتل .. ولكنى أسحب السؤال ! .

فانطلق لامورسيير يهدر بصوت كالرعد :

ـ اننى اعترض ..واذا كانت هناك نصوص مؤيده من السلطات

www.jadidpdf.com

الطبية المختصة فلا بد لنا من الاطلاع عليها .. اننى اعترض على الشهادة بطريق الايحاء ..

فصاح بيرآنج وقد امتلأ سرورا بالاشارة مرة أخرى الى العشرين الف فرنك :

ـ سوف تحصل على الدليل الذى تطلبه ...

كان ينظر الى عينى لامورسيير للمرة الأولى منذ بدء المحاكمة ، فى جرأة منقطعة النظير ، ولم يعد خائفا منه ، وشد من أزره موقف القاضى وسعة صدره معه ، وأيقن انه يؤدى دوره بأفضل مما يفعل خصمه المشهور .. ولكن عن أى « دليل » يتحدث ؟. ان « الدليل » الذى يخشاه ، مازال ماثلا أمامه ، وما زال ملف القضية معلقا فوق رأسه كالسيف المصلت .. ولكنه ـ مع ذلك ـ سوف يمضى فى سحق خصومه دون رحمة ، ويثير حنقهم حتى يضللهم عن الاسئلة الخطرة !..

ولما اعتلى القومسيير كاريجال منصة الشهود ، راح يلخص تحرياته فى صوت جامد رتيب ، كانما يريد أن يقول : « اننا نضيع الوقت سدى ، ولا يستحق هذان الشقيان منكم كل هذا التقدير . » وكان من الطبيعى أن يرجوه لامورسيير بان يؤيد أقوال ابونين « لقد دفعت ألفين وخمسة وثمانين فرنكا ثمنا للمنشار .. بدأت المحاولة ولكن لم استطع ان احمل نفسى على المضى فيها ... وأدركت أن لابد لى من الاقدام ، فبدأت بالساقين ... ثم ..

وارادت ابونين ان تقاطعه ، قائلة :

ـ ولكنى أخبرتك بان ذلك غير صحيح !. لقد أقسمت ..

فأمرها بيرآنج بالصمت حتى يأتى دوره .. فى حين كان لامورسيير يسأل :

ـ هل كنت تشعر بأنها تقول الصدق ياسيدى القوميسيير ؟. ألم يرغمها أحد على الكذب ؟..

ـ لقد كانت تقول الصدق فى ذلك الوقت ، ولكنك لست فى حاجة لأن تكون خبيرا حتى تدرك أن قصتها الآن قد اعيد تنسيقها فى براعة ! ..

فاحتج بيرانج قائلا .

www.jadidpdf.com

ـ أنك الآن شاهـد فيّ محكمة ، وقد أقسمت اليمين ، فلتكن ايجابيا فى شهادتك وانس لحظة انك ضابط شرطة !..

وذكر بييرآنج أنه رأى القومسيير مرة فى سجن لاروكيت ، بينما كان خارجا من زيارة أبونين .. فلماذا حمل عناء اجتياز باريس من اقصاها الى اقصاها ؟. لمجرد أن يرى أبونين ؟ .. وعندئذ ذكر القوميسير بهذه الزيارة وسأله عن سببها ..

ـ كانت هناك بعض نقط اردت ان تجلوها المتهمة .

فهز بييرآنج قبضتيه ، وهو يصيح :

ـ كان يجب أن تعرف أن قضية موكلتى لم تعد من اختصاصك .. لقد كانت بين يدى قاضى التحقيق بعد أن أحلت اليـه الملف ، وقـد أقدمت على عمل غـير قانونى ، وأسأت استعمال سـلطة وظيفتك ! !..

ـ ولكنى لم أقصد شيئا البتة ، بل لسنت أذكر الآن ماالذى اردت ان اسألها عنه ..

ـ سأقول لك ما كنت تريده ، وأنت تعرفه مثلما أعرفه ، ان حقوق الدفاع

يا صاحب السعادة قد امتهنت فى هذه القضية ..

فقال القوميسير وقد امتقع وجهه :

ـ من الذى يحاكم فى هذه القضية ؟ . رجال الشرطة ؟ .

فسأل القاضى ابونين ان كان لديها ماتقوله ، فأجابت

ـ لقد أرهقنى القوميسير بالاسئلة مدة طويلة .. اسئـلة لم افهم شيئا منها ..

وكنت أقول له أى شىء حتى يدعنى وشأنى ..

وامتلأت القاعة بهمهمة الحاضرين من جديد

وأعاد المفتش جودان الى ذاكرة المحكمة أن رجال الشرطة علموا عن اختفاء هاجولان من خطاب مجهول ، وان التحريات التى أجريت فى شارع سيربور كشفت عن انه كان هناك «صيحات عالية واصوات استـغاثة تنبعث من المبنى فحصـل على اذن بالتفتيش وقام باستجواب السكان » ومضى يقول ..

ـ وقد بدت لى المرأة مركاديه متصلة بالجريمة على نحو ما فقد كان مسلكها مريبا الى حد بعيد

www.jadidpdf.com

فنهضت ابونين قائلة :

ـ لقد استخدم معى أساليب العنف ، وكان يعذبنى .. ولست أقول انه ضربنى ، ولكنه تركنى طوال بعد الظهر دون أن يعطينى حتى جرعة ماء.. كان يمنعنى من الذهاب الى دورة المياه.. وراح يتناول عشاءه تحت أنظارى مع اثنين من رفاقه .. القوميسير وسائق السيارة فيما أذكر ..

فشحب وجه جودان ، وراح يغمغم بصوت خافت :

ـ هذا غير صحيح يا صاحب السعادة .. لقد رفضت ان تأكل ماعرضناه عليها من طعام ! .

وشكره القاضى فى سخرية على « شفقته » ثم قال لابونين :

ـ يجب أن تقتصرى على الاسئلة فقط .. هل لديك ماتسألين عنه الآن ؟.

ـ أريد أن اعرف لماذا لم تطلبوا للشهادة الا الذين يكرهوننى ؟ ولكن أحدا لم يجب على هذا السؤال ..

أما لارنييه ، فكان يبدو كالأبكم .. وعندما خاطبه القاضى نهض وفتح فمه ، دون أن ينطق بحرف ، كعادته

وتتابع موكب الشهود ، فذكرت السيدة فريتيه ـ قريبة هاجولان ـ ان علاقته بأبونين كانت على خير ما تكون العلاقة بين صديقين ، بل واكدت أنها رأتهما ليلة عيد الميلاد الاخير يتبادلان قبلة حارة كشابين فى العشرين من العمر !.

وناقشها بييرانج فى شهادتها مناقشة عابرة ، وأظهر مابدا من تناقض بين اقوالها فى التحقيق ، وشهادتها فى المحكمة ، ولكنها أصرت على كل ما قالته أمام المحلفين ..

وكأنما أعادت اسئلة بييرآنج الى لامورسيير حماسه ونشاطه ، فعاد الى مناقشة الشهود ، مركزا جهوده على اظهار مافى صفحة هاجولان من صفاء ، مشيرا بصفاته وخلقه ، مستعينا فى ذلك بشهود الادعاء ـ السيدة فريتيه ، ورئيس عمال هاجولان ، وأحد شركائه .. راح يرسم صورة للضحية .. رجل مستقيم الخلق .. أهو مدمن على الشراب ؟ . كلا فلا يزيد فى ذلك على أى شخص عادى !.. هل كان خليقا بأن يضرب امرأة ؟ محال ، فذلك لايتفق مع طباعه ! كان موفور الأدب ، شهما ، وعلى الأخص مع النساء !

www.jadidpdf.com

أكان خليقـــا بأن يهاجم بنتا صغيرة ؟ معـــاذ الله ! ! انه مجرد تشنيع ! . بل لقد كان يحضر الحلوى للاطفال ، ويساعد السيـــدات المسنات ، من جيران المنزل ، فى حمل أكياس مشترواتهم ! ..

كان ممثل الادعاء يبتسم فى دهاء ، وبييرآنج لا يقاطع الشهود الا نادرا .. أما خصومه فقـــد انزلقوا الى نفس الخطأ .. كانوا يريدون أن يفتحوا عشرات الثغرات فى القضية فمضوا يرهقـــون شهودا لا قيمة لشهادتهم بأسئلة تافهة .. كانت أسئلة كرستنر سخيفة ، وينطق بها متلعثما ، حتى ارتسمت مئات البسمات على شفاه الحاضرين .. أما لامورسيير فكان كلما سمـــع ســـؤالا من كرستنر ، أغمض عينيه ، وسبح فى حلم أشبه بالكابوس !..

كان زمام القضية قد اوشك على الانزلاق من يده ، وبدا يفكر فى التوقف عن النضال .. وغلبه النوم فجأة ، شطرا من الثانية ، أشبه لسائق السيارة الذى يرهقه التعب أو الحر فيغفو فوق عجلة القيادة .. وفى تلك اللمحة الخاطفة ، كانت الكلمات التى قالهـــا فى الاشادة بمحامد هاجولان التعس ، وإعادة الاعتبار الى اسمـــه ، تتردد فى أذنيه فيسمع فيها ــ قبل الأوان ــ كلمات المديح والأطراء التى ستقال عنه ، كأنها باقات من الزهور وضعت فوق تابوته !.. ألا ما أجمل نومة الموت اذن ؟.. انه ليستمتع بحلاوة النوم الذى ستحسه فلورانس وتشقى به ! والأسف العميق الذى تشعر به الأكاديمية لاستهانتها بقدر عالم مثله ..

وكما ينتفض سائق السيارة مستيقظا ، بمجـــرد أن يغمض جفنيه ، أجفل لا مورسيير مستيقظا قبل أن ينـــام فعلا .. كان جبينه منديا بالعرق ، وقلبه يدق فى نبضات سريعة قوية .. « اين أنا ؟.. » ماذا يقول كرستنر ؟.. وما الذى يفعله الآخر ؟..

وسرعان ما ألقى بنفسه وسط المعمعة !..

أما بييرانج فقد ترك خصومـــه يتصارعون فيما بينهم ومـــع الشهود فى وقت واحد .. وأخلد الى الصمت وهو يقول للقاضى بين آونة واخرى :

ــ شكرا .. ليست لدى أسئلة !..

كانت لهجته وقتئـــذ توحى بأنه ــ هو وحـــده ــ الذى كان حريصا على وقت المحكمة ! ..

www.jadidpdf.com

وأخذ موكب الشهود يسرع الخطى ، والقاضى يستحثه بسوط لسانه .. فدعى ضابط فى الجيش ، ومعلم صبية ، وأخ وخالة ارسلتهما أمه ، للشهادة كلا بدوره ، عن أخلاق لارنييه .. « غلام حلو الشمائل ، طيب القلب ، يعمل فى جد ، ولا يؤذى بعوضة »

أما صاحب الفندق الذى ظل لارنييه ينزل عنده ثلاثة أعوام متتالية ، فقد أصر على أنه لم يشرب شيئا سوى الماء ، وأنه كان محبوبا ومحترما

فسأله بييرآنج :

ــ لقد كان لارنييه صريحا معك ، فهل تحدث اليك عن مشاعره نحو السيدة مركادييه ؟ .. مشاعره الحقيقية ؟.

ــ آه ! نعم . كثيرا .. وكانت وجهة نظره انها صفقة رابحة ، كان يريد أن يتزوجها ، فقد كانت تملك مسكنا ، كما ترى ! ..

ــ نعم .. اننى ارى ذلك حقا .. ارجو أن تذكروا أيها السادة المحلفين هذه العبارة « كانت تملك مسكنا ! .. »

وكان بييرآنج ثملا بنشوة ادراكه أن القاعة باسرها تتبع مناقشاته فى انتباه ، وانه ــ على الأقل ــ كان صنوا للامورسيير فى الوقوف تحت الاضواء .. وكان قد تبين أيضا انه خير للمحامى أن يدافع عن قضية خاسرة ، من قضية يعلم الناس جميعا مقدما انه سوف يكسبها ..

ان نتيجة كل قضية تتوقف على وقائع قليلة كلما عرف المحامى كيف يستغلها ، ويظل يحوم حولها ويرددها حتى تستقر فى أذهان المحلفين ..

وكان بييرآنج قد دعا خمسة من شهود النفى ، ليشهدوا عن اخلاق ابونين ، ولكنه قال :

ــ لو سمحت المحكمة فاننى مستعد للاستغناء عن سماع أقوال أربعة من هؤلاء الشهود .. أن لموكلتى اصدقاء كثيرين ، هى الاخرى .. ولكن كيف يمكن لهم ــ أو لغيرهم ــ أن يلقوا ضوءا على الاعماق الخفية لهذه القضية ؟ .. ولكنى من الناحية الأخرى أرجو ان تأمروا ــ يا صاحب السعادة ــ بسماع أقوال الأم سانت مارى ، رئيسة سجن لاروكيت .. فان شهادتها تبدو لى حاسمة .. لم يكن فى استغنائه عن شهوده أية مخاطرة ، فما من قيمة

www.jadidpdf.com

تذكر لأقوال مثل هؤلاء الشهود .. ولكنه كان « بكرمه » هذا يستزيد من رضا القاضى الذى كان يتزايد قلقه بين دقيقة وأخرى ودعا القاضى الأم سانت مارى للشهادة !.

وهكذا دنت اللحظة الحاسمة ، فأما أن يكسب بيير انج كل شىء ، أو يخسر كل شىء .. لقد كانت شهادة الراهبة خليقة بأن تركز الاهتمام فى أدق نقطة فى القضية .. تقطيع الجثة ... لقد نجح بيير آنج حتى الآن فى الابقاء على اشراك المتهمين فى الجريمة بقدر متساو فى المسئولية ، وكان يبدو له ، منذ خمس عشرة دقيقة فحسب ، أن مهمته لن يقدر لها النجاح .. ولكنه لم يتردد فى المجازفة .. فلعله يستطيع الآن أن يهز الميزان قليلا حتى تميل كفة لارنييه تحت عبء الجريمة ..

خلعت فلورانس عويناتها السوداء ومالت الى الأمام حتى ترى الأم سانت مارى جيدا .. ولم تعد آسفة على بقائها ، فان شيئا خارقا كان على وشك الوقوع .. كانت تحسه ، وترحب به .. فمنذ أن سمعت اسئلة لامورسيير القاسية ، بدأت تفهم ابونين ، ولم تعد تؤمن بانها مذنبة حقا ..

ان الحب بالنسبة للمرأة هو مغامرتها الوحيدة ، بل أعظمها شأنا .. فالرجل تدفق عشرات العوامل الى النضال ، أو الغزو ، أو على الأقل ليعمل على كسب عيشه ، أو على الانتفاع لقد أحب لارنييه ابونين ، لاشك فى ذلك ولا ريب .. ولكنه كان يمتلك المال .. فهل من العدل ألا تتساوى مسئوليته مع مسئولية ابونين ، وهو الذى فضل المال على الحب ، وضن بالقليل منه فى سبيل متعته ..

كانت فلورانس وهى تصغى الى بيير آنج عندما راح يعالج موضوع العشرين الف فرنك ـ وقد كانت هذه فكرتها منذ البداية ـ تشعر بأنها تزداد قربا من ابونين .. كان لارنييه يبدو لها نذلا شحيحا يستحق الازدراء ، وهى لن تصفح عن لامورسيير سعيه الى تدمير ابونين فى سبيل انقاذ هذا الوغد .. ولا الطريقة التى صاح بها « الى اية حجرة ذهبت بعد عودتك من عند لارنييه ؟ » كانت تحس بانها هى نفسها التى تجلل بالعار وتعرض تصف عارية على عيون الجماهير ، كما كانوا يفعلون بالعاهرات فى العصور الوسطى ..

www.jadidpdf.com

ومهما يكن من أمر ، فقد انتهى كل شيء بينهما .

ـ اقسمي بان تقولي الحق ، كل الحق ، ولا شيء غير الحق ..

ففمفمت الام سانت مارى : اقسم على ذلك

وكان شريط وسام جوقة الشرف ، الاحمر الصغير ، يضيء فوق ثوبها الأسود ويزيدها اشراقا ومهابة .. ولاحظ القاضي شيخوختها فعرض عليها مقعدا ، ولكنها ابت الا أن تظل واقفة

ـ هل لك اذن أن تتفضلى فتقولى لنا ماتعرفينه ؟ ..

وبدأت الام الرئيسة كلامها ، وسط جو من الصمت المطبق والتوتر لتقول بان ابونين امتازت فى سجن لاروكيت منذ نزولها فيه بمسلكها الحميد ، وهدوئها الرصين ..

وبدأت الذكريات تطوف ببيير آنج منذ زيارته الاولى المسجن ، واقتراحه على ابونين أن تحضر الصلاة مع الراهبات .. لماذا أقترح ذلك على ابونين ؟.. أكان ذلك الهاما ؟ انه لم يتبين الا بعد ذلك بكثير مدى مايمكن ان يصنع من حماس ابونين الديني.. ولكن هل عول على ذلك حقا ؟. هل كان ذلك كله من اختراعه ؟ .. ان ذاكرته ليست صافية الآن ، وليس فى وسعه أن يتتبع الفكرة منذ ان نبتت لديه .. ومهما يكن من أمر فان بيير آنج لايستطيع أن ينسى محادثة حاسمة جرت بينه وبين ابونين بعد مثولها أمام قاضى التحقيق هيرتلو ..

ـ لماذا ترددت يا ابونين عندما سألك القاضى اذا كنت التى قمت بتقطيع الجثة وحدك ؟.

ـ لأن روبير لايقل عنى مسئولية هذا الامر ، وقد قلت ذلك..

ـ مسئولية ؟ . انها مجرد كلمة يا ابونين .. فالمسئولية فى نظر القانون مسألة افعال ، لا أقوال .. فمن الذى فعل ذلك ؟.. انت ؟ ..

ولم يمض بيير آنج فى الحاحه ، مع هذا الوجه العنيد النفور ذى الفم المطبق المتهول عند زاويتيه ! .. وفضلا عن ذلك فقد تمت المعاينة واعيد تمثيل الحادث .. كان يرجو وقتئذ .. ولكن ماالذى كان يرجوه ؟ .. لقد كان لامورسيير حاضرا عند المعاينة ، وكان بيير آنج نفسه خائفا منه .. كان يتصرف كصبى فى العاشرة .. كان يحتمل تلميحات العجوز وسخريته ، وعباراته اللاذعة

www.jadidpdf.com

دون أن يرد واحدة منها أو يدافع عن نفسه .. كان يحتمل كل ذلك فى ألم مكبوت كأنما أصاب الشلل جوارحه ..

وكان يصب بعض سخطه على رأس أبونين ، عندما ماخطرت له فجأة تلك الفكرة ..

ـ اذا كنت تريدين اشراك لارنييه فى المسئولية معك ، فلماذا لم تتهميه صراحة ؟ . لعله ساعدك فعلا ، والا فكيف استطعت تحريك الجثة وحدك ؟. خبريني كم كان وزن هاجولان ؟ ..

ولكنها ظلت صامتة وفى أساريرها تلك اللمحة من العناد والغباء والضراوة ..

ـ أصغى الى يا ابونين .. اننى لا أستطيع أن أفعل شيئا من أجلك ، مالم تساعديني .. وانا أعلم أنك أحببت لارنييه ، بل لعلك مازلت تحبينه ، فذلك امر طبيعى .. ولكن أود أن تخبرينى كيف استطعت أن ترفعى الجثة ، وتقلبيها وجها لظهر ، بهاتين الذراعين النحيلتين ؟ ..

وكان يعلم وقتئذ ان لابد لها من وقت طويل حتى تستوعب الفكرة مليا ..

كان لايكف ـ يوما بعد يوم ـ عن اعطائها جرعات صغيرة من الدواء نفسه ، وقد مزج فيه بين الحقائق والنظريات فى براعة وعناية .. « لقد كانت الجثة ثقيلة تماما ، فكيف استطعت وحدك؟ . » أو « حسنا . لابأس ! .. انك مازلت تحبين لارنييه ، فلا تقولى شيئا عنه » .. أو « لاتخبرينى بالحقيقة اذا كنت لاتريدين ذلك ولكن لاتسأليني أن أذهب لزيارة ابنتيك بعد الآن فلا فائدة ترجى من وراء هذه الزيارة .. يجدر بك أن تنسيهما فلن تريهما ثانية »

وأخيرا .. وبعد لأى .. تكلمت ابونين .. فقد أنضجت ليالى السهد والأرق قصتها ..

ـ لقد ساعدنى لارنييه .. فلم يكن فى استطاعتى أن أفعل ذلك وحدى ...

ثم :

ـ ان لارنييه ـ وحده ـ هو الذى قام بالمهمة كلها ..

وبعدئذ :

ـ لقد اقسمت له بأن أقول اننى الفاعلة ! ..

www.jadidpdf.com

ـ وكيف تتوقعين أن يصدقك الناس ؟ لقد كنت تذكرين العكس دائما ..

ولكنها كانت قد وجدت ملاذا آمنا خلف هذه الاكذوبة .. فراحت تبكى وتصر على انها الحقيقة ، وتقسم برأس ابنتيها .. اليس ذلك كافيا ؟ ..

ولكن بيير آنج لم يكف عن تعذيبها ، فقال :

ـ ومتى قام لارنييه بتقطيع الجثة ؟ ..

كان هذا هو السؤال الذى لايزال بيير آنج يخشاه ، والذى لم يوفق واحد من خصومه الى القائه ..

« متى فعل لارنييه ذلك ؟ . » وكان جوابها « مساء الثلاثاء » .

ولكن لارنييه لم يغادر فندقه فى تلك الليلة ! . وهى حقيقة ثابتة .. فقد تتبع البوليس حركاته ساعة بعد ساعة وخطوة بعد خطوة .. ولا يمكن أن يكون قد فعل ذلك فى تلك الليلة السابقة لأن الطبيب الشرعى حدد موعد تقطيع الجثة على وجه الدقة ..

كان من الجلى أنها تكذب .. ولكن بيير آنج وجد أن الدفاع كله سوف ينهار اذا أحرجها أو عارضها ، فقال :

ـ حسنا يا ابونين ! . اننى واثق الآن من قدرتى على مساعدتك ..

ولكنه لم يكن واثقا البتة .. كان يستطيع أن يتخيل كيف تكشف المحكمة النقاب عن وجه ابونين ، وتفضح أكاذيبها ..

وفى أحد أيام الصيف ، وقف يتحدث مع الراهبة الموكلة بباب السجن .. وكان يراها كلما حضر لزيارة ابونين ..

وحدثته الراهبة عن النزهة التى ستقوم بها راهبات السجن يوم الأحد القادم ، وهى نزهة تقوم بها الراهبات مرة كل عام ، حيث يحملن طعامهن ويقضين اليوم فى الريف .. وأضافت الراهبة قائلة

ـ اننى واثقة من أن عميلتك سوف يسمح لها بالذهاب معنا ، فهى امرأة بالغة الطيبة ..

وفى تلك اللحظة فكر بيير آنج فى دعوة الأم الرئيسة للشهادة ، كانت الأم سانت مارى تقف عند المنصة ، وتتكلم فى صوت

www.jadidpdf.com

يزداد خفوتا لحظة بعد الأخرى ، كأنها تفضى الى المحكمة بأسرار لا يخلق بها أن تبلغ آذان السوقة .

ـ وأعترف أننى دهشت لذلك كثيرا .. فقد ألقت بنفسها تحت قدمى ، وهى تبكى بكاء، حارا .. ولا ريب فى أننا قد اعتدنا أن نرى فى السجن هذه المشاهد الغريبة ، وتعلمنا ألا نعيرها من الأهمية أكثر مما تستحق .. ولكنى فى هذه الحالة كنت واثقة ـ يا صاحب السعادة ـ من أن غريزتى لم تخطىء .. ان السيدة مركادييه امرأة مسكينة .. والمرأة المسكينة لا تبرع فى التمثيل قط !. كان مسلكها الحسن ، وهدوؤها البالغ ، يبلغنى دائما .. بل لقد راقبتها بنفسى بعض الوقت .. وليس يخفى على أننا يجب أن ننظر الى تقوى بعض السجينات بعين الريبة والشك ، ولكننا فى الوقت نفسه على بصيرة نافذة فى هذه الشئون .. لقد اعتادت أن تحضر الى العمل معنا فى مشغل السجن ، دون أن تكون مكلفة بالعمل .. وكانت تحيك الصوف لابنتيها كذلك ..

وعندئذ طلبت اليها أن تحضر الى مكتبى لنتبادل الحديث معا

وذكر بييرآنج أنه سمع عن هذا الاجتماع ولكن ابونين لم تذكر له ما دار فيه من حديث ..

ومضت الأم الرئيسة تقول :

ـ وما أن دخلت حجرتى ـ يا سعادة الرئيس ـ حتى اندفعت تبكى وهى تسألنى ان كان الحنث بالقسم يعد خطيئة عظمى ! . وماذا كان فى وسعى أن أقول ؟ .. طلبت اليها أن تفسر ما تقوله ، فاعترفت بأنها أقسمت لمسيو لارنييه على أن تقول انها هى التى ...

وتوقفت الأم سانت مارى فجأة .. فما كان فى مقدورها أن تنطق بالكلمات المروعة .. ولكن كل انسان فى القاعة فهم ما تعنيه .. ثم استطردت منتهية من محادثتها :

ـ وعندئذ أخبرتها بأن من واجبها أن تقول الحقيقة كاملة أمام المحكمة ..

ففمغم القاضى قائلا : ـ شكرا لك يا أماه ! .

ورفع بييرآنج عينيه لينظر الى المحلفين .. ومن ورائه كانت ابونين قد انخرطت فى البكاء ، وراح لارنييه يشد ياقة قميصه بكلتا يديه ، كأنما يريد أن يصرخ عاليا ..

www.jadidpdf.com

وتحول القاضى الى هيئة الدفاع قائلا :

ـ هل من يريد السؤال ؟ .

فهب لامور سيير واقفا ..

كانت شهادة الأم الرئيسة قد أخذته على غرة .. كان يتوقع أن يسمع منها ثناء على ابونين كسجينة مثالية ، وأم تعسة الحظ ، ومذنبة نادمة ترحب بالتكفير عن خطيئتها .. بل لقد كاد ينسى تلك الإسطورة الاخيرة ، أسطورة تقطيع الجثة بيد لارنييه ، والتى كان يظن أنه قضى عليها تماما . فاذا بها تبعث الى الحياة ثانية بفضل راهبة رقيقة الصوت ، قدسية الصورة ! . لو أنها لم تكن ترتدى هذه الثياب المقدسة ! . لم يكن فى وسعه أن يهاجم مثل هذه الشاهدة الجليلة مباشرة ، ولكنه سوف يحاول أن يدفع الأم سانت مارى الى الاعتراف بأن ابونين قد ضللتها ! وسوف يرى ..

عندئذ راح يقول فى تمهل :

ـ لقد وصفت لنا الآن ، أيتها الأم الجليلة ، مشهدا غريبا طفى على حواسنا جميعا .. وكلنا نعلم عن يقين مبلغ تفانيك فى أداء عملك ، على ما فيه من صعوبة وقسوة .. بل اننا لنقدر هذا التفانى تقديرا عظيما .. ولكن ذلك لا يغير شيئا من الحقائق .. ان المتهمة طالما كذبت ، وراحت تغير أقوالها المرة تلو المرة .. وانك بما أسبغته على كلماتها من لهجة تشف عن صدقك وأمانتك أنت ، انما تعرضين المخطر حياة رجل لم يغير أقواله قط ، ولم يناقض ..

فقاطعه القاضى قائلا :

ـ ما هو سؤالك يا سيدى المستشار ؟ .

فتردد لامور سيير لحظة ، وقال :

ـ لقد حدثتنا عن المسلك المثالى المتهمة فى السجن يا أماه ؛ فهل كانت تحضر الصلاة ؟ .

وكانت لهجته مشوبة بنبرة ساخرة ، لا تفوت أشد المحلفين غباء ..

ـ كل صباح ..

ـ وكانت ، بطبيعة الحال ، تتناول القربان غالبا ؟ .

ـ كل يوم أحد .. فهل يمكن أن يكون ذلك دليلا على النفاق أو الرياء ؟ .

فتراجع لامور سيير أمام قسوة كلماتها ، ونظراتها .. ولكنه

www.jadidpdf.com

عاد يقول فى انفعال :

ـ ولكن ألا يحدث غالبا أن تحاول بعض السجينات أن يخدعنك يا أماه ؟ .

ـ بالتأكيد ! . ولكنى لا أقف شاهدة أمام المحكمة الا نادرا .

وانسحبت الأم الرئيسة فى هدوء ، وأعلن القاضى رفع الجلسة لتناول العشاء .. كانت الساعة قد بلغت السابعة والنصف ، وسوف تعود المحكمة للانعقاد فى التاسعة .

ذهب بيرآنج ليتناول العشاء بدعوة من صديقه أليكس ماجر الذى كان يقول له :

ـ لقد كنت رائعا اليوم ! .

ـ هل أعجبك ما أثرته عن موضوع النقود ؟ . العشرين الف فرنك ؟ ..

ـ كانت فكرة عظيمة ! . ولكنك لم تقرب الطعام بعد ! .

غير أن بيرآنج لم يكن فى حاجة الى الطعام ، بقدر حاجته الى سماع كلمات الثناء ! . ولكن ممن ؟ . ان أحدا لا يعرف كيف راح يعد ابونين للمحاكمة ، وكيف كان ـ يوما بعد يوم ـ يعينها على حفظ دورها فى سجن لاروكيت .. كان يقول لنفسه « لقد كان ذلك واجبى كمحام لها » . ولكنه كان فى حاجة الى شخص يفضى له بكل شىء .. ترى أين فلورانس ؟ . وماذا تصنع الآن ؟ . لقد كان من أجلها هى أن راح يسعى الى الفوز ، وأى سعى ! . ومع ذلك فلم يحاول مقابلتها .. بل لقد كان فى الوقت نفسه يعد فلورانس أعذارا ممزوجة بالأكاذيب .. سوف يقول لها « كنت ابحث عنك فى كل مكان .. ولكن لم أستطع الخلاص من هؤلاء الصحفيين ، كما تعرفين .. ولم أعرف بعد ذلك أين ذهبت .. فانك لم تخبرينى ! .. »

بل لقد أذهله أنه كان قد نسى فلورانس تماما ، وهو أمر لم يخطر له على بال ، وما كان ليصدقه ! . كان قد أعاد تلاوة ما كتبته صحيفة فرانس سوار .. كان بدء مقالها « لقد راح هاجولان المسكين ضحية أزمة المساكن ، وضحية العاشقين اللذين مثلا بعد ظهر اليوم أمام محكمة جنايات السين » .. وقبيل نهاية المقال كان هناك عنوان بخط كبير « محام ناشىء ينال الاعجاب » .

www.jadidpdf.com

كان بيير آنج يقرأ هذه الكلمات مرة بعد مرة ، ويكاد يلتهمها بعينيه . لقد فاز بالشهرة ، مهما حدث بعد ذلك .. وسواء أفقدت ابونين رأسها أم احتفظت بها ، فاذا هو قد بدأ بداية موفقة ! لقد نسى اللطمات التي تلقاها ، ونسى حقده على لامور سيير ! .

راح لامور سيير ليتناول العشاء في منزله ، وقد صحب معه كيرستنر ومارت مادلين .. ولم تظهر فلورانس ، ولكنه لم يبال . كان الآن يفكر في نفسه أكثر مما يفكر فيها .. فقد أعادته شهادة الأم الرئيسة الى الصواب .. كان لا يزال يغلي غضبا وحقدا ، ولكنه استطاع أن يخفي مشاعره ، وأن يكظم غيظه .. وما دام لم يوفق الى سحق غريمه ، فلا أقل من أن يعقد هدنة معه ، هدنة تخفي فشله ومرارته ..

وجرع المحامي العجوز كأسه دفعة واحدة ثم التفت الى مارت مادلين قائلا :

ـ هل تظنين ان الادعاء سيطلب عقوبة الموت ؟ .

فأجاب كيرستنر متطفلا :

ـ بالنسبة للمرأة ؟ . انه لا يمكن أن يطلب أقل من ذلك .. القتل العمد مع سبق الاصرار ..

ـ ما رأيك أنت يا مارت ـ مادلين ؟ .

فلم تنظر اليه ، بل قالت في هدوء :

ـ لست أرى أنهما يستحقان الاهتمام ! .

فقال لامور سيير لنفسه : « حتى هي لم تقتنع ! . ما أشد غبائي اذ أقحمت نفسي في هذه القضية ! . »

واندفع كيرستنر في هجوم عنيف على بيير آنج ، ولكن لامور سيير لم يكن يصغي لهذيانه .. كانت خطته في الانتقام قد باءت بالفشل .. كان يضايقه أن ادانة ابونين لن تجعله ينجح في انقاذ لارنييه .. واذا لزم المدعي العام الاعتدال في مرافعته ـ كما كان يخشى ـ فان خطته سوف تزداد فشلا ..

وعندئذ قال لكيرستنر :

ـ يحسن بنا أن نغير خطتنا .. ولكن ذلك لن يؤثر عليك كثيرا ، فسوف تتولى أنت الدفاع عن لارنييه ، وعليك ألا تطيل الكلام ! .

www.jadidpdf.com

وراح يخط بعض العبارات فى مذكرته ، ويرسم هيكلا جديدا لمرافعته .. ولكنه سيكون آخر المتكلمين ، فلا أقل من أن يجد الفرصة لحفظ ماء وجهه .. « ولكن الوغد الصغير سوف يفهم الحقيقة » . فقد كان لا يزال حاقدا على بييرآنج ، بل أشد حقدا من أى وقت مضى ، ولكنه فى الوقت نفسه كان يقدر ذكاءه وواقعيته ! .

كان فراش فلورانس مكدسا بالثياب ، وزجاجات العطور وأدوات الزينة .. والى جانبه حقيبة كبيرة مفتوحة ..

ما الذى يمكنها أن تأخذ معها ؟ . قالت لنفسها فى مرارة : « اننى لا أملك شيئا هنا » . ثم فى كبرياء « لست أريد شيئا البتة » .. وانتهت الى التعقل فقالت « سوف أبعث فى طلبها غدا » ..

كانت لا تحس بالشقاء وهى تتطلع الى الوراء ، وبغير دموع نحو ماض كان يثير الألم فى نفسها .. « تصورى انك تهبين أفضل عشر سنوات فى حياتك الى رجل واحد ، ثم بعد ذلك .. » كانت تردد فى نفسها ما سوف تقوله فيما بعد لصديقتها مولانج ، عندما تذهب اليها لتقضى الليلة عندها .. فلم تكن تستطيع الذهاب الى بييرآنج مباشرة ، دون أن تعرض نفسها لمسئولية قطع علاقتها بلامور سيير .. وكانت فوق ذلك ، تريد أن تحمى حقوقها .. أى حقوق ؟ « انها عشر سنوات طوال ، أفلا استحق عنها شيئا ؟ . » .

وأدنت اذنها من الباب تسترق السمع .. هل هناك من يصعد الى حجرتها ؟ . كلا .. فانه يتناول عشاءه .. كالمعتاد . كأن شيئا لم يحدث . كانت تتلهف على أن ترسل الى لامور سيير الرقعة التى فرغت للتو من كتابتها .

« ان مسلكك فى المحكمة كان يدل بجلاء على أن شعورك نحوى أقرب الى الكراهية منه الى الحب .. لقد اعترفت لك بالخطأ الذى اقترفته ، وزعمت لى أنك صفحت عنى .. ولكنى ارى الآن انك لم تفعل ذلك الا لاهانتى واذلالى .. وداعا .. » .

ولكنها بعد أن فكرت فى الأمر مرة ثانية ، تبينت وجه الخطأ فى الكتابة اليه .. فالكلمات الشفوية سرعان أن تنسى .. أما

www.jadidpdf.com

المكتوبة فانها تعيش الى الأبد دليلا ضدك .

ولم يطل ترددها فيما يختص بالحلى والمجوهرات .. كانت تجمعها وهى تقول لنفسها « انها ملكى ، وقد دفعت ثمنها .. ولم يكن ثمنا رخيصا ! . » كانت أحقادها على لامور سيير تتتابع أمامها على صفحة ضميرها الشرير .. كانت تكرهه ، وتحتقره ..

وطرق مسامعها صوته من الردهة الخارجية ، ثم سمعت صوت اغلاق البـــاب الأمامى ، وصوت السيارة وهى تمضى فى طريقها ، فقالت « انه لم يمن حتى بالسؤال عنى ! » .

وقرعت الجرس للخادمة ، ثم قالت :

ـ أرجو أن تحملى حقيبتى الى الطابق الأسفل .

ـ هل تنوى السيدة السفر فى رحلة ؟ .

فأجابت فلورانس فى ترفع يثير الضحك :

ـ بل سوف ترحل السيدة الى الأبد .

فصاحت الخادمة :

ـ يا الهى ! . وماذا سيفعل السيد ؟ .

فاغتصبت فلورانس ضحكة مريرة ، وأجابت :

ـ سوف يبقى هنا ..

وكان المطر ينهمر فى الخارج غزيرا متتابعا .. وودت فلورانس لو تذهب الى المحكمة ، ولكنها وجدت من التعقل أن تذهب مباشرة الى بيت صديقتها ، بل لقد عدلت عن المرور بفندق لوريه حيث كانت تريد أن تترك كلمة هناك لبيير آنج .

وأحست بالوحدة .. أحست بأنها قد أصبحت وحيدة .. وكانت الدموع تفرق وجهها عندما وصلت الى مسكن سولانج .

ساد الصمت فى قاعة الجلسة ، لا يتخلله سوى وقع الأمطار على زجاج النوافذ ، عنـــدما وقف هوبير دى بوركيران ، المدعى العام ، ليلقى مرافعته ..

كان يقف منتصب القامة ، وقد التف فى ردائه الاحمر الانيق ، ووضع عويناته على المنضدة أمامه ، فوق ملف القضية . فبدأ يقول :

ـ اننى لاأستطيع أن أمنع نفسى ، أيها السادة المحلفون ، من الاحساس بشىء يسير من الشفقة نحو هذين العاشقين العاديين ، اللذين قادتهما سلسلة من ظروف القدر ، أكثر من أية خطة مدبرة ،

www.jadidpdf.com

نحو واحدة من أبشع جرائم القتل التى عرفتها المحاكم !..

كان فى وسعه أن يجلس بعد ذلك ، فقد وضح اتجاهه فى مرافعته .. وعلت همهمة الحاضرين فى قاعة الجلسة . فان هذا الرجل ، ذا الرداء الاحمر ، لايسعى وراء سفك الدماء .. انه يحس بالشفقة والرحمة نحو المتهمين .. ولكن ذلك أضاع الى الابد لهفة الجماهير الى شهود صراع المحامين بعد أن أصبحت عقوبة الاعدام غير ذات موضوع ..

وراح دى بوركيران يبتسم فى خبث ، وهو يستمع بالأثر الذى أحدثه فى القاعة كلها ، بعد أن أبدى اعتداله بطريقة مدروسة .. كان واثقا من أنه ، دون أن يطلب عقوبة الاعدام للمتهمين ، سوف يحصل على أقصى عقوبة بعدها لهما معا ، نظرا لظروف الجريمة، واهمال قاضى التحقيق ، والخلق العوج لكلا المتهمين .. ولكن ذلك لم يكن السبب الحقيقى !. فهذه هى الجولة الاولى لدى بوركيران . وسوف يقف أمام المحلفين أنفسهم فى الايام التالية ، وفى سلسلة من القضايا التى تفوق هذه القضية أهمية .. واذا بدأ مهمته أمام المحلفين كرجل معتدل فى رأيه وفى طلباته ، فسوف ينال ثقتهم ، وهكذا يمكن أن يكون أشد قسوة على المتهمين الآخرين ، فيحصل على أفضل النتائج ..

ومع ذلك فقد كان اعتداله نسبيا .. واذا كان قد أغفل عن عمد التفاصيل الرهيبة لتقطيع جثة الضحية ، فذلك حتى يستطيع أن يدين كلا عن جريمة القتل ويثبت عليهما معا سبق الاصرار عليها ..

وقد سهل الدفاع باقى مهمته .. وكل ما عليه الآن ، هو أن يردد فى صوت هادىء ، الادلة التى أحكمها لامور سيير ضد ابونين، وتلك التى أثارها بييرآنج ضد لارنييه . وزاد فى القول عن ابونين :

ـ لقد نزعت العاطفة الجامحة كل تعقل من رأس هذه المرأة ، واطارت صوابها .. وعلى الرغم من أنها أم شديد الرعاية والحنو نحو أطفالها ، الا أن جنون الشهوة أجفلها وافتقدها السيطرة على أفعالها ..

ولكنه شدد الحملة على لارنييه، على الرغم من علمه بمسئوليته الضئيلة ، ووصفه بالانحلال الخلقى ، وازدواج الشخصية ، وتكلم

www.jadidpdf.com

عن يديه اللينتين السميتين ، اللتين كان فيهما من القوة مع ذلك ما يكفي لتقطيع جثة الضحية في قسوة لاتدانيها قسوة أي جلاد ..

وسر بيير آنج من هذا الاتجاه الأخير ، ولكنه حيره في الوقت نفسه .. ولم تكن له من الخبرة ما يهيىء له فهم خطة المدعي العام .. كان بعد العشاء قد عاد الى القاعة ، ليجلس في مكانه أمام ابونين .. وكانت كلما اقتربت اللحظة الحاسمة ، ازداد خوفه واضطرابه ، وبدأ يفقد ثقته في النجاح .. كان واثقا من أن المدعي العام يعرف سره ، ولكن لماذا أغفله ؟.. أتراه ترك هذه المهمة لخصومه ، الذين كانوا يعرفون الحقيقة ولا شك ، ليدمروه تدميرا في كلمة واحدة ؟..

ولكن المحامي الشيخ استطاع أن يستشف خطة هوبير دي بوركيران على الفور .. غير أن الحكم على لارنييه بالسجن مدى الحياة سيعد هزيمة منكرة للامورسيير .. انه يستطيع أن يركز هجومه في النقط التي عالجها .

ولكن كيف يمكنه أن يجعلها أكثر اقناعا في ادانة ابونين .. انه ليدرك سوء مركز لارنييه حقا وليس من المهم - من الناحية القانونية البحتة - أن يكون اقل مسئولية من ابونين ولا من المهم كذلك أن يكون هو الذي شد الشملة حول عنق الضحية أو ساعد ابونين في تمزيق الجثة .. لقد كان هناك .. ولم يعمل شيئا ليحول دون وقوع الجريمة ، وليعيد عشيقته المجنونة الى عقلها ..

ومادام لامور سيير قد اقتنع بهذه النظرية ، فلم يعد ثمة مجال للاختيار .. فهو اما أن يقبل الهزيمة ، أو يوقع التهمة على « كلا » المتهمين ..

وختم المدعي العام مرافعته قائلا :

- لست أنكر الظروف المخففة في هذه الجريمة لذلك فانني أطلب للمتهمين عقابا يتفق مع اقترافهما جريمة لامعنى لها ، ويمنحهما من ناحية أخرى فرصة للنوم ..

ونهض لامور سيير على الاثر فطلب الى المحكمة ان ترفع الجلسة لاستراحة صغيرة ، تسمح للدفاع (مشيرا الى بيير آنج في الوقت نفسه) بالتشاور معا ..

ولم يدم اجتماع المحامين اكثر من ثلاث دقائق ، كان لامورسيير

www.jadidpdf.com

هو المتكلم الوحيد فيها .. فقد لخص الموقف في صوت بارد مترفع لايقبل النقاش أو المقاطعة ، وهو يقول بين آن وآخر : اننى واثق من موافقة زميلنا على هذا .

وكان بيرآنج يومىء برأسه موافقا .. كان يعرف ما يسعى لامور سيير وراءه . لقد أدرك لامور سيير انه خسر المباراة ،ولكنه يريد أن يتعلق بأذيال بيرآنج .. كان يعلم كذلك كم كان يكلف لامور سيير هذا الاستلام ، على الرغم من اللهجة الساخرة التى مزج بها طلبه الهدنة .. وأخذته الشفقة بالشيخ ، فلم ينطق بكلمة يفهم منها انه يتيه فخرا بانتصاره ، وانما أبدى موافقته على ما طلبه لامور سيير .

وعندئذ ختم الثعلب العجوز كلامه قائلا كأنما الامر قد أصبح مفروغا منه :

ـ ومن الطبيعى أن أكون آخر المتكلمين ، اذا أريد لهذه الخطة أن تحدث اثرها ..

فقال بيرآنج :

ـ نعم .. طبعا .. أعنى اننا جميعا سوف نعالج نفس الادلة .. اننى ..

فقاطعه لامور سيير قائلا :

ـ هذا هو المهم .. وما دمت قد وافقت فلنخبر القاضى بذلك !.

ولكن بيرآنج كان يلوم نفسه على الخضوع بهذه السهولة .. « لقد أرغمنى على ذلك ، فاننى فى الحقيقة لم أبد موافقتى صراحة !.. وهو فى الوقت لم يكن ليستطيع أن يرفض طلب لامورسيير مادام ذلك يؤيد ظفره .. لم يعد هناك مايخشاه ، ولم يكتشف خصومه الثغرة فى خطوط دفاعه ..

ولكنه أحس بالمهانة وهو يصغى الى حديث لامور سيير على القاضى .. كان يتكلم عنه فى كبرياء وترفع ، وذكر تلك النظرة النافرة التى حدجه بها لامور سيير عندما كان يشرح اقتراحه .. « انه تهديد ولا شك » بل « هو ابتزاز صريح » ان هذه النظرة الساحرة وقد أظهرت شبح فلورانس بينهما . فهل هى مساومة ؟ فلورانس مقابل حق الدفاع أخيرا ؟ كلا .. لم يكن الأمر كذلك .. بل كانت العينان تهددانه وتألانه .. « حسنا ، لقد سرقت منى فلورانس ، ولكنك سوف تخلى لى الطريق هذه المرة » ..

www.jadidpdf.com

كانت أمامه خمس عشرة دقيقة لتغيير خطته فى الدفاع ، الوقت الذى يخاطب فيه كيرستنر المحلفين ، وكان على بيرآنج ، اذا أراد أن يحترم الهدنة ، أن يتخلى عن كثير من الادلة التى ساقها .. ولكن ماذا بوسعه أن يقول ؟.. أن عقله خلو من أى اتهام ، وهو لايذكر الا الادلة التى تدين لارنييه .. والتى وافق على اغفالها فى دفاعه عن ابونين ..

وبينما كان يهم بدخول القاعة ، احس بيد تلمس ذراعه ، وصوتا يقول : — مسيو بيرآنج !..

ولم يعرف العجوز التى كانت تخاطبه ، وقد اتشحت بالسواد .. ماذا تريد هذه المرأة .. انه ليذكر فى غموض أنه رآها من قبل ، ولكن أين ؟ ..

وقالت المرأة بصوت خافت : اريد أن أرى السير ..

وعندئذ عرفها ، فهى مارى الطاهية بمنزل لامور سيير .

— انتظرى الى ما بعد الجلسة ، فليس فى وسعك مقابلته الآن

فأعطته خطابا لسيدها ، قائلة :

— هل لك ان تعطيه هذا الخطاب يامسيو بيرآنج ..

ودس بيرآنج الخطاب فى يد مارت مادلين التى ناولته على الفور للامورسيير .. وكان كيرستنر يدلى بمرافعته ، فأنصت اليه لامورسيير لحظة قبل أن يفض الخطاب ويقرأ رسالة الطاهية .. وهكذا علم برحيل فلورانس . فقد كتبت مارى تقول : لقد رحلت الى الابد ..

ترقرقت الدموع فى عينى بيرآنج ، بينما كان يلقى بآخر كلماته الى المحلفين :

— ان هذه المرأة التعسة ، التى نهشتها عاطفة جامحة ، كانت دائما — كما قال خصمى المحترم المدعى العام نفسه — أما مثالية !.. أن لها طفلتين صغيرتين ، تعتقدان ، فى براءة الطفولة ، أن أمهما مريضة فى المستشفى .. وهما تركعان كل مساء بجوار فراشهما الصغير لتدعوا الله ..

وراح ينظر فى بطء الى كل فرد بين محلفى الصف الاول ، وما لبث أن قال لنفسه « لقد كسبتهم الى صفى الآن » وهو يرى أحد المحلفين يبكى فى حرقة !..

www.jadidpdf.com

ـ انهما تدعوان الله أن يعيد اليهما أمهما .. وانى لأعلم أنكم أيها السادة المحلفون سوف تستجيبون لدعوات الاطفال الأبرياء .. أعلم أنكم سوف تعيدون اليهم أمهم العزيزة !..

وتطلع بيرآنج الى لامور سيير قبل أن يعود الى مقعده ،طامعا فى نظرة شكر منه ، للتعديل الذى أدخله على دفاعه .. ولكن لامور سيير كان واجما شارد الذهن .. لم يسمع كلمة من دفاع بيرآنج ، ولم يتحرك من مكانه عندما دعاه القاضى الى الكلام ..

ولكزته مارت ـ مادلين بذراعها قائلة فى همس : لقد حان وعدك ياسيدى المستشار ..

وعندئذ نهض فى تثاقل ، قائلا فى صوت خافت :

ـ ان أمامكم ، أيها السادة المحلفون ، شيخا فانيا ..

فهز بيرآنج كتفيه فى استخفاف .. فهو يرى أستاذه القديم يلجأ الى أساليبه القديمة وحيله المكشوفة وعباراته المنمقة .. ولكنه كان يشعر بالأسى لعلمه بضعف دفاعه وتفاهة أدلته .. صحيح أنه نجح فى اثارة مشاعر المحلفين ، فى النهاية ولكنه ـ وياالسخرية القدر ! ـ خلق جوا ملائما ليبدأ فيه لامور سيير..

كان لامور سيير قد انطلق يروى فى طلاقة ، قصة حياة رجل كان سعيدا .. سعيدا مع المرأة التى أحبها .. أكان هوالرجل؟.. أم كان هاجولان ؟.. أم لارنييه ؟.. ان الامر سواء .. فكل عبارة ينطق بها ، تدنيه شيئا فشيئا من الهوة السحيقة التى سوف ينتهى بها حديثه ..

ـ وهذا الرجل السعيد ، أيها السادة ، كان يمكن أن يكون واحدا منكم .. او أن أكون أنا نفسى !..

ثم أشار الى لارنييه واستطرد يقول :

ـ انه أيضا كان يمكن أن يكون سعيدا .. فما الذى كان يوده من الحياة ؟.. انه لم يطلب الكثير ..

كان يقترب من الهوة السحيقة ، وبدأ صوته يزأر عاليا :

ـ ولكن القدر وضع امرأة فى طريقه ..

وأشار الى ابونين :

ـ انها هذه المرأة ، أيها السادة المحلفون ..

فأخفت ابونين وجهها بين راحتيها ، وقد استبد بها الفزع .

وصاح لامورسيير :

www.jadidpdf.com

ـ لاتخفى وجهك .. أرى وجهك للمحلفين .. أن عشيقك اذا كان اليوم هنا فى محكمة الجنايات . فالفضل يرجع اليك فى ذلك !..

فجذب بييرآنج ذراع كرستنر قائلا :

ـ ما الذى دهاه ؟. وما الذى يقوله ؟.. ماذا يعنى بحق السماء .

فدفعه كرستنر بعيدا وهو يقول :

ـ دعنى ! فلست أعرف شيئا ..

فاندفع بييرآنج واقفا وهو يصيح : اننى أعترض ..

ولكن علام يعترض ؟.. لقد كان فى الواقع يستغيث طالبا النجدة والمعونة !.. كان يصيح كأنما يقول : الى اللص !.. الى القاتل !.. فقد أخذته خديعة لامورسيير على غرة ، ولم يخطر على باله قط أن المحامى سوف ينقض الهدنة التى اقترحها بنفسه .. كان ذلك شيئا هائلا مروعا ، لايصدقه العقل ..

واتجه لامورسيير للمحكمة يسألها وهو ينظر الى بييرآنج فى ازدراء :

ـ هل يسمح لى بالاستمرار فى الدفاع ؟..

فصاح بييرآنج بصوت كالرعد ! خيانة !.. خديعة !..

ودعاه القاضى الى مراعاة النظام ، ثم قال للامورسيير :

ـ اننا نصغى اليك أيها المستشار !..

ـ اننى هنا لانشد العدالة !..

فصاح بييرآنج :

ـ هذه الطعنة الغادرة ، هذه السكين فى الظهر ، أهذه فكرتك عن العدالة ؟.

ورأى القاضى أن بييرآنج قد تمادى فى ثورته ، وكان يود حقا أن ينقذه ، ولكن لم تكن لديه حلقة النجاة . فاكتفى بأن قال له :

ـ لقد انتهيت من دفاعك . ولم يعد لك الحق فى الكلام ..

ـ ولكن هذا محال ياصاحب السعادة !.

كان يختنق .. وكانت ساقاه ترتجفان تحته .. هل تحول الحاضرون جميعا ضده ؟.. وامسك بذراع كيرستنر قائلا : ألا تفعل شيئا ؟..

ولكن كيرستنر زجره وقال : ارفع يدك عنى ..

ففمغم بييرآنج ، وهو يتشنج كطفل صغير : سوف ابلغ الامر لنقابة المحامين !..

www.jadidpdf.com

وفكر بيرآنج فى مغادرة القاعة ، ولكن هل يحق له ذلك !..
وهل كانت الهدنة نفسها الا سخرية بالعدالة !..
واستطرد لامورسيير قائلا
ـ اننا لانستطيع أن ننكر الحقائق ، أو نخفيها .. فلسوف تكشف عن نفسها بنفسها .. ان لارنييه لم يكن البتة أكثر من ألعوبة بين يدى هذه المرأة .. هذه المرأة التى تملكها شيطان الجسد !..
« ذهبت .. ذهبت فلورانس .. الى الأبد .. »
فمنذ أن قرأ لامورسيير رقعة الطاهية ، بدأ يحس فى جلاء بريان السم البطىء فى دمه .. شعر بأن حياته قد انقضت .. ولكن كان لايزال لديه من القوة ما يكفى لهدم أعمدة المعبد ،ويدفن بيرآنج تحت أنقاض حياته هو !..
وهكذا مضى يستعرض القضية نقطة فنقطة .. وكان حقد المحب المهزوم ، الراغب فى الانتقام ، يتخلل كل لفظ ينطق به ..
وأشار الى المنضدة التى وضعت عليها أدلة الجريمة ،وقبل أن يفوه بكلمة ، كان كاتب الجلسة يتناول المنشار الذى استخدم فى تقطيع الجثة ويرفعه امام عينيه ..
ولم يأخذه لامورسيير ، ولكنه مد ذراعه ، وقبض راحته ، فاذا بكل من فى القاعة يتخيل أن لامورسيير نفسه يمسك المنشار فى يده الممدودة أمام وجهه المكدود ..
ـ لقد سمعتم أيها السادة المحلفون شهادة القوميسير كاريجال .. لقد سأل المتهمة أثر القبض عليها ، فأخبرته بالحقيقة .. لم يكن قد اتسع أمامها الوقت لتفكر فى الأمر ، ولتلجأ الى الكذب.. فما الذى قالته للقوميسير كاريجال ؟..
وفى بطء شديد ، مد لامورسيير ذراعه اليمنى وأخذ يحركها كشخص ينشر قطعة من الخشب ..
ـ لقد بدأت بالساقين .. عند الركبتين ..
ورأته القاعة كلها ينشر ساق جثة القتيل ..
ـ ثم احدى اليدين !..
وقلد حركة البتر ، فرأت القاعة كلها يد القتيل فى يده ، وهو يطوح بها فى وجه ابونين ..

www.jadidpdf.com

وراح يجفف العرق المتصبب على وجهه ، ثم استطرد يقول للمحلفين : ها أنتم ترون مافعلته هذه المرأة !.. لقد فعلته وحدها .. وبمفردها .. لقد قتلت عشيقها العجوز ، لتتخذ لنفسها عشيقا شابا ..

وأشار الى لارنييه ، مستطردا :

ـ كانت تريده .. كانت تريد هذا الشاب الذى لا أظن واحدا منكم يريد أن تقطع رأسه قبل أن يعيش حقا ..

ولم يكن يبالى شيئا برأس لارنييه ، وانما رأس ابونين هى التى كان يريدها .. ومضى يقول فى صوت مدو :

ـ فكروا فى مسئولياتكم أيها السادة المحلفون .. أن الحياة الزوجية قد أصبحت كلها فى خطر .. ولا ريب أن نساء أخريات يحلمن بأن يفعلن مافعلته هذه المرأة .. وقد يجد أى واحد منكم نفسه ـ ذات ليلة ـ ذلك المحب العجوز غير المرغوب فيه الذى يجب ازالته من الوجود ، حتى يأخذ مكانه عاشق أصفر سنا ، وأوفر نشاطا !

وأصاب لامورسيير دوار جعله يستند الى قفص المتهمين تحت يدى لارنييه المطبقتين .. وأراد كرستنر أن ينهض لمعونته ، ولكن لامورسيير اوقفه بنظرة صاعقة ، وما لبث أن استعاد صوته الطبيعى ليختم مرافعته قائلا :

ـ لا احسبنى سأشترك فى قضايا كثيرة أخرى ، ايها السادة ! ولكنى لا أسألكم محاباة أو صنيعا . اننا فى هذه القضية لم نذكر الضحية الا قليلا .. ولكن هاجولان العجوز المسكين يسألكم العدل والانصاف .. انه هو الذى يسألكم أن تعاقبوا هذه المرأة التى خانته ، وهزئت به ، وقتلته ، ثم قطعته أربا .. انها تستحق العقاب مرتين .. أولهما للجريمة التى ارتكبتها .. والثانية للجريمة التى كانت تريد ارتكابها باتهامها لارنييه .. لارنييه الذى يقف الآن فى قفص المتهمين ، لا لشىء الا لأنه وثق فى هذه المرأة الشيطانة ، ففررت به .. وأحبها ، فضحت به .. فلا تجعلوه أيضا ضحية لكم ..

انتهى كل شىء .. وبأسرع مما كان متوقعا !..

وكان بيرآنج يحشر روب المحاماة فى حقيبة أوراقه ، وهو

www.jadidpdf.com

لايقوى على النهوض من مقعده أمام قفص المتهمين الخالى ، كما خلت القاعة جميعا الا من حارس وقف ينتظر خروج بيرآنج ، حتى يطفىء الانوار .. كانت القاعة قد خلت من روادها سريعا كما يخلو المسرح بعد رواية لم تعجب المشاهدين .. أما بيرآنج فكان الممثل الشاب الذى انتزع النصر من مخادع عجوز ، قبل أن يسدل الستار الاخير !..

فقد تداول المحلفون بعض الوقت ، وأتوا بقرار يدينون فيه كلا المتهمين فى ثلاث تهم ، مع استعمال الظروف المخففة ..

وهكذا نطق القاضى بالحكم : الاشغال الشاقة المؤبدة !..

وترافع الجميع حول لامورسيير يصافحوه مهنئين ، وهم يلقون الى بيرآنج فتاتا من ألفاظ المديح ، بينما كانوا يمرون سراعا الى جانبيه .. وحاول بيرآنج أن يبقيهم معه ، وأن يتحدث اليهم ، ويقول لهم :

ـ لقد مضى كل شىء على خير وجه ، بل كنا نرجو أن نحصل لهما على قرار بالبراءة .. ولكنى لست أفهم شيئا .. انه هونفسه الذى اقترح ذلك ، ولم أسأله شيئا ..

ولكن أحدا منهم لم يعره أذنا صاغية !.

حتى اليكس ماجر قال له مازحا : هيا أيها العجوز !.. لقد كافحت كالاسود ، ولكنى لا أحسبك كنت تطمع حقا فى براءة هذه المرأة !..

بلى .. لقد كان يرجو أن يبرئها عندما بدأ تنفيذ خطته .. كاد يطمع فى نصر كبير .. وعناوين ضخمة فى صحف الصباح .. ولولا أن لامورسيير قد خدعه لتحقق له هذا النصر .. ليس ذلك فقط .. بل انه كان خليقا بأن يناله لو أنه رفض اقتراح لامورسيير، لو أنه لم يسمح لنفسه بأن يكون ضحية خدعة دنيئة ..

وغادر المحكمة تحت وابل من المطر ، يسير على غير هدى .. ووقف فوق أحد الكبارى يتأمل مياه النهر السوداء ..

« انها نقطة تحول فى حياتى » .. نعم .. فما الذى ينتظره فى الغد ؟.. وبعد الغد ؟.. واليوم التالى ؟.. هل يطمع فى أن يأتيه أى شخص ليقول له : « لقد استمعت اليك أيها الشاب ، وكنت رائعا .. وأريد أن أعهد اليك بقضية لى !..

www.jadidpdf.com

كلا .. فسوف يعمل فى الغد ، مثلما فعل بالامس ، وأول أمس ، واليوم السابق له ، سيطوف بالمحاكم الجزئية الصغيرة ، وسيعطى دروسا لاتينية ، وسيكتب عناوين المظاريف !..

كان التعب قد استبد به ، وأنهك قواه .. ولكنه لايجد صديقا واحدا الى جانبه .. صديقا واحدا فحسب ..

وعندئذ أدرك فى لحظة خاطفة ــ ولكن هل يقبل ذلك حقا ؟ ــ أن مطامعه هى التى عزلته عن الناس ، وانها سوف تعزله الى الابد ..

وترك شاطىء السين ، ومضى يجد فى السير الى فندق لوريه .. ولسوف يزول عنه هذا التشاؤم لو استطاع أن ينام ليلته نوما عميقا ..

وكانت فلورانس تنتظره فى حجرته ..

فان صديقتها سولانج ، عندما وجدتها عند بابها ، راحت تنعتها بالجنون لتركها لامورسيير من أجل هذا الـ .. وراحت فلورانس تصغى فى هدوء ، مطأطئة الرأس ، لتأنيب صديقتها ، حتى روعتها ملاحظة قاسية ، فتركتها وانثنت عائدة أدراجها ..

هل تذهب الى بييرآنج ؟.. نعم .. ثم لا ..

ولكنها ذهبت الى بييرآنج ، فقد كانت تريد أن تتحدث اليه.

واندفع بييرآنج بين ذراعيها ، وهو يهتف : فلورانس !..

كانت أعصابه على وشك الانفجار بعد طول توترها فى ذلك اليوم العصيب .. وكانت الدموع تغرق وجه فلورانس بالدموع وكان يحتضنها عشيقة وأما ، ويهتف بها قائلا :

ــ لاتتخلى عنى يافلورانس فانك لاتعلمين شدة حاجتى اليك!.

وما لبث أن استغرق فى النوم ، كطفل صغير على صدر أمه..

وفى الساعة الخامسة من الصباح ، استيقظا معا ، وقد سمعا طرقا على الباب !..

أحس لامورسيير بالجوع ، قبل أن يعود الى منزله ، أو لعله أقنع نفسه بذلك ، فأمر سائقه بالانصراف ومضى سيرا الى الاقدام على شاطىء السين .. ووجد مشربا لايزال ساهرا بالقرب من مطابع الجريدة الرسمية ، فاتخذ له مجلسا بجوار منضدة محطمة ، وطلب شواء من لحم الضأن وزجاجة كبيرة من النبيذ المعتق ،

www.jadidpdf.com

ولعل طبيبه كان حريا بأن يقول : « ذلك بالذات ما لم يكن ينبغى له أن يقربه » ..

وراح يعيد تلاوة خطاب مدى .. لقد ذهبت .. لقد ذهبت فلورانس !.. وتخلصت منه ..

واستنشق لامورسيير عبير الشواء الذى كان البخار يتصاعد منه أمام ناظريه ، واستمتع بالطعام والشراب .

ـ مزيدا من النبيذ من فضلك !..

ذهبت ؟.. فليكن !.. انه ليحتقر فلورانس .. يحتقرها الى الحد الذى لايشعر معه بفقدها ..

ودن جرس التليفون ، فهتف قائلا « لعلها تطلبنى » ..ولكن يا للسخف ! من اين لها أن تعرف اننى هنا ؟..

وأشاح لامورسيير بيده ، فقلب كأسه على الأرض ، وانكب الساقى يجمع شظايا الزجاج المحطم وهو يقول : أنه فأل طيب ياسيدى !..

ومضى الى المغسل ، وكان فى الطابق الثانى ، فراح يرقى السلم فى بطء وصعوبة .. كانت درجات السلم الدائرى متصاعدة ،شديدة الارتفاع ، سيئة الاضاءة ..

وبينما كان لامورسيير يستدير عند أحد المنعرجات رأى أمامه شخصا غريبا لايعرفه ، يكاد وجهه يلتصق بوجهه ، وهو ينظر اليه هازئا ..

ولكنها كانت مرآة .. كان ينظر فى المرآة ..

وللمرة الاولى منذ أعوام طويلة كان لامورسيير يرى نفسه فى مرآة غريبة عنه .. فليس أكثر زيفا وكذبا من مرآة تعرفك ، وتحاول أن تسرك ، وتعيش معك يوما بعد يوم .. أنها لاتعدو أن تعكس الصورة التى تبحث عنها .. ولكن مرآة هذا المشرب لم ترى لامورسيير قط من قبل ، ولم تعلم انه كاد يريد منها أن ترضيه!..

« اذن فهذا هو لامورسيير » .. هذه الفضون والتجاعيد .. هذا الوجه المكدود المتجهم !.. وهذه الاكياس المنتفخة تحت عينيه .. وهذه النظرة الحائرة !.. وتلك اللحية ، لحية شيخ فان ، التى زخرت بالشعيرات البيضاء !.. »

نعم.. كان هو نفسه حقا.. هذا الوجه الذليل المنكسر الذى

www.jadidpdf.com

كان فى الوقت نفسه يسخر منه ويهزأ به ، كان رغم ذلك يسأله فى مذلة : « اغفر لى أيها الصديق العجوز فما قصدت أن أسىء اليك .. لقد فاجأتنى قبل أن آخذ حذرى .. ولكن واحدا من الناس كان خليقا بأن يقول لك ذلك يوما من الايام .. أنها لن تستطيع البقاء معك الى الابد ، أعنى معنا .. أرأيت الآن .. »

وكأنما أدرك ذلك الغريب الساخر المجرد من الشفقة انه قد وجه الى لامورسيير ضربة مميتة ، فقد أضاف هامسا : «عيناك ! أنظر الى عينيك !. انهما جميلتان كعهدهما !. فمازلت شابا .. انهما عينا شاب فى العشرين من عمره !. »

وسقط لامورسيير فوق السلم .. ولعله أخطأ احدى الدرجات فهوت قدمه فى الفضاء ..

وأخرجوه من السلم الضيق فى صعوبة بالغة ونقلوه الى منزله .. ولكنه كان قد أصيب بشلل كامل ، ولم يعد يستطيع النطق.

ولكن مارى أخبرت فلورانس عندما أتت تبحث عنها فى الفجر فى فندق لوربيه : « انه مازال محتفظا بشعوره .. »

ومكثت فلورانس بجانب فراشه ، فلم تفارق مكانها البتة ..

وقضى يومين يحاور الموت ويداوره ، ولكن الذين رأوه فى النزع الاخير ، لاحظوا أن عينيه كانتا تومضان بالحب ، كلما استقرتا على فلورانس ..

ولم تذهب فلورانس لتشييع جنازته التى حضرها المجتمع الباريسى الراقى بأسره ، فقد جلست مدام لامورسيير الشرعية فى مقعدها بالكنيسة دون أن تخفى اشمئزازها ..

ولم تضن الاسرة على فلورانس ، ولم تنكر مصالحها ، فتركوا لها من المال مايسمح لها بتأثيث مكتب خاص لبيرآنج .. وكان نجاحه بعد ذلك سريعا ..

وعندما ترك فلورانس ، بعد ثلاثة أعوام ، ليتزوج من ابنة نقيب المحامين ، كان الناس جميعا قد نسوا قضية شارع سيربور ..

ولكن كيرستنر كان قد نطق بعبارة رهيبة مروعة ، غداة موت لامورسيير .. عن بيرآنج وقال :

« ولكنه ـ على الاقل ـ استطاع أن يترك غريمه قطعة واحدة !.. »

« تمت »

www.jadidpdf.com

يمكنكم تحميل المزيد من الكتب الحصرية والرائعة

www.jadidpdf.com

www.jadidpdf.com

يمكنكم تحميل المزيد من الكتب الحصرية والرائعة

www.jadidpdf.com

www.jadidpdf.com

وزارة الثقافة والإرشاد القومى

الدار القومية للطباعة والنشر

تعمل على تحقيق الثورة الثقافية التى نادى بها الرئيس جمال عبد الناصر

القاهرة

مركز عالمى للإشعاع الثقافى

كتاب كل ست ساعات

مكتبات الدار

نيويورك لندن

الجزائر بيروت

طرابلس بغداد

الخرطوم الإسكندرية

القاهرة

www.jadidpdf.com